نظرة إلى الفلبين

بين زيارتين: رسمية، وخاصة

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

ⓒ **محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢١هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية وخاصة - الرياض .

٢١٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢ - ٩٥٥ - ٣٦ - ٩٩٦٠

١- المسلمون في الفلبين

٢- الفلبين - وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩٥٩,٧ ٢١/٠٩٠١

رقم الايداع ٢١/٠٩٠١

ردمك : ٢ - ٩٥٥ - ٣٦ - ٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) -في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) -رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا -الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) -مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) -جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) -رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م

(٦) -صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - الرياض - دار العلوم ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) -مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - بريدة - نادي القصيم الأدبي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) -إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) -زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - الرياض - ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) - شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) - في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) - رحلات في أمريكا الوسطى - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) - إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض المؤلف ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) - على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) - على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) - في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) - في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) - بقية الحديث عن إفريقية – مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.

(١٩) - جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) - جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) - داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) - بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٣) - الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.

(٢٤) - مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.

(٢٥) - جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) - في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) - بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) - بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) - مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) - ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) - كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) - في جنوب الصين - طبع رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) - كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٣٤) - ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) - أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) - على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.

(٣٧) - نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) - بين غينيا بيساو وغينيا كوناكرى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٣٩) - من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

(٤٠) - سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) - يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.

(٤٢) - نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) - بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) - قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

(٤٥) - حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) - المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) - في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٤٨) - رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) - إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) - أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) - في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) - إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) - حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٤) - زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٥) - سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض.

(٥٦) - راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥٧) - في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) -العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) - في شرق البرازيل، من سلسة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) - هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) - من بلاد القرشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) - بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٦٣) - بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) - مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) - تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) -ذكريات من الاتحاد السوفييتي: زيارات للمسلمين في بلاد الروس والباشقرد - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٧) -نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض، أو رحلة إلى أبعد مكان - طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٨) -في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين - مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٩) -نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(٧٠) - معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(٧١) - أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(٧٢) - « الأمثال العامية في نجد » في مجلد، نشرته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة عام ١٣٧٩هـ.

(٧٣) - الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(٧٤) - كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٧٥) - نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.

(٧٦) - مأثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(٧٧) - سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٧٨) - صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

(٧٩) - العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.

(٨٠) - نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في بالرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨١) - المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨٢) - مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.

(٨٣) - كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(٨٤) - المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٨٥) - مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(٨٦) - رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

القسم الأول

زيارة خاصة للفلبين

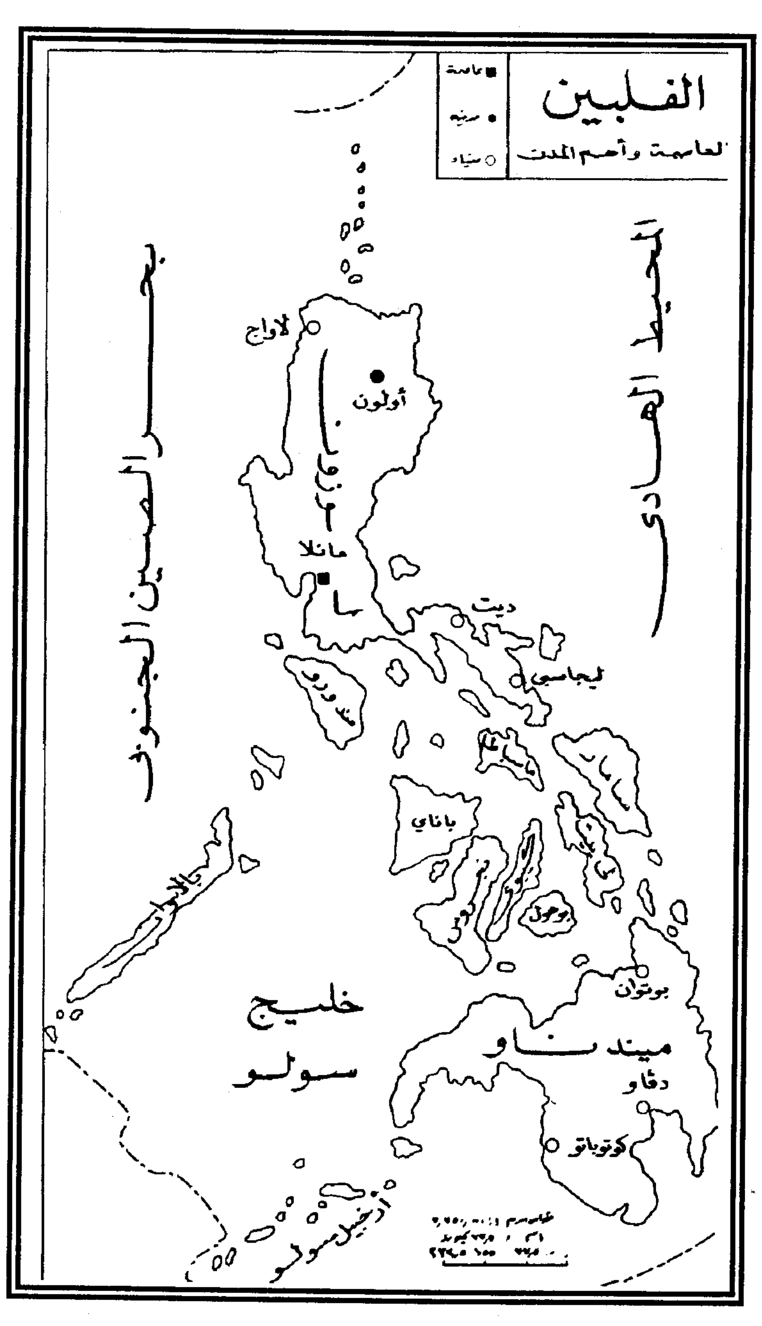


مقدمة

الحمد لله، وأما بعد:

فإن هذا كلام عن زيارة خاطفة لمدينة مانيلا عاصمة الفلبين، وهي بمرور بها استعجلته قبل أن تتاح لي فرصة زيارة الفلبين زيارة مقصودة بذاتها ينشأ السفر إليها إنشاء، ولذلك ستجد فيها إجمالاً للقول، واستعجالاً لانتهاء الحديث.

وقد أتيح لي بعد تلك الزيارة أن أزور الفلبين زيارة رسمية بدعوة من أهلها، وعلى ضيافة رئيس جمهوريتها، فضممت ما كتبته عن هذه الزيارة إلى ما كتبته عن الزيارة تلك، فكان هذا الكتاب الذي عنوانه: نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة.


الفلبين
العاصمة وأهم المدن
عاصمة
مدينة
ميناء
المحيط الهادي
بحر الصين الجنوبي
الاواج
أولون
مانلا
ديت
ليجاسبي
باناي
بوهول
بوتوان
ميندناو
دڤاو
كوتوباتو
خليج
سولو
أرخبيل سولو

الفلبين

الطريق إلى الفلبين

كنت في زيارة لأمريكا الجنوبية فقررت أن أزور (مانيللا) في طريق العودة إلى الوطن، وكنت وصلت إلى مدينة (لوس أنجلوس) في غرب الولايات المتحدة الأمريكية من مدينة (سان خوزيه) عاصمة كوستاريكا في أمريكا الوسطى، وقد ذكرت الحديث عن كوستاريكا في كتاب: ((رحلات في أمريكا الوسطى)).

ولم يكن لي من غرض في زيارة (لوس أنجلوس) إلا السفر منها إلى هونو لولو ثم مانيللا، لذلك لم أتلبث فيها، وقد سبق أن زرتها أكثر من مرة، وكتبت شيئاً عن الزيارة الأولى في كتاب: (وراء المشرقين).

يوم الخميس: ١٩٨٢/١/٢٢م.

من لوس أنجلوس إلى هونولولو:

غادرت لوس أنجلوس إلى هونولولو مع طائرة شركة أمريكا أير لاين، وكنت وحدي ليس معي رفيق في السفرة هذه، وقد أقلعت الطائرة من مطار لوس أنجلوس في التاسعة والربع صباحاً.

وطائرتها من طراز بوينغ ٧٤٧ العملاق، وأعلنوا أن الطيران سيستغرق خمس ساعات وعشر دقائق، وكان نصف مقاعدها خالياً، ولذلك وجدت لي مقعداً بجانب النافذة في منطقة غير المدخنين.

وكان الطيران ممتعاً رغم أن أكثره كان فوق المحيط الهادئ، وذلك لكونه في النهار.

واتجهت الطائرة في طيرانها إلى (هونو لولو) جهة الجنوب الغربي من لوس أنجلوس، لذلك صارت الشمس تطل من نافذة مقعدي من دون أن تؤذيني

لأنها لا تدخل إليها مباشرة، ولك أن تعجب من اتجاه يذهب جهة الجنوب الغربي من لوس أنجلوس التي هي مدينة غربية بالنسبة إلى بلادنا لكي تصل إلى (هونو لولو) التي هي في أقصى الشرق عنا، ولكن ذلك من أجل تكوير الأرض كما هو معروف.

قدموا طعاماً خفيفاً من الكعك اللين (الكيك) ومعه عصير البرتقال، ثم القهوة والشاي، ثم أغلقوا النوافذ وعرضوا شريطاً سينمائياً من اجل مكافحة رتابة المنظر فوق المحيط الذي لا يتبدل، بل يكاد يخيل إليك وأنت تطل من نافذتك عليه وتسمع أزيز محركات الطائرة الرتيب أن الطائرة واقفة فوقه لا تتحرك.

وقد وزعوا على الركاب استمارات ولاية (هونو لولو) ليس من أجل سمة الدخول إليها لأنها أرض أمريكية، قدمت الطائرة إليها من أرض أمريكية، وإنما من اجل مراقبة إدخال النبات والحيوان إليها، فهي لا تريد أن يدخل إليها نبات فيه جراثيم، أو أي شيء قد يلوث النبات فيها أو يغمره، وكذلك الحيوان لا تريد أن يدخل الركاب إليها حيواناً مضراً بها.

غداء المحيطات :

حان وقت الغداء فأحضروا وجبة دسمة حافلة، أجمل ما فيها عندي أنه ليس فيها لحم خنزير ولا ما قرب منه.

وكنت تعبت من الطعام في طائرات أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى؛ حيث يضعون لحم الخنزير في أكثر الطعام كالسلطات والمقدمات، وليس في الطبق الرئيسي فقط.

وهذه أول وجبة خالية من لحم الخنزير منذ أن دخلت أمريكا الجنوبية تقدم إليّ في طائرة. فبدأت بأكل الطعام، وفتحت جزءاً من نافذتي أطل منه

على صفحة المحيط التي لا ترى منها إلا خضرتها الداكنة التي تتحول مع سقوط أشعة الشمس عليها إلى زرقة مشوبة ببياض خفيف هو لون السماء التي كان فيها غيم خفيف، لأن الماء لا لون له، وإنما لونه هو لون ما ينعكس عليه، أو يحيط به كما هو معروف.

في هونو لولو:

هبطت الطائرة في مطار (هونو لولو) في الثالثة إلا الثلث ظهراً، بتوقيت لوس أنجلوس، ويوافق الخامسة إلا الثلث بتوقيت هونو لولو، لأنه يتقدم على توقيت لوس أنجلوس رغم كوننا توجهنا منها جهة الغرب.

الاسترخاء في هونو لولو:

لم أكتب في مذكرتي شيئاً عن إقامتي في (هونو لولو) اكتفاء بما كنت كتبته عندما زرتها أول مرة وذكرته في كتاب: ((وراء المشرقين)) لأنني كنت قادماً إليها من رحلة طويلة في أمريكا الجنوبية كتبت خلالها أكثر من كتاب، وقد خصصت لهونو لولو يومين من وقتي قضيتهما في هذه الجزيرة الجميلة ذات الشاطئ الرملي النظيف، والربا الخضر التي تنهض من الشاطئ حتى تعانق السحاب الذي يتفرق عن قممها، ويلف النسيم الدائم هذه الربا مع كل ما على الجزيرة من حيوان وأناسي، بل وزهور وعطور.

وقد حفل الشاطئ الواسع بأفواج المتشمسين والمتفرجين، أما المتشمسون فإن أكثرهم من اليابان والولايات الباردة في وسط أمريكا وشمالها إذْ يأتون من أجل الشمس والدفء، فيجدون الجو الربيعي المعتدل والخدمات السياحية المتميزة. ومن أهم ذلك وجود الفنادق الكثيرة المتنوعة إلى جانب الأنزال والغرف الرخيصة، وعلى سبيل المثال نزلت في فندق (هولدي إن) في منطقة واكيكي، وهو من ذوات النجوم الخمس، ويقع على الشاطئ

مباشرة، بحيث تستطيع أن ترى من غرفتك البحر وهو يلتقي بالجبال الخضر في الشاطئ المتعرج بـ ٥٢ دولاراً أمريكياً، وذكروا أن أصل الأجرة ٦٧ دولاراً، ولكنهم خفضوها لأجل جوازي السياسي (الدبلوماسي).

ومن المعلوم أن (هونو لولو) عاصمة ولاية هاوايي الأمريكية، وتقع في وسط المحيط الهادئ، اكتشفها للأوربيين الكابتن وليم براون عام ١٧٢٤م..

يوم الأحد:

مغادرة هونو لولو:

لم أقم في هذه السفرة بجولات في (هونو لولو)، واستطلاع لعالمها لأنني فعلت ذلك من قبل، وشعرت بأنني قد شفيت النفس منها.

ففي الثانية عشرة والربع بعد منتصف الليل دفعت لفندق (هولدي إن) أجرته وغادرت الفندق بعد ربع ساعة مع سيارة أجرة كبيرة الحجم إلى المطار، فكانت الأجرة اثني عشر دولاراً أمريكياً حسبما سجله عداد السيارة.

وفي الواحدة صباحاً كنت أقف مع الواقفين عند مكاتب الترحيل لشركة الخطوط الفلبينية التي سأسافر معها إلى (مانيلا)، وكان في تذكرتي مرور إلى طوكيو، أي أنها من (هونو لولو) إلى طوكيو، ثم إلى (مانيلا)، غير أنني ألغَيْت زيارة طوكيو من رحلتي لضيق الوقت الذي أنفقت منه كثيراً في أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى، فقطعوا التذكرتين معاً إلى (مانيلا).

وعندما تجمع الركاب عند البوابة وأكثرهم من الفلبين كان منظرهم يلفت النظر ويشد الانتباه، فقد بدت مظاهرهم أصغر مما عهدت عندنا أو في جنوب شرق آسيا، وذلك بالمقارنة بالأمريكيين وذوي الأصل

الأوربي في هذه الجزيرة الذين كان الواحد منهم يبدو وسط الفلبينيين عملاقاً ضخماً.

المسافة الطويلة :

وفي الثالثة والنصف صباحاً كانت الطائرة الفلبينية تغادر مطار (هونو لولو)، وهي من طراز بوينغ ٧٤٧ العملاق، وأعلنوا أن الطيران سيكون مباشراً إلى (مانيلا) دون توقف، وأنه سوف يستغرق عشر ساعات كاملة.

إن هذه المسافة طويلة، فهو أطول جزء في رحلتي هذه التي أعود فيها إلى الوطن، ولا يقاربها إلا طيران الطائرة الفنزويلية التي ركبناها من مدينة لشبونة عاصمة البرتغال إلى كاراكاس عاصمة فنزويلا، واستغرقت تلك الرحلة تسع ساعات.

وفور أن استوت الطائرة في الجو، وكانت الساعة هي الرابعة فجراً، قدموا طعاماً أسموه طعام الإفطار، ثم أطفأوا الأنوار بعده في الطائرة، فساد الظلام الذي كان مطبقاً أيضاً خارج الطائرة إذْ كانت تطير فوق المحيط الهادئ العظيم في ظلمات بعضها فوق بعض.

شروق المحيط :

نحن متجهون جهة الغرب لذلك يبدو طيران الطائرة وكأنما هو هروب من الشمس، وهكذا كان إذ استمر الليل ولم تشرق الشمس إلا بعد الساعة العاشرة ضحىً حسب توقيت (هونو لولو) التي غادرناها، أما المنطقة التي تحتنا من المحيط فإننا لا نعرف توقيتها.

وعندما أزحت ستارة النافذة أسفرت عن منظر جليل، بل إنه الرهبة والجلال، وهو منظر المحيط الواسع الذي لم يصل إنسان إلى قعره حياً، حتى

ولو حاول أن يغوص فيه غوصاً، لأنه إذا سلم من أي عارض لم يسلم من وقوعه تحت ضغط المياه الهائلة الوزن التي تكون فوقه فتعصر بثقلها جسمه حتى تتفجر شرايينه، وذلك بعد أن ينزل إلى أعماق بعيدة منه من دون أن يكون وسط غواصة أو أي شيء يقيه ضغط الماء، ويكون ذلك الشيء قوياً جداً حتى يسلم هو من الضغط الشديد أيضاً.

وقد تراكمت سحب ثقيلة فوق المحيط، وانتصبت قمم منها حتى صارت كالجبال إلا أنها كانت ذات منظر مهيب، إذ انعكست عليها أشعة الشمس الذهبية وهي تطل على صفحة هذا المحيط، فبدت تلك الجبال من السحاب كأنما جللت بلجين مذاب.

كان المنظر رائعاً أطار عني الوسن، ولذلك صرت أحادث جاري في الطائرة، وقد صحا مثلي من نومه، فذكر أنه كندي يعمل مع الأمم المتحدة، وأخبرني أنه قد زار العديد من أقطار العالم بحكم عمله، فصرنا نتبارى في ذكر البلاد القصية من العالم التي زرناها، وقد عجب من شيئين لاحظهما؛ أولهما كثرة عدد البلدان التي زرتها من العالم، والمعلومات التي أعرفها عنها - كما قال -، والثانية: سرعتي في الكتابة، فقال: إنه يعتقد أنني كاتب ومؤلف، فقلت له: لقد أصاب حدسك.

وكانت خدمة الطائرة جيدة كما كان الطيران مريحاً.

وعندما بقيت ساعتان على الوصول قدموا وجبة كاملة بمثابة وجبة الغداء.

وقبيل الوصول كثرت رؤية الجزر الصغيرة الخضر، وكلها مغطاة بأشجار الغابات، ولاحظت أنه كلما كانت الجزيرة مرتفعة أكثر في صفحة البحر كانت خضرتها أكثر، وأقلها خضرة تلك الجزر التي لا تعلو كثيراً عن مستوى سطح البحر.

ويرى المرء المنازل على سفوح التلال في هذه الجزر أكثر مما يراها على شاطئ البحر.

وعندما قربنا من الوصول كان أكثر المناظر ظهوراً نهراً ضخماً، وضباباً غير كثيف، لأن الساعة الآن هي السابعة والربع صباحاً بتوقيت (مانيلا)، لأن طيران الطائرة كان إلى جهة الغرب كما قدمت.

في مطار مانيلا :

هبطت الطائرة في الساعة السابعة والثلث صباحاً بتوقيت (مانيلا)، وهي الواحدة والثلث ظهراً بتوقيت (هونو لولو) التي قدمنا منها، فالفرق بينهما في التوقيت هو ست ساعات، وليس هذا بالغريب، وإنما الغريب عند من لم يألفوا الأمر هو أننا غادرنا مطار (هونو لولو) في الثالثة والنصف من يوم الأحد، ولم تمض من ذلك اليوم إلا هذه الساعات الثلاث وثلث الساعة، ووصلنا بعد طلوع شمس ذلك اليوم بنحو نصف ساعة، فوجدنا ان اليوم ليس هو يومنا الأحد الذي كنا فيه في (هونو لولو)، وإنما هو يوم الإثنين، أما يوم الأحد بالنسبة إلى أهل (مانيلا) فإنه كان يوم أمس الذي هو يوم السبت لأهل (هونو لولو)، فخسرنا يوماً في هذه الرحلة هو يوم الأحد.

أو هكذا بدا الأمر.

وذلك لكوننا قد اجتزنا خط الطول الدولي الذي يسمى: (خط التاريخ الدولي)، وهو يقطع الأرض كما تقطعها خطوط الطول من الشمال إلى الجنوب ويمر فوق المحيط الهادئ، وكل من اجتازه مغرباً خسر يوماً واحداً بمعنى أسقط من حسابه يوماً واحداً، وكل من اجتازه مشرقاً كسب يوماً واحداً أي حصل على عكس من اجتازه مغرباً.

يوم الإثنين:

مع أنه لم تغرب علينا شمس يوم الأحد الذي قبله.

وكان إعلان الطائرة قبل الهبوط في المطار بالإنكليزية تليها اللغة الفلبينية التي يسمع المرء فيها كلمات عربية، منها كلمة: (سلامت) بمعنى مع السلامة أو وداعاً.

وهذا شيء كنت أسمعه كثيراً في الطائرات الإندونيسية والماليزية حيث يقولون في الوداع: (سلامة داتنغ)، وفي الاستقبال: (سلامة جالانغ).

هبطت الطائرة في مطار كبير طويل المدارج، رحب الساحات، وقد تأخرنا عند ضابط الجوازات، ولا أدري السبب، بخلاف ضابط الجمرك الذي ما أن رأى جوازي (دبلوماسياً) حتى أذن لي بالمرور بسرعة دون تفتيش.

في مدينة مانيلا:

التف المتطفلون وعارضو الخدمات كالحجز للفنادق، وأصحاب سيارات الأجرة، كل يعرض عليك ما عنده، ويريد أن يستأثر بك دون غيره.

ولاحظت أن كلامهم حول أجرة السيارة وحول الفنادق فيه مبالغة تبين بعد ذلك أنها كذب منهم، وليست مجرد مبالغة، ولم يكن من المناسب وأنا الغريب الوحيد من دون رفيق أن أعول على كلام هؤلاء الكذابين.

لذلك ذهبت إلى مكتب للسياحة فسألته عن أجرة السيارة التي توصلني إلى فندق كنت أخذت اسمه من مضيف في الطائرة قبل قليل، وهو فندق قال عنه إنه جيد، وإنه في وسط المدينة، وطلبت من المكتب أن يستأجر لي السيارة حتى يعرف السائق الذي أركب معه.

وقد أرسل المكتب معي موظفة فيه استأجرت سيارة توصلني إلى فندقي بـ (٥٠) بيزو أو بيزه كما كنا نقول في القديم، وأصل الكلمة

إسباني بلفظ (بيزيتا)، وهو تحريف للكلمة العربية (بسيطة) التي هي عملة كانت رائجة في الأندلس إبان الحكم العربي.

سارت السيارة مع طريق جيد يحاذي البحر الذي تقع عليه أبنية جيدة متعددة الطوابق ذات طابع خاص، وبعض الأبنية تلوح عليه سيما الطابع العربي الأندلسي، وقد ورثوه من إسبانيا خلال حكمها الطويل على الفلبين.

والسيارة نفسها جيدة مكيفة الهواء، إلا أن زحام السيارات على الطريق كان بالغاً، وبعضها كانت تنبعث منه أدخنة كريهة اللون والرائحة.

وأكثر ما يسترعي الانتباه أنهم يستخدمون سيارات الجيب الكبيرة بمثابة سيارات للأجرة العامة، بمعنى التي يركب فيها الراكب مع غيره وينزل دون منتهى سيرها حيث يركب مكانه آخر.

وقد أخذ السائق منذ أن ركبت يحدثني عن نفسه، كما كان يحدثني عن الخمسمائة (بيزو) بأنها قليلة، ولا تكفي، وأن الناس يأخذون في العادة أكثر من ذلك.

وقد عرض عليَّ أن يذهب بي إلى فندق آخر غير الفندق الذي سأذهب إليه، وصار يعرض كل شيء في الفلبين يقول إنه يستطيع أن يوفره لي.

هذا وأنا لا أزيد على رفض طلبه متعللاً بأنني مضطر إلى النزول في ذلك الفندق لا أريد غيره، وذلك بهدوء تام، وعدم اضطراب، لأنني وحيد معه ولا آمن من مضايقته، وإلا فإن اسمي واسمه في سجل مكتب السياحة في المطار.

وقد وصلنا إلى ذلك النهر الكبير الذي رأيته من الطائرة وقال السائق: إنه نهر مانيللا الذي يقسم العاصمة إلى قسمين من الشمال إلى الجنوب.

وقد ذكرت التحذيرات التي أسداها إليَّ عدد من الذين التقيت بهم قبل الوصول إلى مانيللا، ومنهم جاري في الطائرة الكندي الموظف في الأمم

المتحدة، وقد أخبرته أن هذه هي المرة الأولى التي أصل فيها إلى الفلبين، فكان مما قاله إن أهل الفلبين ليسوا طيبين في معاملتهم كأهل تايلند.

وحتى خادم الفندق الذي نزلت فيه عندما حمل معي حقيبتي ووضعها في غرفتي أعطيته حلواناً (بقشيشاً) فقال لي: احذر من الناس هنا ولا تثق بأحد.

وصلت الفندق الذي قصدته، واسمه: إمبريوم مانيللا فصرفت منه الدولار الأمريكي الواحد بثماني بيزات، وأعطيت السائق أجرته خمسين، وتساوي ستة دولارات وربعاً مع زيادة من عندي قليلة، فألح على أن يعود إليّ ليأخذني إلى أي مكان أريده، أو أي شيء يعجب السياح.

وأنزلوني في غرفة في طابق عال من الفندق، وهي جيدة واسعة، وأهم منظر شاهدته منها منظر منارة وقبة لجامع كبير.

ولم أطق صبراً على اللبث في الغرفة رغم حاجتي للراحة، فخرجت في جولة على قدمي حول الفندق، وهو في منطقة تجارية مهمة من وسط المدينة.

ولاحظت ان معظم المتاجر تغص بسلع رخيصة إلا أنها غير جيدة، بعضها من صنع بلادهم، وبعضها مستورد من الصين وأمثالها من البلدان الرخيصة.

وعلى سبيل المثال رأيتهم يبيعون الأحذية التي تصنع من المطاط، أو من الشراع بدولارين إلى ثلاثة.

كما لاحظت رخص الفواكه الاستوائية المحلية التي تبيعها النساء، وكذلك المتاجر الصغيرة تقوم عليها النساء، فالقطعة من فاكهة (الباباي) مثلاً تباع ببيزو واحد بمعنى أن ثماني قطع منها بدولار واحد، وقد لفوها باللدائن لتقيها الذباب والغبار.

ولاحظت هنا كثرة البائعات حتى في المتاجر الكبيرة، فهن فيها أكثر

من الرجال، مثلهن في ذلك مثل أهل تايلند وكوريا ، وأكثرهن كالكوريات يسارعن بالابتسامات ومحاولة جذب المشترين بأية حركة أو إشارة ولو كانت غير لائقة ، ولا تستحيي الواحدة منهن أن تحدق في الرجل ولا تصرف نظرها عنه.

أما من ناحية الجمال فالكثرة الكاثرة منهن لا يرى العربي في وجوههن ما يدعوه إلى تكرار النظر إليها ، إلا أن طائفة منهن فيها جمال ظاهر، وهؤلاء يعتبرن من المختلطات اللائي يجري في عروقهن شيء من الدم الإسباني نتيجة للاستعمار الطويل الذي خضعت فيه هذه البلاد الفلبينية لإسبانيا.

وقد بلغ بهم تقديم النصائح أن أهل الفندق نصحوني ألا أصرف الدولار خارج الفندق ولو بزيادة، لأن الباعة يخادعون حتى في عد النقود ، وليست هذه النصيحة من المنتفعين منها في الفندق، وإنما الفندق كبير في مكاتب الاستقبال منه خمس موظفات لا يستفدن من ذلك، وإنما دافعها النصيحة لغريب لا يعرف من الأمور شيئاً في هذه البلاد.

كما نصحوني - لذلك - ألا أشتري البضائع بنفسي إلا بحذر، وأن يكون ذلك من المحلات التجارية الكبرى.

جولة سياحية :

أسرعت إلى الحجز مع جولة سياحية هذا اليوم من مكتب للسياحة في الفندق الكبير الذي أنزل فيه، وذلك من أجل اغتنام الوقت.

وقد بدأت الجولة متأخرة ثلث ساعة عن الموعد الذي كانوا حددوه من قبل، واعتذروا بسبب كثافة الزحام، وهو أمر صحيح رأيته فيما بعد.

كان رفقاء الجولة من اليابانيين، وفيها رجل من ألمانيا الغربية ،

وأمريكي من كلفورنيا.

انطلقت الحافلة الصغيرة مع شارع لوتان وهو جيد واسع إلا أنه قد امتلأ على سعته بالسيارات والمركبات الأخرى كالدراجات.

ولم أرهم يتقيدون بأنظمة المرور تقيداً كاملاً، ولذلك قد يطلقون أبواق السيارات دون داع نعرفه، وقال دليل الجولة: إن السائقين هنا يخالفون النظام، ولا يخافون من الشرطة.

ولمناسبة كثرة الحافلات الصغيرة التي هي من سيارات (الجيب) الكبيرة أو شبهها تكلم السائق عليها فذكر أنها مهمة لأن أكثر الناس يستعملونها وسيلة رخيصة للانتقال، وهم يتأنقون فيها فيجملونها بالرسوم الملونة والنقوش والصور، بل (الدناديش) التي يعلقونها عليها.

ومن الغريب الذي استرعى انتباهي بقوة أنني رأيتهم يحرقون القمامة في جانب شارع رئيسي مع أن العمال عندهم كثير وأجورهم رخيصة، ويمكنهم لذلك أن ينقلوها فيبعدوها عن المدينة.

وربما كان عذر البلدية أنها لا تملك المال الكافي الذي تدفعه أجوراً لأولئك العمال.

وهذا ليس بعذر لأن المدينة كبيرة حافلة بالمتاجر وبالمؤسسات الأخرى التي يمكن فرض ضريبة نظافة عليها.

نهر باجي:

مررنا فوق جسر على نهر اسمه (نهر باجي) فأبصرنا مسجداً جامعاً ذا قبة ذهبية الطلاء، وتنتصب حولها منارة يعلوها هلال كبير، وكذلك فوق القبة هلال أيضاً.

ولاحظت أن السائق يتبادل مع الدليل كلمة (سلامات) العربية، فذكر لي الدليل أن معناها (شكراً)، ولا أدري صحة ذلك.

أول جامعة:

مضت الحافلة تنتقل من شارع مزدحم إذا اعترضه شارع مزدحم آخر ركب على جسر بحيث لا يتعارض المرور فيه مع الشارع الآخر، فوصلنا أول جامعة أنشئت في الفلبين، ذكر الدليل أنها أنشئت في عام ١٦١٠م، واسمها (جامعة سانتو)، وهي جامعة أهلية غير حكومية لا بد للطالب فيها من أن يدفع رسوماً من النقود لقاء دراسته فيها.

ومع ذلك ذكر الدليل أن فيها ٥٥ ألف طالب ما بين ذكور وإناث، وذكر بهذه المناسبة أن في مانيللا سبع جامعات.

ومعلوم أن سكان مانيللا يبلغ عددهم ثمانية ملايين نسمة.

البيع عند إشارة المرور:

تركنا منطقة الجامعة والمنطقة المزدحمة ذات الأبنية المتعددة الطوابق، فوصلنا إلى حي ذي بيوت متطامنة أغلبها من طابق واحد تركيبها سقوف من الصفيح، أو من الإسمنت المسطح غير المسنم مع أن البلاد تشهد موسم أمطار كثيفة، والعادة أن تكون السقوف في جميع البيوت في مثلها مسنمة من أجل أن تنزلق عنها مياه الأمطار في موسم الأمطار.

وكان أول ما يسترعي الانتباه أنه ما أن تقف السيارة عند إشارة المرور حتى يبادرها البائعون المتجولون بعرض ما معهم من السلع أو المعروضات التي رأيتها تكثر فيها باقات الزهور.

أنهار مانيللا:

اجتزنا جسراً فوق نهر في حي من المدينة يسمى (ناجيتا هن)، وقال الدليل: لدينا ثلاثة أنهار في مانيللا، ونوه بأنها أنهار رئيسية، يريد أن هذا العدد لا يشمل فروع النهر أو القنوات التي شقت من نهر كبير.

ثم وصلنا إلى شارع رئيسي آخر اسمه (كرينوا فينو) نوه الدليل بذلك، ولكنه أخذ يشرح ويثرثر بأشياء غير مهمة.

ثم أخذ يتكلم على أحوال عامة من أحوال الفلبين بعضها مفيد مثل قوله: إن اسم (الفلبين) مأخوذ من اسم ملك إسبانيا فيليب عندما كانت الفلبين مستعمرة إسبانية.

وقوله: إن في الفلبين ٧٧٠١ من الجزر، منها ثلاثمائة جزيرة مسكونة.

حي ماتاسي:

وصلنا جسراً إسمنتياً مقاماً على مفرق للطرق في حي اسمه (ماتاسي) فيه قسم حديث مؤلف من دارات (فيلات) غارقة في الحدائق، إلاّ أن الشارع فيه قد زرع جانباه بالحشائش الخضر بدلاً من الأرصفة، وقد رأيت مثل هذا في شوارع عديدة في مدن أستراليا.

ولا أدري المناسبة التي نوه فيها بأن أجر العامل في الشهر هو في حدود خمسمائة بيزو، ويساوي ذلك ثلاثة وستين دولاراً أمريكياً.

المقبرة التذكارية:

أوقف السائق حافلته الصغيرة عند مقبرة واسعة هي المقبرة التذكارية للجنود الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية، وذكر الدليل أنهم ينتمون إلى جنسيات عديدة، وأن عدد القبور في هذه المقبرة هو (٣٦,٠٠٠)، وعلى كل

قبر صليب، وفيها نصب كبير نقشوا عليه صورة مريم أم المسيح - عليهما السلام-، وفي جانب المقبرة حجرات داخلها صور وبيانات تتعلق باستقلال الفلبين، وصور أخرى تمثل العمليات التي قام بها الجيش الأمريكي في منطقة المحيط الهادئ أثناء الحرب، وصور أخرى تمثل عمليات حربية جرت في الصين وبورما والهند.

وصورة مهمة أبرزت بالرسوم ما حصل في معركة رئيسية اسمها (ميد وي) بمعنى وسط الطريق، وقد وقعت في شهر يونيو عام ١٩٤٢م في المحيط الهادئ، وكذلك معركة تسمى (بحر الفلبين) وهي بين أمريكا واليابان، ولذلك صوروا قطع الجيش الأمريكي التي اشتركت في المعركة في أحجام كبيرة واضحة.

وقد علقوا قوائم طويلة ضخمة كتبوا عليها أسماء الرجال من الأمريكيين والفلبينيين الذين قتلوا في هذه الحرب، ولكن لا تعرف قبورهم، ولم يعثر على جثثهم، وأعدادهم كثيرة بل ضخمة.

وكان في السياح المرافقين امرأتان يابانيتان لم تحزنا لهذه القوائم، بل ضحكتا ضحكة إعجاب عندما ذكر الدليل أن رجال الجيش الياباني الذين قتلوا أكثر هؤلاء المعروف عددهم سبعون ألفاً.

اسم مانيلا:

قال الدليل ونحن نهم بركوب الحافلة: إن اسم (مانيلا) مأخوذ من اسم (راجا سليمان مانيلا) الذي كان يحكم هذه المنطقة قبل وصول الإسبان.

وراجا: ملك، ولم يقل الدليل إن الملك سليمان كان مسلماً، وإن اسم مملكته: (أمان الله)، ومنه أخذت كلمة (مانيلا)، ولكن هذا أمر معروف

لجميع المهتمين بالتاريخ.

ومعروف أيضاً أن الفلبين كانت فيه من الممالك الصغيرة المسلمة والسلطنات التي تشبه تلك السلطنات الموجودة في بلاد الملايو، فقضى الإسبان على أكثرها، وحولوا عدداً من أبناء البلاد إلى النصرانية، حتى أصبح النصارى أغلبية في شمال الفلبين.

وذكر الدليل أن اللغات المنتشرة في البلاد هي ثلاث: الإنكليزية، والإسبانية، و(تاجالو)، وهي اللغة الوطنية وأكثر انتشاراً في البلاد من اللغتين الأخريين.

سارت الحافلة وسلكت شارعاً يسمى (شارع أيالا)، أو (أيالا أفنيو) ولم أر فيه ما يسترعي الانتباه.

ثم مررنا بشوارع أرصفتها قد تكسرت، وفيها مخلفات من الطين والأحجار المهملة.

واللافت للنظر أن بعض الجزر التي تفصل بين طريق الذاهب والآيب من الشوارع الرئيسية تكسوها الأعشاب أو الحشائش، ولكنها يابسة وغير نضرة مع أن البلاد لا تعتبر بلاداً جافة بل هي بلاد مطيرة.

وعلى ذكر المطر ننوه بأن الفلبين ليس فيها فصول أربعة كالتي تكون في البلدان المعتدلة، وإنما زمنها كله مقسوم على فصلين: أحدهما ممطر، وهو الشتاء. والثاني: جاف، وهو الصيف حينما نحن الآن.

كما شد انتباهي الشبه ما بينها وبين بانكوك في تايلند لولا أن العناية بالمرافق العامة في بانكوك أكثر منها في مانيلا، ما عدا أماكن معينة من هذه المدينة كالمناطق السياحية، وحتى الناس هنا فإنهم لا يبعدون في الشبه عن التايلنديين في المظهر، إلا أنهم يخالفونهم في المخبر، فالناس في تايلند

أكثر هدوءاً، وأبعد عن الجرائم، أو قل إنهم أقل عدوانية من الفلبينيين، وفيما يتعلق بمعاملة الغرباء هناك فرق واضح لصالح أهل تايلند.

وقد أوقف الدليل سيارته عند بناء كبير اسمه (مانيللا فيلم سنتر) أخذ يتكلم على ضخامته بإعجاب، ويكرر القول المجوج عنه مع أنه لا يعني للسياح شيئاً لأن أكثرهم لديهم في بلادهم مثله، أو أجمل منه.

ولاحظت أن الصباغ الذي تصبغ به أطراف الأرصفة مما يلي الشارع حتى يميزها سائقو السيارات في الليل هو مؤلف من الأصفر والأسود مثلما عليه الحال في بعض الأرصفة في المدن الإفريقية.

أما المعتاد منه فإنه يكون مقسوماً بين اللونين الأسود والأبيض.

الملعب الرياضي:

أشار الدليل باهتمام إلى ملعب كبير، وقال: هنا (الاستاد) الرياضي الذي لعب فيه محمد علي كلاي.

والملعب لا بأس بمظهره في الاتساع والعناية.

ميدان الطرطور:

ذهبنا إلى ميدان أحببت أن أسميه (ميدان الطرطور) وذلك أنهم أقاموا فيه مجسماً جمالياً اسمه (ثري ماسكس) وهو على هيئة شكل المخروط الذي تحيط به نجوم ورسوم رثة، ويشبه أن يكون من القش.

مركز الصناعات اليدوية:

أوقف الدليل سيارته وطلب منا أن ننزل عند مركز الصناعات اليدوية المحلية، وذلك للاطلاع وشراء ما يرغب السياح بشرائه.

وقد تجولنا فيه فوجدناه حافلاً بالمصنوعات المحلية من الأصداف والجلود وقرون الحيوان.

وفيه قسم واسع لأشغال الإبرة والتطريز.

وكل المعروضات فيه رخيصة، وفيها أشياء جميلة، ولكن المشكلة في حمله في الطائرة، وقد اشتريت منه سفرة، وهي التي توضع تحت إناء الطعام، وهي مصنوعة من الودع الذي رصف فيها رصفاً وفق عمل بديع، وفيها أشكال هندسية جميلة، وقناعين من الخشب، وقلائد من الودع الصغير الخفيف.

ومن عنايتهم بالدعاية هنا أن المسؤولين عن المركز بادرونا عندما دخلنا المكان بأن قدموا لكل واحد منا قلادة من الصدف الخفيف هدية تذكارية.

ثم سارت الحافلة الصغيرة والدليل يذكر أشياء لا تستحق الذكر حتى وصلنا إلى الميناء، وأشار إلى السفن الراسية فيه، ولم نرها كثيرة ولا لافتة للنظر، ولذلك لم يهتم القوم بها كثيراً ولم يبالوا حين تجاوزه سائراً إلى:

الحديقة الوطنية:

أو المنتزه الوطني، ويسمونه: (ناشنال بارك)، وهي حديقة واسعة فيها قسم فيه زهور، وأكثرها أشجار وارفة الظلال، وأعشاب كثيفة في الأرض.

إلا أنها غير منسقة كما ينبغي، ولعل مرد ذلك إلى كونه منتزهاً وطنياً وليست حديقة كاملة التنسيق، والمنتزه الوطني يترك معظمه على حاله الطبيعية من غير تغيير، بخلاف الحديقة المنسقة.

من عهد الملك المسلم:

مر بنا الدليل بحافلته مع سور قديم منوهاً بأنه بني في عهد (الملك

سليمان) أو (راخا سليمان) على حد نطق الدليل.

و(راخا) هي راجا التي تعني الحاكم، أو الملك، واشتهر بها ملوك المقاطعات والممالك الصغيرة في الهند، وهم اشتهروا بلفظ (مهراجا)، وعرف المسلمون في الهند في عهد اندثار الدولة المغولية العظمى في الهند المهراجا، والنواب، فالمهراجا هو الملك أو الحاكم الهندوكي، والنَّواب - بفتح النون - هو الملك أو الحاكم المسلم.

ومع ذلك فإن راجا، أو الملك سليمان كان ملك سلطنة مانيللا، وكان مسلماً حارب الإسبان، وحاربوه حتى قتلوه.

وقد حاول الدليل بقوة أن يسترعي انتباهنا إلى كنيسة كبيرة مررنا بها.

في سوق تجاري:

كات نهاية الجولة أن أوقف الدليل سيارته عند سوق تجاري لا يبعد كثيراً عن فندقنا: (فندق إمبريوم).

وقال: هنا النهاية، وتركنا نتجول في السوق الحافل بالمتاجر الكبيرة التي لا يرى المرء فيها شيئاً مهماً أصيلاً للفلبين، فأكثر البضائع فيه حديثة، منها مصنوعات من مصنوعاتهم، ومنها بضائع مستوردة.

وقد تجلت طبيعتهم في هذه السوق من الصخب، ومحاولة استغلال مبتغي الشراء، مما جعلني أقارن في ذهني بينهم وبين التايلنديين الذين يشبهونهم شبهاً كبيراً من حيث المظهر، إلا أنهم يختلفون عنهم من حيث الهدوء، وحسن المعاملة مع الغريب.

كما ذكرت الأندونيسيين والماليزيين الذين يقربون منهم في المظهر أيضاً، ولكنهم أرقى منهم في الأخلاق، وافضل منهم في التعامل، فضلاً عما

اشتهر به هؤلاء الفليبينيون من كثرة الجرائم بالنسبة إلى قلتها عند جيرانهم الذين يشتركون معهم في قصر القامات، وفي المظهر الملايوي العام كالتايلنديين البوذيين، والأندونيسيين المسلمين.

ولا شك أن كثرة الجرائم عند الفليبينيين، وقلتها عند جيرانهم الملايويين ليس مرجعها إلى الاختلاف في العنصر أو الشكل الخارجي، وإنما ذلك لاختلاف في التربية.

فالفليبينيون هم الشعب الوحيد في المنطقة الذي يؤلف المسيحيون الأكثرية بين سكانه على حين أن الأقطار الأخرى إما مسلمة بأكثريتها كأندونيسيا وماليزيا، أو بوذية بأكثرية سكانها مثل تايلند وأقطار الهند الصينية الثلاثة، وهي: فيتنام ولاوس وكمبوديا.

وهذا يؤكد ما هو معروف من كون التربية تؤثر في سلوك الناس وانصياعهم للقوانين أكثر من أصلهم العنصري.

ولم تكن هذه الفقرة تعني نهاية صحبة الدليل وإن كانت الجولة قد انتهت ذلك بأنها اشتملت على عشاء في فندق كبير يتألف من تسعة عشر طابقاً أعلاها يستدير كما تستدير عقارب الساعة بحيث يتم دورانه في ساعة كاملة من دون أن يشعر الجالس فيه بحركة إلا إذا تأمله، أو صار ينظر إلى شيء ثابت كمبنى كبير متميز، فإنه لا يشعر إلا باختفائه عن نظره بسبب دوران هذا الطابق الأعلى من الفندق الذي جعلوه مطعماً.

ثم عدت إلى فندقي وقد استحكم الظلام فوجدتهم قد وضعوا حراسة على مصعده لم أرها في النهار، فذكروا أنهم يحرسون مصعد الفندق في الليل دون النهار، وكذلك يحرسون مدخل الدرج الصاعد إلى الغرف.

يوم الثلاثاء: ٢٦/ ١/ ١٤٠٢هـ.

أنحن في إفريقية؟

تمشيت ضحى هذا اليوم في سوق للخضرات والأسماك غير بعيد من الفندق وصفه لي موظف في إدارة الفندق، وقد ذكرني هذا السوق بالأسواق الشعبية في القارة الإفريقية من كون أكثر المعروضات فيه - إن لم تكن كلها - تباع جزافاً، أو بالعدد، وليس بالكيل أو بالوزن، وفي كون الباعة فيه من النساء، وبضآلة المعروضات فيه، لولا أن الألوان هنا مخالفة لألوان الإفريقيين، فالصفرة التي تميل إلى البياض على وجه العموم هي الموجودة هنا كذلك بحثت في ذهني عن أسواق تجتمع مع هذا السوق حتى في اللون فوجدتها في أسواق مدغشقر حيث أكثرية سكان الهضبة الوسطى من مدغشقر التي فيها العاصمة (تاناناريف) هم من أصل ملايوي هاجروا إلى هذه الجزيرة الكبيرة قبل دخول الإسلام إلى بلاد الملايو وأندونيسيا، وبقيت غالبيتهم في مدغشقر على كفرها حتى الآن.

فتلك الأسواق المدغشقرية، وإن شئت اللفظ الرسمي قلت: (الملاقاشية)، فالبلاد هي مدغشقر، ولكن الشعب أسمى نفسه عند الاستقلال: (ملاقاش)، وهذه التسمية منحوتة من كلمتين هما في الأصل: الملايوي المدغشقري، أخذ بعض كلمة ملايوي وبعض كلمة مدغشقر فصارت: (ملاقاشي)، والمراد أنهم الجنس الملايوي الذي يعيش في مدغشقر، مع العلم بأنهم ليسوا وحدهم سكان مدغشقر، وإنما يخالطهم في سكناها أهل السواحل الذين ينتمون إلى الجنس السواحلي الذي نشأ في شرق إفريقيا وزنجبار من جنس مختلط من العرب والإفريقيين، وأوجد اللغة السواحلية التي نصفها أو أكثر من اللغة العربية، وهؤلاء ليست لهم علاقة عنصرية بالملايويين مثلهم في ذلك مثل سكان بعض السواحل الذين من الأفارقة

الخلص الذين انتقلوا إلى مدغشقر من إفريقية المجاورة.

وبينما كنت أفكر في ضآلة أجسام البائعات في السوق رأيت بعض الفواكه والمعروضات فيه أصغر مما هو معتاد عندنا ، فمثلاً الليمون الصغير المسمى (البنزهير) هو صغير الحجم بالنسبة إلى ما نعرفه منه في بلادنا بصفة لافتة للنظر ، ولكنني وجدته بعد ذلك كثير الماء ، ليناً ، إذ اشتريت منه شيئاً وقيمة الثمان منه بيزة واحدة ، ويبيعونه مثل غيره بالكومة الصغيرة ، وأكثر أكوام الخضرات تكون قليلة العدد إلا أنها رخيصة الثمن جداً حيث الكومة - والمراد بها القليل الذي يعد عداً ولا يوزن وزناً - تباع ببيزة واحدة ، وذلك لكثرة الراغبين في شراء هذه المقادير القليلة.

وأكثر المعروضات في السوق رخيص ، ما عدا بعض الأشياء المعينة كالبصل الذي يبيعون الكومة المؤلفة من ٤ أو ٥ رؤوس صغيرة جداً ببيزة واحدة ، والباميا يبيعون الكومة المؤلفة من ٦ أو ٧ قرون ببيزة ، وثمار الأنبة (المانقو) الواحدة بخمس بيزات.

ومن الأشياء الغالية الثمن النزرة المقدار فيه كما عرضوها للبيع الفاصوليا والبرتقال ، وهذه كما هو معروف من محصولات البلدان المعتدلة ، ولكنها تنبت عندهم من غير أن تجود كما تجود عندنا .

وهناك خضرات محلية غريبة وكثيرة.

ويغلب عدم العناية بالنظافة على السوق ، ففيه مثلاً منقع مياه صغير آسن مما يدل على طول مكث الماء فيه.

ومن اللافت للنظر أن طرف هذا السوق يتصل بسوق للبيع والشراء ، وقد جلس فيه البائعون الصغار هؤلاء أمام المتاجر والحوانيت ، وهذا خلاف العادة.

إلى السفارة السعودية :

ما رأيت أكثر كذباً ، أو تظاهراً بالكذب من سائقي سيارات الأجرة في مانيلا ، فقد طلبت من واحد منهم أن ينقلني إلى مكتب الخطوط التايلندية للحجز من بانكوك، وسألته قبل ذلك، وكررت عليه السؤال عما إذا كان يعرف المكتب المذكور، فأكد ذلك، ولم أركب معه إلا بعد أن كررت ذلك عليه.

ثم تبين أنه لا يعرفه، أو يتظاهر بذلك حيث ذهب بي إلى أماكن مزدحمة من قلب المدينة، ورأيته يسأل الناس عن مكتب الشركة التايلندية.

فلما أكثر من ذلك وخشيت أن يضيع الوقت، أو يذهب إلى مكان غير مناسب تركت سيارته ودفعت له أجرته.

ثم ركبت مع سائق أجرة آخر، وسألته عما إذا كان يعرف السفارة السعودية لأنني أريد الذهاب إليها فأجاب أنه يعرف، وكررت ذلك عليه أيضاً ، فصار كسابقه يقف ويسأل الناس، وكنت اتفقت معه على الأجرة قبل أن أركب، فصار بدلاً من أن يجيبني على سؤالي يتظلم ويقول: السفارة السعودية بعيدة، والأجرة قليلة، ثم يقف ويسأل عنها.

وفي السفارة قابلت الأستاذ لطفي جميل علاف، وذلك لكون السفير الأستاذ فوزي شبكشي غائباً عن السفارة، وبحثت معه ما يتعلق بالشؤون الإسلامية في هذه البلاد، وبخاصة ما استجد بشأن وضع المسلمين في جنوب الفلبين.

وقد أمرت السفارة أحد موظفيها المحليين، وهو مسلم فلبيني أن يهتم بأمر تذكرتي، كما قامت السفارة مشكورة برسم برنامج لزيارتي لبعض الأماكن والمساجد في مانيلا، ولم يكن عندهم علم بقدومي فضلاً عن أن يكون وردهم شيء عن ذلك من وزارة الخارجية، لأنني - كما قدمت -

كنت قادماً من أمريكا الجنوبية، وقد فارقت بلادي قبل أكثر من شهر.

وتقع السفارة في جزء ضخم من قلب المدينة ذي الأبنية الشاهقة الذي تزدحم فيه السيارات نافثة الدخان، ويصعب الوقوف فيه - على شارع اسمه: (أيالا أفنيو) -.

وقد أرسلت السفارة معي أحد الموظفين بسيارة السفارة فاخترقنا قلب المدينة غير المريح لكونه يعج بدخان الحافلات الكبيرة، والحافلات الصغيرة التي يستعملونها بمثابة سيارات الأجرة لكي تنقل الناس بالأجر، كل واحد يدفع أجرته بمفرده لمسارات معينة، كما تفعل الحافلات الكبيرة، إلا أن هذه تذهب إلى أماكن صغيرة لا تذهب إليها الحافلات الكبيرة، وتدخل شوارع ضيقة بحيث يجدها المرء أينما طلبها.

ومع هذا الجو المادي غير المريح في شوارع مانيللا، فإن هناك جواً معنوياً غير مريح أيضاً هو الذي أشرت إليه فيما سبق من عدم الثقة في سائقي السيارات وفي كثير من الناس، حتى إن المرء يسيطر عليه فيها هاجس يوحي إليه بأنه سيكون مخدوعاً أو مغرراً به من أحد.

وحتى في المطاعم والمقاهي - جمع مقهاة - لا يطمئن قلب المرء للعاملين والعاملات، وأكثرهم من النساء، كما يطمئن إلى التايلنديين مثلاً.

وعلى ذكر النساء أقول: إن كثيراً ممن يعرفون أنني عربي يسارعون إلى الحديث عن النساء وكثرتهن في الفلبين، وكأنما العربي لا يهمه من الدنيا إلا هذا الأمر، وإذا كان الأمر متعلقاً بمن لا يعرفك - كما هي الحال معهم - كان أخف وقعاً على النفس، لأنه لا يكون موجهاً إلى شخصك، وإنما لمجرد سائح عربي لا يدرون ماذا يريد، ولا يعرفون ما يحبه أو يكرهه.

مسجد المركز الإسلامي :

يقع في حي من مانيلا يسمى: (إسلامك سنتر) بمعنى: المركز الإسلامي، وذلك لكونه حياً أكثر سكانه من المسلمين الذين قدموا مانيلا من الجنوب.

ويقع على شارع اسمه (لبلانكا) من منطقة مانيلا

استقبلنا فيه مدير المركز (كورنيل) ولا أذكر بقية اسمه، فجلسنا معه ومع بعض المسلمين الذين ارونا مسجد المركز الإسلامي، وحدثونا أنه أصلح في هذا العام من تبرعات قام بها متبرعون سعوديون، وليس من المؤسسات الرسمية، وذلك أن أحد السعوديين جمع بنفسه من المتبرعين مبلغاً لهذا الغرض. ولا يزال المسجد يحتاج إلى مزيد من التبرع من أجل تكملته.

وفي هذا المركز الإسلامي مدرسة اسمها: (معهد مانيلا الإسلامي) رئيسها الأخ عبد المجيد بن قولين بن أبو بكر[1]، ولا يزال العمل جارياً في مبنى المعهد، ولذلك وجدنا الدراسة متوقفة انتظاراً لاستكمال المبنى كما يقولون.

ويبلغ عدد الطلبة في المعهد (٢٧٥) طالباً موزعين على قسمين فيه، هما الابتدائي والتحضيري، وتقتصر برامج الدراسة فيه في الوقت الحاضر على الموضوعات الإسلامية والعربية، ولكنهم يأملون - كما يقولون - أن يدخلوا فيها بعض المواد المدنية التي تدرس في المدارس الحكومية حتى تعادل الحكومة شهاداته بشهادات المدارس الحكومية من أجل أن يواصل المتخرجون دراستهم في المعاهد والكليات الحكومية وغيرها.

ومع توقف الدراسة فإننا نرى أعداداً من أطفال المسلمين يلعبون في

---

(١) أبو بكر: اسم وليست كنية، ولذلك لا تعرب بالحركات كالأسماء الخمسة.

ملعب المعهد، ويلاحظ المرء من سحنهم شيئاً من الفرق ما بينهم وبين مواطنيهم من المسيحيين وبخاصة أهل الشمال، فيخيل إليه أن المسلمين أقرب إلى الماليزيين.

المسجد الذهبي:

سمي بذلك لكون طلاء قبته البارزة باللون الذهبي، وهي قبة كبيرة عربية الطراز مبنية على غرار القبة التي تعلو القبر الشريف في جانب المسجد الشريف النبوي.

وجدنا المسجد واسعاً تعلوه أقواس عربية جميلة.

كان وصولنا إليه قبل أذان المغرب بثلث ساعة إذْ كنت استرحت في الفندق بعد الظهر، ثم ذهبت مع موظف السفارة إلى ذلك المسجد الكبير الشهير من أجل الاطلاع عليه وأداء صلاة المغرب فيه، وقد وجدنا الناس فيه كثيراً في انتظار أذان المغرب ثم الصلاة، وبينهم جماعة من الإيرانيين والماليزيين إضافة إلى المواطنين.

فقمنا بجولة في داخله، فكان أول ما استرعى انتباهي أن محرابه مزين مزوق، ونوافذه عربية ذات زجاج ملون بألوان جميلة.

وفي جانب المسجد حديقة صغيرة جميلة، وهو واقع على ضفة فرع من نهر باسي - بالسين لا بالجيم -، وله فناء جيد في وسطه نافورة وبركة للمياه، وخلفها مصلى النساء.

وقد بني في عام ١٩٧٦م على نفقة الدولة الفلبينية، وبأمر من الرئيس فرديناند ماركوس، من باب المجاملة للمسلمين الذين لم يستطيعوا أن يبنوا بجهودهم الخاصة مسجداً كبيراً لائقاً بهذه المدينة الكبيرة على حد تعبيرهم.

قابلنا إمام المسجد الشيخ عبد الرحمن مقاصدي، فحدثنا ومعه بعض

الإخوة بما سبق وغيره من شؤون المسجد.

ثم عدنا إلى الفندق مع شارع رئيسي اسمه: (روهاس بوليفار) وهو الذي قدمنا معه من المطار، ويقع جزء منه على شاطئ البحر، وقد غرسوا على جانبه نخيل النارجيل مثلما تغرس نخيل التمر في الأماكن المهمة عندنا.

يوم الأربعاء ٢٧/ ١/ ١٩٨٢م.

مغادرة مانيللا:

ذهبت صباح اليوم مع موظف السفارة للحجز من شركة الطيران التايلندية إلى بانكوك، وذلك لكونه لا يوجد طيران مباشر بين مانيللا وبلادنا، ولكوني قد اتفقت مع رفيقي في الرحلة إلى أمريكا الجنوبية والوسطى الرائد عبد الرحمن العريفي على أن نلتقي في بانكوك بعد أن اتفقنا في مطار مكسيكو عاصمة المكسيك، فذهب هو منها إلى اليابان، وذهبت إلى مانيللا على أن نجتمع في بانكوك لنتحرر التقرير عن رحلتنا الطويلة هذه التي شملت عدة أقطار من أمريكا الجنوبية والوسطى وأقطار البحر الكاريبي، وهو البحر الذي يفصل بين الأمريكيتين: الشمالية والجنوبية، أما أقطار أمريكا الوسطى فإنها اللسان الضيق من الأرض الذي يصل ما بين الأمريكيتين، وكنا زرنا من أقطاره في هذه الرحلة: كولومبيا، وبنما، وكوستاريكا.

قال لنا الموظف في مكتب الشركة التايلندية: إن الحجز في رحلة هذا اليوم - وهي تقوم عصراً - فيه صعوبة لكثرة الحاجزين، ويمكنكم الانتظار قليلاً، ثم رأينا أناساً يأتون إليه بعدنا فيحجز لهم، وأخبرني موظف السفارة الذي معي، وهو فلبيني يعرف العربية، أنه سمع الموظف يتكلم مع هؤلاء بلغتهم ويحجز لهم قبل الآخرين.

ولم نستطع أن نحصل على حجز مؤكد، فخرجت إلى المطار على حجز الانتظار مؤملاً أن يكون المسؤولون عن الترحيل فيه أكثر انضباطاً، أو أن يتخلف أحد الركاب.

خرجت إلى المطار مع سائق سيارة أجرة أخذته بمعرفة الفندق الذي أسكن فيه، واتفقت معه على أن أدفع أجرته (٣٠) بيزة أو بيزو، وهي مأخوذة من الكلمة الإسبانية بيزيتا إبان أن كان الإسبان يستعمرون الفلبين، وأصلها من الكلمة العربية (بسيطة)، وهو اسم عملة عربية كانت معروفة في الأندلس، حسبما حدثني به أحد علماء المغاربة.

وودعت الموظفين في إدارة الفندق، وأكثرهم من الفتيات، وداعاً حاراً لأنني لم ألق منهم إلا الخير والمساعدة، وجعلت مع الوداع شيئاً من الحلوان (البخشيش).

وحالما ترك السائق الفندق أخذ يقول: إن المطار بعيد، والأجرة قليلة، ويجب أن تزيدني، إنه المطار الدولي، ويكرر كلمة (الدولي).

وهو يقول ذلك بانكسار وتذلل كما يفعل السائل المستجدي، ويطلب زيادة عشر بيزات، ثم أنقصها إلى خمس قائلاً: زدني خمس بيزوس من فضلك.

لم تكن (البيزات) الخمس مهمة لو كان أحسن الظن بي وسكت، ولو كان أحسن التصرف معي كما أردت، إذْ كان يقول ذلك وهو يدخن وسيارته قديمة، وفيها خلل لأنها تدخن من أسفلها، والحافلات الكبيرة تنفث الدخان مما ضايقني.

وقال لي مكتب الترحيل: إن حجزك غير مؤكد، وعليك أن تنتظر حتى قرب إقلاع الطائرة إلا أن رجلاً آخر رأى جوازي (دبلوماسياً) فقال لي: إنني سوف أنهي إركابك الآن، ولكن أريد (٥٠) بيزو مقابل تعبي، وقد

أنهى ذلك كله بسرعة، وقال لي وهو يودعني حيث دخلت إلى منطقة المسافرين: احذر من أن تترك حقيبتك اليدوية تفارق يدك، فقد يأخذها أحدهم ويهرب، وعند الخروج كان التفتيش وقفاً على الأمتعة، والمراد بذلك التفتيش الجمركي للأمن لأنهم يفتشون الحقائب الكبيرة قبل أن يأذنوا لها بالإدخال، وقد خصصوا لذلك مكتباً كاملاً فيه عدة عاملين من رجال ونساء، وتقدمت مني ضابطة فيه، واطلعت على جوازي وأنه (دبلوماسي) وكانت تبحث حقيبتي اليدوية قبل أن ترى جوازي، فرأت فيه مشطاً جديداً وفرشاة مما كانت شركة طيران في البرازيل قد أهدته إليّ، فطلبتها مني فرفضت، ولم يفتشوا الحقيبة الكبيرة.

ثم عند الجوازات، لم يتوقفوا عند الجواز، وعند التفتيش للأمن رأيت فيه ضابطة يميل لونها للبياض، وعلى وجهها إشراق فأسرعت إليّ تحييني بتحية الإسلام، وتقول: أنا مسلمة، وأنت مسلم، وتركتني أمر دون فحص مع أن الجواز (الدبلوماسي) لا يعفى من التفتيش للأمن.

ودخلنا إلى قاعة المغادرة، فرأيتها مزدحمة بالمسافرين، وهذا شيء عرفناه من الفلبين فيما بعد لكون المسافرين منهم بأعداد كبيرة.

وأكثر الموجودين في قاعة المغادرة هم من هؤلاء القصار الفطس، وفيهم قلة من ذوي المظهر الأوروبي وأقل منها من بني قومنا من العرب.

في الخامسة عصراً كنا نغادر مع الطائرة التايلندية التي هي من طراز بوينغ ٧٠٧ ، وأعلن مكبر الصوت في الطائرة أن المسافة من مانيللا إلى بانكوك ستكون ساعتين ونصفاً.



القسم الثاني

زيارة رسمية للفلبين

سبب الرحلة:

الرحلة سببها أن رئيس جمهورية الفلبين فيردناند ماركوس عندما زار المملكة العربية السعودية تقدم بطلب أبداه خلال محادثات مع الشيخ محمد بن علي الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ومع الأستاذ عباس فائق غزاوي مدير إدارتي آسيا وإفريقية في وزارة الخارجية السعودية يتعلق بأن تساعد المملكة العربية السعودية على إنشاء مدارس للمسلمين في بلاده الفلبين.

ثم قدم أثناء محادثة له مع الشيخ محمد بن علي الحركان استعداد حكومة الفلبين للتبرع بأرض واسعة وجيدة تكون مقراً لمركز إسلامي ومكتب للرابطة هناك يمنح الحصانة (الدبلوماسية).

ولما رفع الأمر الأول إلى مجلس الوزراء أحاله إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز رئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية التي أنا الأمين العام لها.

فرأينا أن موضوع إنشاء المدارس في بلاد واسعة كالفلبين يحتاج إلى تحديد، وإلى بحث قبل البت فيه بالإيجاب أو الرد، وأن من الأفضل أن تجتمع لجنة عن الهيئة العليا للدعوة وعن رابطة العالم الإسلامي ووزارة الخارجية لبحث هذا الأمر.

وقد تألفت اللجنة بالفعل من الأستاذ السفير عباس فائق غزاوي ممثلاً لوزارة الخارجية، والشيخ علي مختار ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي، ومن كاتب هذه السطور، وعقدت اجتماعاً في وزارة الخارجية في جدة قررت فيه أنه ينبغي تلبية دعوة رئيس الفلبين لتسلم أرض المركز الإسلامي، والنظر في الموضوعات الأخرى، وأن يقوم بهذا وفد ثلاثي يمثل الأمانة العامة للدعوة

الإسلامية، ووزارة الخارجية السعودية، ورابطة العالم الإسلامي.

وهكذا تألف وفدنا من ثلاثة أشخاص عاملوني في الفلبين على أنني رئيسهم، ونحن نمثل ثلاث جهات: اثنتان رسميتان، وهما وزارة الخارجية، والهيئة العليا للدعوة الإسلامية، والثالثة شعبية عالمية، وهي رابطة العالم الإسلامي التي مقرها مكة المكرمة، فالأولى أمثلها أنا، وأما وزارة الخارجية فيمثلها الأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام مدير الإدارة الاقتصادية، ويمثل رابطة العالم الإسلامي السيد (علي بن محمد مختار) الأمين العام المساعد لشؤون المساجد في الرابطة.

يوم الإثنين ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ - ٣١ يناير ١٩٨٣م

من الرياض إلى مانيللا :

غادرت طائرة الخطوط السعودية من طراز ٧٤٧ جامبو العملاق مطار الرياض عند الدقيقة الثلاثين من أول دقائق هذا اليوم، وقد بقي على طلوع الفجر أكثر قليلاً من أربع ساعات.

وكان ركاب الدرجة السياحية - بطبيعة الحال - كلهم من ذوي الوجوه الفلبينية ... ما عدا قلة قليلة جداً من السعوديين، أما ركاب الدرجة الأولى فكلهم من السعوديين، وإن لم تمتلئ بهم المقاعد.

وأعلن مكبر الصوت في الطائرة أن الرحلة إلى مانيللا ستستغرق سبع ساعات وخمسين دقيقة، ثم أعلن قائد الطائرة، وهو سعودي، أننا سنطير فوق دبي والشارقة، ثم كراتشي في باكستان، ثم مدينتي (الله آباد) وبنقور في الهند، ثم تخترق حدود بورما إلى تايلاند، فجنوب فيتنام، ثم فوق بحر الصين إلى مانيللا، وأن ارتفاع الطائرة سيكون ٣٣ ألف قدم، وسرعتها سبعمائة ميل أي ألف ومائة وثمانون كيلاً في الساعة.

وكان يتكلم بالعربية، ولذلك وقع حسن في النفس، ومن الطريف أنه قال: إن الآنسة ساندرا، والآنسة فلانة ... الأخرى - اسمها إفرنجي أيضاً - ستخدمانكم، وقال: إن (ساندرا) ستقدم لكم الضيافة وفق تقاليدنا العربية القديمة!!.

وساندرا فلبينية مثل كل اللائي يخدمن الدرجة الأولى التي نركب فيها لم أر فيها عربيات أو أوربيات.

في مطار مانيلا:

عندما فتح باب الطائرة دخل منه أحد الأشخاص مرحباً قائلاً: أنا مدير الخطوط السعودية في مانيلا...

وشكرنا له حسن استقباله، وإن كنا لا نقصد أن يكلف نفسه عناء استقبالنا من أجل شيء لا نحتاج إليه.

وتذكرت أن مكتب الخطوط السعودية في الرياض قال لي عند الترحيل: إننا سنرسل برقية إلى مانيلا لاستقبالكم.

الاستقبال الحافل:

ولكن عندما دخلنا مبنى المطار من الدهليز المتحرك الذي ألقموه باب الطائرة وجدنا الحشد العظيم من المستقبلين على رأسهم وزير شؤون المسلمين (رومولو اسفالدون)، ونائب وزير الخارجية (باسيبيكو كاسترو) معتذراً بأن وزير الخارجية مريض.

وسفير المملكة العربية السعودية في مانيلا الأستاذ فوزي عبد المجيد شبكشي.

ومعهم جمهور حاشد من الناس، وأعداد كبيرة من مصوري التلفزة والصحافة، وقد نشروا لافتات كبيرة من القماش في المطار كتبوا فيها أسماءنا وعبارات الترحيب.

ولم أكن أظن بأن الزيارة سيكون لها هذا الطابع الرسمي الكبير لأنها إذا كانت كذلك فإنها لن تتيح لي نقل صورة كاملة للوضع في الفلبين، سواء في ذلك الوضع العام، أو وضع المسلمين بصفة خاصة، ولذلك كان من الغريب أن يستاء الرجل لمظاهر تكريمه.

كما أنني وجدتهم بعد ذلك قد احتفوا بنا عامة، وبي خاصة في كل الأماكن التي حللنا بها، وفي كل المآدب التي أقيمت لنا، فكانوا يكتبون اسمي في اللافتة، ويقولون: هذه على شرف فلان ومرافقيه.

أكثر مصورو التلفزة والصحافة من أخذ الصور التي لا أرى لها معنى، ونحن نسلم على المستقبلين، ثم عندما كنا نسير.

ثم بعد جلسة قصيرة في قاعة كبار الزوار في المطار انتقل الموكب إلى المدينة تتقدمه سيارة عسكرية فيها الصوت المميز الذي يسبق المواكب الرسمية، وتتلوها سيارات المرافقين، وقد خصصوا لكل واحد من أعضاء الوفد سيارة ومرافقاً، وكان مرافقي وزير شؤون المسلمين في الفلبين (رومولو اسفالون)، وقد يسميه بعضهم: (كاردون)، وهو الوزير المسلم الوحيد في الحكومة الفلبينية.

في مانيلا:

أو على الأدق في (فندق مانيلا)، فقد أنزلونا في فندق كبير اسمه (فندق مانيلا) قالوا: إنه الفندق الأول والأفضل في مانيلا، وإنه قديم بني القسم الأول منه قبل ستين سنة، وقالوا في شيء من التنويه والإشادة: إن الجنرال ماك آرثر كان نازلاً فيه إبان الحرب العالمية الثانية، وقال أحدهم: إن والده أيضاً كان قد أقام في الفلبين مدة، ومما يذكر أن الفلبين كان لفترة من الزمن مستعمرة أمريكية.

وعندما استقر بنا المقام في الغرفة رأيت حشداً من رجال الأمن والحراس، ومنهم أربعة، وخامسهم رئيسهم، قد خصصوا لحراستي والعناية بي، ولا أشك في أن المقصود هو حراستي من الفلبينيين، وحراسة بعض الفلبينيين المسلمين مني.

وقال رئيس الحراس: إننا هنا في هذه الغرفة المقابلة لغرفتكم، وفي الغرفة الأخرى المجاورة لنا، فإذا احتجت إلى شيء أو أردت النزول فإننا حاضرون، ثم أضاف: لقد أمرنا رئيس الجمهورية بحراستكم، وعدم ترككم بدون حراسة.

ظرف غير مناسب:

وحراستنا لها أسباب عديدة:

أولها: أننا ضيوف على حكومة الفلبين؛ بل على رئيسها (فرناندو ماركوس) كما تبين لنا فيما بعد إذ أعطانا طائرته الخاصة، وخصص من حرسه الخاص ضابطاً وجنوداً لحراستنا، ومن المعروف أن المعارضين للحكومة في أي بلد يحبون أن يحرجوها عن طريق إيذاء ضيوفها، وإظهارها بأنها عاجزة عن حمايتهم.

وثانيها: أنه قد تم قبل هنيهة قتل ثلاثة من المجرمين الفبينيين الذين استحقوا القتل في المملكة، وكتبت الجرائد الفلبينية قبل قدومنا مقالات عن هذا الموضوع، وكان عنوان أحدها: (الفلبينيون يقتلون في السعودية).

وفي مثل هذه الحالة يخشى من هياج من أحد أقارب القتلى أو من غيرهم قد يلحق ضرراً بنا.

وثالثها: إن الحكومة الفلبينية لا تريد أن يتصل بنا زعماء الإخوة المسلمين أو من يرسلونهم، لأن ذلك سوف يربك سياستها ويجعلنا نسمع منهم عن حالتهم ما لا تريد الحكومة أن نسمعه إلا من قبلها.

أما الفندق فإنه من فنادق الدرجة الأولى، ولكنه قديم الطراز لأنه قديم الإنشاء، وغرفتي، أو على الأدق غرفتاي تطلان من الطابق السادس عشر على البحر بقرب ميناء مانيلا في منظر جميل منه حديقة الفندق،

وحدائق أخرى على الشاطئ يفصل بينها شريط، وهما غرفتان إحداهما بمثابة الجلوس مع أن فيها كل ما يكون في الغرف المعتادة، والأخرى للنوم، ويؤلفان ما صار يعرف الآن بالجناح في الفندق.

ومن المجاملات فيه أنهم كتبوا اسمي على الظروف والأوراق التي في الغرفة، وحتى الكبريت التي فيها رأيتهم كتبوا عليه اسمي.

برنامج الزيارة:

أطلعونا على البرنامج الذي أعدوه للزيارة وينتهي يوم الجمعة القادم، ولم تكن فيه زيارة للجنوب، وهو منطقة المسلمين المضطربة.

ولما أبديت لهم رغبتي في زيارة الجنوب لأنني لم أزره من قبل قالوا: إن هذا كما تريدون، فالبرنامج يمكن تغييره على رغبتكم، لأنه موضوع لراحتكم.

الواقع أنني أعرف أن مثل هذه الزيارة الرسمية لا تفيد كثيراً في الاطلاع على الحقائق لأنها تسير في نطاق مما تريد السلطات المسؤولة أن يكون، ولكن هذه فرصة لا أريد أن تفلت مني، وربما أستفيد منها شيئاً، والفائدة القليلة خير من لا شيء كما هو ظاهر.

كما أن البرنامج لم يكن يشتمل على فقرات استطلاعية، وإنما كان حافلاً بالمآدب والدعوات والاجتماعات الرسمية، ومنها مقابلة رئيس الجمهورية في يوم الأربعاء، فطلبت تغييره أيضاً ليشتمل على زيارة شيء من معالم العاصمة (مانيلا) أو خارجها، ووعد سفيرنا الحصيف الأستاذ (فوزي عبد المجيد شبكشي) بهذا.

عندما وصلنا إلى مانيلا كانت الساعة هي الواحدة والنصف ظهراً بالتوقيت المحلي، وكانت ساعاتنا تشير إلى الثامنة والنصف صباحاً حسب

توقيت بلادنا، فالفرق بين توقيت المملكة وتوقيت مانيللا هو خمس ساعات.

وليس هذا بالمهم الذي له تأثير علينا، ولكن التأثير كان للسهر الطويل، فلم ننم ليلة أمس، لذلك حاولنا النوم بعد أن انصرف مضيفونا غير أن:

الهدية التذكارية:

قد حرمتنا من ذلك - إذْ ما كاد النوم يدخل عيني حتى شعرت بطرق على باب الغرفة لم أستجب له، فرن جرس الهاتف في الغرفة، فلما رفعت السماعة مضطراً قالوا: إننا من قبل وزير شؤون المسلمين نريد أن نفصِّل عليك قميصاً وطنياً لتلبسه في هذه الليلة. ثم أخذوا مقاس الطول والعرض، وجاؤوا به قميصاً شفافاً يشبه قميص اللدائن إلا أنه واقف كأنما أشبع من النشاء، وكان بالفعل جميلاً وخفيفاً ومناسباً لجو بلادهم عندما لبسته، وقد رأيت بعد ذلك كبارهم يلبسونه في الحفلات، بل رأيت رئيسهم ماركوس قد لبسه عندما قابلناه، وطريقته أن يلبس فوق السروال.

الحفلة الكبيرة:

كان أول اجتماع رئيسي في البرنامج هو حضور الحفلة الكبيرة التي أقامها وزير شؤون المسلمين (روميللو اسفالدون) على شرف وفدنا في قاعة الشمبانيا في مطعم الفندق، وهي ملحقة بالمطعم ولكنها منفصلة عنه، وهكذا يسمونها: قاعة الشمبانيا.

لقد كانت القاعة كبيرة، واكتظت بعشرات من علية القوم من الوجهاء ووكلاء الوزارات، وكبار الموظفين، وبخاصة من المسلمين من أعوان الحكومة وموظفيها. كما حضرها سفير المملكة في مانيللا الأستاذ فوزي عبد المجيد شبكشي، وكان من أكثر من فيها بروزاً الصحفيون والمصورون

ومصورو التلفزة خاصة، وقد أكثروا من التقاط الصور التي لا أرى داعياً لالتقاطها.



المأدبة الكبيرة التي أقيمت للرابطة في الفندق في مانيللا

وكانت المائدة رسمية بطيئة، فكانوا يقدمون الشوربة مثلاً لي أولاً، ثم للوزير وبقية أعضاء الوفد، فننتظر مدة طويلة لا نمسها لأن تقديمها لم يتم للجميع، ولا يبيح العرف في الموائد الرسمية ان يبدأ الأول بتناول شيء من الطعام حتى يكتمل وضعه أمام جميع المدعوين، وهكذا سائر الطعام الذي كان فيه للسمك نصيب.

بعد انتهاء الأكل الذي استغرق زمناً طويلاً نهض وزير شؤون المسلمين فألقى كلمة طويلة ضافية، ولكنها كلها بالإنكليزية، ولم تترجم إلى العربية اعتماداً منهم على أننا كلنا نعرف الإنكليزية، والواقع أن عضو وفدنا الأستاذ محمد العبد الرحمن البسام يعرف الإنكليزية جيداً لأنه درس

في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك السفير فوزي شبكشي، وأما أنا وزميلي الشيخ علي مختار فإننا نعرف منها قدراً لا يمكننا من متابعة كلام هؤلاء القوم الذين يخرجون الحروف الإنكليزية من مخارج خاصة، ويسرعون في الكلام، ولكننا فهمنا النقاط الرئيسية فيها، وفحوى الكلام الآخر.

فكان مما قاله بعد الترحيب: إن هذه الزيارة هي عنوان على الصداقة بين البلدين التي أرسى قواعدها جلالة المرحوم الملك خالد ملك المملكة العربية السعودية والرئيس ماركوس رئيس جمهورية الفلبين في الزيارة التي قام بها الرئيس إلى المملكة العربية السعودية.

وقال: إننا مستعدون للتعاون مع الأمانة العامة للدعوة ومع رابطة العالم الإسلامي فيما يرفع من شأن الأقلية المسلمة في بلادنا، وإننا نتطلع إلى المساعدة الفعالة من المملكة العربية السعودية على تطوير المدارس الإسلامية، وتدريب مدرسي اللغة العربية والدين في الفلبين.

فرددت عليه بكلمة بالعربية ترجمها إلى الإنكليزية زميلنا في الوفد الأستاذ محمد البسام، شكرتهم فيها على حسن الضيافة، وعلى البرنامج الذي أعدوه للزيارة، واستجابتهم لسفرنا إلى الجنوب. وقلت: أرجو أن يكون في ذلك تقوية العلاقات بين شعب المملكة العربية السعودية والإخوة المسلمين في الفلبين، وتقوية أواصر الصداقة بين المملكة وشعب الفلبين كله على نحو يخدم المصالح المشتركة بين الشعبين.

ثم قلت: إن الإسلام ليس دين شعب دون آخر، فليس هو مثلاً دين العرب دون غيرهم من الأمم، وهو إنما يفاضل بين الناس على أساس تفاضل أعمالهم لا على أساس ألوانهم أو أصولهم العرقية، وذلك بأن المسلمين يعبدون إلهاً واحداً هو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد في أي مكان كان من العالم.

والمسلم الفلبيني إذا أخلص العمل لدينه وعمل صالحاً لآخرته فإنه

يكون أقرب إلى الله وأكثر إسلاماً من عربي لا يفعل مثل ذلك، أو حتى يعمل صالحاً ولكن دون عمله، وضربت لهم مثلاً على ذلك ببلال بن رباح الحبشي وأبي لهب عم الرسول ﷺ، فبلال هو إفريقي من الحبشة، وقد جعله إيمانه بالرسول ﷺ من أقرب الصحابة القريبين من رسول الله ﷺ، ولم يمنعه بعده في النسب عن رسول الله ﷺ من ذلك، وأبو لهب هو عم الرسول ﷺ لم ينفعه قربه في النسب من الرسول ﷺ عندما رفض ما جاء به الرسول ﷺ، ولم يؤمن به، وقد أنزل الله تعالى في ذكره سورة تتلى إلى يوم القيامة: ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ۝١ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ إلى آخر السورة.

وكان مصورو التلفزة والصحافة والصور الخاصة يسرعون في أخذ الصور، وساءلت نفسي مرة أخرى: لماذا كل هذا التصوير والاهتمام ونحن لسنا بالذين نستحق ذلك؟! ولكن قالت لي نفسي: إن الأمر لا يتعلق بما لكم من أهمية، فأنتم موظفون فحسب، ولكنكم ذوو وظائف رنانة، فمثلاً أنا وظيفتي الأمين العام للدعوة الإسلامية، وزميلي السيد علي مختار هو الأمين العام المساعد لشؤون المساجد في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وزميلنا هو الأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام مدير الإدارة الثقافية في وزارة الخارجية السعودية، واثنان منا يرتديان الزي العربي، إذاً فنحن مادة خصبة للدعاية لحكومة الفلبين ولرئيسها فردناندو ماركوس، وكل ما يفعل في سبيل الحصول على هذه المادة الدعائية، بل الصيد السمين في هذا الباب يسهل بذله.

ونحن نعلم ذلك أو بعضه قبل أن نقبل السفر إلى الفلبين بترتيب وترحيب من حكومتها، ولكننا نعلم أيضاً أننا نسعى ونركز غاية مسعانا على أن تكون أية علاقات نافعة بين بلادنا وحكومة الفلبين تستثمر لمصلحة ولتحسين وضع إخوتنا المسلمين هناك، ومن ذلك الاشتراك في بعض المشروعات الاقتصادية، وتسهيل الحصول على الأيدي العاملة من هذه البلاد،

فهذه هي الطريقة المثمرة في هذه الآونة من ضعف المسلمين هنا وعجزهم عن القتال المؤثر وانشقاقهم فيما بينهم، واختيار بعضهم التفاوض مع الحكومة على مقاومتها.

على أن ما نفعله لا يغلق الباب على المسلمين الآخرين الذين يستطيعون أن يمدوا مقاومة المسلمين بما تحتاج إليه من سلاح وتدريب سواء منهم من يكونون قريبين من الفلبين، أو من يكونون بعيدين عنهم ويعتنقون مثلهم مبدأ المقاومة.

يوم الثلاثاء ١٨ / ٤ / ١٤٠٣هـ ١ /٢ / ١٩٨٢م.

إلى السفارة السعودية :

سار الموكب الرسمي المؤلف من سبع سيارات إحداها سيارة للشرطة مليئة بالجنود الذين لبسوا لباسهم الرسمي ذات مزمار مميز يبعد السيارات الأخرى عن طريقنا كما يكون ذلك في المواكب الرسمية ، وسيارات الإسعاف والإطفاء ، وتتبعها سيارة سوداء رسمية فيها مرافق من مراسم الخارجية وهي أيضاً فيها المزمار المميز ، ولكنها لا تستعمله إلا عند الحاجة ، ثم سيارة مدنية خصصوها لركوبي ومعي دائماً رئيس الحراس وهو ضابط من حراس الرئيس ، ويسمونه الكابتن لأنه المسؤول عن جميع أفراد الحرس ، تليها سيارة أخرى مخصصة لزميلي الشيخ على مختار ويركب معه ضابط من الحرس وهو المخصص لحراسته ومسؤول عنه ، ثم ثالثة أو قل خامسة مخصصة لزميلنا الأستاذ محمد البسام ومعه حارس وهناك سيارة سادسة لا أدري ما هي مهمتها إلا أن يكون ذلك من باب الاحتياط.

أما المضيفون المدنيون ومنهم الوزير رئيس شؤون المسلمين فهو في بعض الحيان يركب معي ، وفي بعضها يركب مع زميلي الشيخ علي مختار.

لقد ذكرت هذه التفاصيل التي لا تستحق الذكر لأبين حرص القوم على إظهار الاحتفاء بنا ، وذلك أمر بطبيعة الحال لا تخفى علينا أهدافه ، ولكننا لنا أهدافنا أيضاً ، وهذا هو السبب في أنني أذكر مظاهر التكريم والعناية التي أحاطونا بها مع النص على أنه ليس المقصود بها فيما نعلمه مجرد التدليل على إكرامهم لنا ، فنحن نعرف أن ذلك ليس هو المقصود ، كما أنهم ربما يعرفون أننا نعرف ذلك ، ولكن هكذا السياسة.

وكان مزمار السيارة التي تتقدم الموكب يواصل إزعاج السيارات

وعربات الركشا التي تزدحم بها الشوارع وبخاصة سيارات النقل من الحافلات الصغيرة، والجنود الذين يمتطون السيارة لا يكتفون بذلك، وإنما يخرجون أيديهم يشيرون بها إلى السيارات والعربات أن تبتعد عن طريق الموكب، وجنود المرور الذين نمر بهم يساعدونهم على إيقاف السيارات وإبعادها عن الطريق وإشارات المرور لا تلقى الاحترام من موكبنا فلا يقف عند واحدة منها يساعده على تجنب الاصطدام بالسيارات المعاكسة التي تكون لها أفضلية المرور استعمال الزامور المميز.

وكنت جالساً في السيارة بملابسي العربية الكاملة، وهذا الموكب يسير كذلك، وأنا أقول في نفسي: مالي ولهذا الموكب؟ أما كان أولى بي أن أنزل في فندق معتاد، وأن أركب سيارة أجرة، وأن ألبس الملابس العالمية التي تخفي قصدي حتى أتمكن من مراقبة الناس الذين لن يعرفوني بدلاً من مراقبتهم إياي لأن صوت النفير من الموكب يلفت أنظارهم إلى معرفة الأشخاص المحتفى بهم، حتى إذا وقعت أعينهم على المنظر استغربوه أكثر لأن رؤية الملابس العربية الكاملة غريبة على أعينهم.

وهكذا أصبحوا يتفرجون برؤيتنا بدلاً من أن نتفرج برؤيتهم.

والأدهى من ذلك أنني أصبحت أشعر بأنني في هذه السيارة في سجن متحرك، ومن ملابسي العربية في سجن آخر إذْ لا أستطيع أن أتحرك حركة حرة بل حركة محسوبة، لأن هناك آلافاً من العيون الضيقة تتسع لتستوعب هذا المنظر القادم من الغرب الأوسط بل من البلاد العربية التي تطفح أرضها بأنهار من الزيت، وتطفح جيوب أهلها بالملايين من الدولارات في نظرهم، وهو أمر له ما يبرره، لأن فيها من أبناء بلادهم عشرات الآلاف بل مئات آلاف منهم، يعملون ويرسلون ما يكتسبونه، وبعضه إلى بلادهم الفلبين.

عندما وقفنا عند باب البناية التي فيها السفارة أسرع الحراس

والموظفون يفتحون أبوابها بسرعة واهتمام كما يفعلون مع الضيوف المحتفى بهم، وأسرع بعضهم عند المصعد يوقف الداخلين إليه من سائر الناس بل يخليه منهم ويفسحه لنا.

وهذا ظلم قد تكرر فيما بعد كما تكرر إيقاف السيارات التي لها حق المرور الأول وإحلال سيارات موكبنا قبلها.

تقع السفارة في الطابقين: السابع والثامن من مبنى كبير تملك أرضه أسرة يقال لها أسرة جبيل يقال إنها تمت بصلة النسب إلى ملك إسبانيا التي كانت تملك هذه البلاد الفلبين، وتعاملها بمثابة مستعمرة واستمرت تملكها نحو أربعمائة سنة، وكان لحكمها إياها أثراً سيئاً على الدعوة الإسلامية في هذه الجزر التي خلعت عليها حتى اسمها (الفلبين) من اسم أحد ملوكها هو فيليب الثاني.

كان في الاستقبال السفير الأستاذ فوزي عبد المجيد الشبكشي من أهل جدة، وهو رجل ذكي وحصيف، وقد نفعنا ذلك منه في الاتصالات التي أجريناها مع المسؤولين في هذه البلاد ابتداء من رئيس الجمهورية إلى الموظفين الآخرين، والقنصل الأستاذ (موفق حافظ) من مكة المكرمة.

وكان مما لفت النظر كثرة المراجعين والمراجعات، فالمراجعات هنا كثرة كاثرة لأن الفلبينيات هن من أكثر الخادمات المفضلات في بيوت المملكة العربية السعودية، ولا ينافسهن في ذلك إلا السيلانيات على أن الفلبينيات أكثر.

إلى وزارة الخارجية :

بعد أن لبثنا قليلاً في السفارة السعودية توجهنا من هناك إلى مقر وزارة الخارجية الفلبينية حيث كان البرنامج يتضمن إجراء محادثات في وزارة

الخارجية في الساعة العاشرة من ضحى هذا اليوم.

وجدنا مبنى الوزارة قديماً يظهر عليه الطابع الإسباني، فصعدنا مع درج فيه عال إلى الطابق الأول حيث استقبلنا نائب وزير الخارجية (باسيبيكو كاسترو) الذي سيرأس الوفد الفلبينين في المحادثات نيابة عن وزير الخارجية المريض.



تذكارية في مكتب الخارجية.

وإلى أقصى اليسار السفير السابق في جدة، ثم الأستاذ محمد البسام، فالسفير فوزي شبكشي، فنائب وزير الخارجية، فالمؤلف، ثم الشيخ علي مختار

قال الوكيل في أول كلامه: لقد زرت الوزير في المستشفى هذا الصباح وأوصاني بإكرامكم واستضافتكم، كما طلب مني الترحيب بكم نيابة عنه.

وقال وهو يبتسم: إن الوزير عمره أربع وثمانون سنة، ومع ذلك لا يزال نشيطاً، وقال: إنه من قدماء السياسيين، وإنه من القلائل الذين وقعوا ميثاق الأمم المتحدة ولا يزالون يعملون في الميدان السياسي، وإنه زميل في ذلك للمرحوم الملك فيصل. كما تحدث الوكيل عن ذكرياته في المملكة عندما كان في صحبة الرئيس في زيارته الرسمية للملكة. وقد اشترك معنا في المحادثات السفير السعودي، وحضرها من الجانب الفلبيني نائب وزير الثقافة والتعليم (هرمنقلو دملو)، ورئيس المراسم (البروتوكول)... مدير إدارة آسيا وإفريقيا في وزارة الخارجية، وكان سفيراً للفلبين في جدة في السابق، واثنان من الموظفين أحدهما بمثابة كاتب الجلسة.

استهل نائب وزير الخارجية الجلسة بأن فتح ملفاً قال إنه يطلب فيه من الأصدقاء السعوديين أن يساعدوا الفلبين على تحقيقه، وذكر مطالب ثقافية سيأتي الحديث عنها عندما تقدم بها الجانب الفلبيني بصفة رسمية على هيئة مذكرة من وزارة الثقافة والتعليم مقدمة إلى الوفد السعودي.

ومن أهم ما جاء في هذه المباحثات طلب العون على تدريب المعلمين، وإيجاد معالم لغوية، وتخصيص مبالغ لرواتب بعض المدرسين، والمساعدة على إنشاء مبانٍ لبعض المدارس.

وفي المقابل تكلم الوفد السعودي فركزت على شكر رئيس الفلبين وحكومته على تقديم عرض بمنح أرض جيدة يقام عليها المركز الثقافي السعودي ومكتب الرابطة.

كما تكلمت على شكر الفلبين على الموافقة على فتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي في مانيلا.

ولكن نائب وزير الخارجية - وهو غير مسلم بطبيعة الحال - قال بحزم وكان متحفظاً في أكثر مراحل المحادثات: إننا لا نستطيع أن نمنح الأرض

إلى رابطة العالم الإسلامي لأن هناك هيئات دينية كثيرة تطلب منا مثل هذا الطلب ونمتنع عن ذلك، وفي بلادنا محامون مهرة سوف يثيرون عاصفة هوجاء على الحكومة إذا أعطت الأرض للرابطة، وهي هيئة دينية عالمية، دون أن تعطى الهيئات الدينية الأخرى كالمسيحية مثل ذلك.

ثم قال: إن حكومتنا علمانية، ودستورنا يمنع الدولة من تدريس أي دين في مدارسها، ومن مساعدة أية جهة دينية في أي نوع من أنواع المساعدة.

فقال الشيخ علي مختار، وهو ممثل الرابطة في الوفد: إن حكومات كثيرة قد منحت أراضي في بلادها للرابطة، ومنحت مكتبها الحصانة الدبلوماسية أيضاً.

فقال: أرجو أن تذكروا لي اسم بعض الدول. فقال الشيخ علي مختار: مثل إندونيسيا، وجزر القمر. فقال: إن الوضع السياسي الذي سيكون عليه مكتب الرابطة إذا فتح، وبخاصة من ناحية الحصانة الدبلوماسية يحتاج إلى مباحثات ما بين الفلبين والرابطة، ويمكن أن تحضر الرابطة الاتفاقات التي عقدتها مع بعض الدول التي سمحت لها بفتح مكاتب في بلادها.

فقلنا: إن الوفد قد جاء إلى هذه البلاد بناء على ترتيب من حكومة الفلبين، ومن أجل تسلم الأرض، ومن أجل التمهيد لفتح مكتب الرابطة.

فلم يقتنع الوفد الفلبيني بذلك، وقال نائب وزير الخارجية: أرى أن تثيروا هذا الموضوع مع الرئيس عند لقائكم به غداً، فهذا ليس من صلاحيتي، وإن كانت وزارة الخارجية ترحب بفتح مكتب للرابطة.

أما من جهة الأرض المعينة للمركز الثقافي السعودي فإنها جاهزة ويمكن تسليمها غداً.

وكان وزير شؤون المسلمين قد أشار إلى شيء من ذلك في كلامه معنا

الليلة البارحة.

وكأنما شعر وكيل وزارة الخارجية بعد فترة من الصمت أن كلامه مع الجانب السعودي لم يلاق الترحيب، أو قوبل بالتحفظ لأنه كان مفاجئاً، فقال ليلطف الموقف:

إن بعثتكم جاءت بها العناية الإلهية لهذه البلاد حتى تلطف بالاعتدال المعروف عن المملكة العربية السعودية ما سوف ينتج عن مواقف بعض الدول مثل ليبيا وإيران في هذه البلاد حتى تمكن ممثل أحدها أنه سينشئ مركزاً في الجنوب يتكلف أربعة ملايين دولار!.

وقد يؤثر ذلك في تفسير الإسلام تفسيراً غير صحيح لمسلمي جنوب الفلبين.



عند الخروج من وزارة الخارجية الفلبينية

كان موقفه غير ودي، وكان يحاور ويناور، ويريد بكلامه أن ينتزع بعض الأثر السيئ لتصرفه في المحادثات، وإلا فإنه يعلم أكثر من غيره من سائر الناس أن مثل هذه الإعلانات عن اتفاق الملايين الكثيرة ليست واقعية، وإن أكثره ينوه به أناس غير مسؤولين لأغراض الدعاية.

وبدأ هو نفسه محاوراً يخفي المقاومة لمنح أية تسهيلات للثقافة السعودية أو للرابطة، وإنما كان يظن أنه بالكلام المعسول والمراوغة السياسية يستطيع أن يخدعنا.

وعندما انتهت هذه المحادثات المملة التي استغرقت قرابة الساعتين خرجنا منها مجهدين لأنها لم تؤد إلى نتيجة، وودعنا رئيس الجانب الفلبيني وكيل وزارة الخارجية إلى الباب الخارجي في الطابق الأسفل

وحفلة غداء رسمية أيضاً:

كان خروجنا من وزارة الخارجية إلى فندق مانيللا لا للراحة في الغرف، وإنما لحضور مأدبة رسمية أخرى أقامتها جهة رسمية لم يذكروا اسمها في بطاقات الدعوة، فكانت حفلة غداء مصورة أيضاً التقط لها مصورو التلفزة والمصورون الصحفيون صوراً كثيرة، وحضرها واحد وعشرون شخصاً من الرسميين.

ومن عادتهم في مثل هذه المآدب التعريف بالحضور بذكر أسمائهم وذكر وظائفهم، وهذه طريقة جيدة في التعارف، وقد أقيمت في غرفة أخرى من غرف الفندق غير التي أقيمت فيها حفلة عشاء البارحة.

وتبين - بعد ذلك - أن هذه الحفلة هي على غداء عمل وليست لمجرد الطعام.

فقد تكلم وزير شؤون المسلمين عن وضع المدارس في الفلبين، وإذا

أطلق اسم مدرسة عندهم فإنما يراد به المدرسة الإسلامية، أو الكتّاب - بتشديد التاء - وليس ما يعني كلمة (اسكول) بالإنكليزية، فتلك هي المدرسة المدنية المعتادة.

وذكر الوزير في كلمته أن المسلمين بحاجة إلى مدارس يمتزج فيها البرنامج المدني بالبرنامج الديني، حتى يستفيد المسلمون من ذلك، ولكي تقضي على كون بعض المسلمين يتثقفون ثقافة دينية ليس لها صلة بواقع الحياة العملية، فلا يستطيعون الالتحاق بالوظائف العامة. وبالتالي لا يستطيعون أن ينتفعوا وينفعوا بلادهم من هذه الناحية.

وطبيعي أن هذه وجهة نظر رسمية حكومية لا تخفى أهداف الحكومة منها، وأهمها أن تحد من خريجي الكتاتيب القرآنية والمدارس الإسلامية الخالصة التي ثبت أن المتخرجين فيها هم عماد حركة الجهاد في الجنوب.

والصواب في هذا الموضوع أن توجد مدارس إسلامية خالصة كالموجودة فعلاً يلتحق بها من يريد من أولاد المسلمين، وليس كل أبناء المسلمين، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾.

أما البقية من أولاد المسلمين فيتعلمون في المدارس التي تؤهلهم لدراسة العلوم التجريبية والوظائف المدنية العليا في المجتمع مثل الطب والهندسة والمحاماة والزراعة والمحاسبة وإدارة الشركات، أما المطالبة بدمج المدارس الإسلامية في هذه المدارس المقترحة فإن ذلك سبيل للقضاء عليها، ولا يمكن قبوله وإقراره.

ثم تقدم أحد كبار الحضور من المسلمين، فتكلم في هذا الموضوع كلاماً طويلاً مؤيداً لوجهة النظر الحكومية هذه لأنه هو أيضاً موظف في الحكومة.

وبعد ذلك تكلم بالعربية الأخ البروفيسور عبد الرافع حسن عميد المعهد

العربي، أو معهد اللغة العربية في جامعة مانيلا.

ثم دار نقاش طويل في هذا الموضوع كان وفدنا في أكثر الأحيان ساكتاً لا يعلق لأنهم لم يقدموا أشياء محددة يمكن أن نقرها أو نرفضها، وإنما كانوا يعرضون بعض الأمور عرضاً.

وفي نهاية هذا الكلام الطويل الذي استمر مع الغداء لمدة ساعتين قاموا كالعادة بتقديم الهدايا، فسلموا الهدية الأولى إليّ، وهي غطاء كبير (أباجورة) لمصباح المائدة من الصدف المنقوش إلا أنها كانت في صندوق من الورق المقوى - الكرتون - كبير يصعب عليّ حمله، فأخذه أحد الحراس وأوصله إلى الغرفة.

ولم أجدني مرتاحاً من مثل هذا الغداء، ربما لكونه رسمياً تحكمه المجاملة وربما النفاق في المعاملة، وإما لشعور خفي بعقدة الذنب وتأنيب الضمير لكوننا نجامل قوماً كانوا ولا يزالون يقاتلون إخواننا المسلمين، وهم يجاملوننا أو ينافقوننا من أجل أن نسكت على ذلك.

ومن الأشياء غير المريحة في هذا الغداء وغيره أنه قد صحبني إلى الغرفة أربعة من الحراس وضباط المباحث من أجل أن يوصلوني إلى غرفتي تحت حراستهم، مع أنني لست محتاجاً إلى أحد يحرسني، وممّ يحرسونني؟ وهل أنا سياسي كبير له خصوم وله مصالح؟ أم أنا ثري مهم يخشى أن يأخذني بعض المجرمين رهينة لا يفرجون عني إلا إذا تسلموا مبالغ كبيرة من المال؟.

لا شك أن الأمر ليس بهذا ولا بذاك، وإنما هو الخوف من أن يتصل أحد فيقول غير ما تريد الحكومة أن تقوله، أو أن يلحق بنا أذى بغية إحراج الحكومة الفلبينية عند حكومتنا.

والتفكير في كل ذلك أمر غير محبب بل هو مكروه للنفس، ثم أين رؤية الأشياء الجديدة والحصول على المعلومات التي أسعى للحصول عليها،

وكيف أحصل على شيء منها وأنا من حراستهم في سجن حصين الأسوار؟

مأدبة السفير السعودي:

أقام سفير المملكة العربية السعودية لأعضاء الوفد حفلة عشاء كبيرة حضرها نفر كبير من علية القوم، وبعض العرب وكبار المسلمين، ومن موظفي الدولة الكبار: وزير شؤون المسلمين، ووكيل وزارة الخارجية، ووكيل وزير التعليم، ورئيس إدارة آسيا وإفريقيا في وزارة الخارجية، ومدير المراسم في وزارة الخارجية، ونائب حاكم مانيللا (إسماعيل ما ساي).



منظر من مائدة العشاء التي أقامها السفير السعودي في الفلبين للوفد

كما حضرها موظفو السفارة السعودية.

وقد أراد السفير الأخ فوزي شبكشي أن تكون حفلة كبيرة منافسة للحفلات التي أقامتها وزارة الدولة للوفد، فكان ذلك وكانت أكبر منها.

وكنا نريد لها أن لا تكون كذلك. وقد أضفى السفير من حصافته وحسن استقباله على الحفلة ما جعلها شيقة حقاً، بخلاف غيرها من الحفلات الرسمية التي لم يكن لها طابع غير ذلك.

وذلك في بيت السفير الذي يقع في حي يسكنه السياسيون الأجانب وبعض الوزراء، ويدخل إلى شارعه من بوابة رئيسية عليها حراس لا يدعون أحداً يدخل إلا بعد أن يعرفوه، محافظة على الأمن فيه.

وكان موعد الحضور في الثامنة غير أن بعضهم وصل قبل ذلك، واستمرت حتى العاشرة، وانفردت بوجود أكلات عربية سعودية، منها الأرز الذي أعد كما نعده نحن، ولحم الغنم الجيد، والشواء اللذيذ الذي لا يوجد مثله في الفندق، وشراب من الجلاب الذي أحضره السفير من المملكة، وقدمه لهم على اعتبار أنه شراب محلي عربي.



المؤلف في بيت السفير السعودي في مانيلا مع أعضاء السفارة

يوم الأربعاء ١٩ / ٤ / ١٤٠٣هـ، فبراير ١٩٨٣م.

كانت الفقرة الأولى في زيارة هذا اليوم هي لقاء مع وزير الخارجية، غير أن الموعد ألغي بسبب مرض الوزير ودخوله المستشفى.

وكان المقرر أن تكون زيارته بعد زيارة رئيس الجمهورية، ربما كان ذلك لبحث الأمور التي سيتناولها الحديث مع الرئيس. ومع ذلك فإن وكيل وزارة الخارجية كان قد تطرق إلى أحاديث شتى لدى اجتماع الوفد به، وأحال البت فيها إلى المقابلة مع رئيس الجمهورية، ومن ذلك موضوع منح الحصانة ((الدبلوماسية)) إلى مكتب الرابطة والعاملين فيه؛ حيث قال: إن مثل هذه الأمور ليس من صلاحية وزارة الخارجية أن تبت فيها، وإنما يتوقف ذلك على البرلمان، أو على أمر من رئيس البلاد على حد زعمه.

موعد زيارة الرئيس في الحادية عشرة والنصف، فذهبنا قبل ذلك بنصف ساعة في الموكب المعتاد ومعه سيارة السفارة حيث كان السفير معنا ليحضر المقابلة، كما كان معنا في الاجتماعات الأخرى، وقد انتفعنا بخبرته بشؤون هذه البلاد وبحصافته في معالجة المسائل السياسية فيها.

ومع هذا الموكب الرسمي لم يسمح له باجتياز البوابة الداخلية للقصر الواسع ذي الحديقة البالغة السعة أيضاً حتى ذهب رئيس حراس الوفد، وهو من حرس رئيس الجمهورية، وكلم ضابطاً مختصاً أعطاه أوراقاً من عنده، وكلمه بكلام جعل الضابط المسؤول يأتي ومعه آخر بلباس غير عسكري كأنه من رجال المباحث، وينظران إلى السيارات ويعدونها، وإلى الركاب في داخل السيارة، ثم بعد التأكد أذنا باجتياز هذه البوابة.

وهذا يدل على شدة إجراءات الأمن والاحتياط الكبير الذي يخضع له من يريدون دخول القصر الجمهوري.

ثم سار الموكب ما عدا سيارة الشرطة فقد وقفت خلف المدخل الداخلي

مع حديقة واسعة جداً في أطرافها مرافق القصر، من ذلك مبنى ضخم من عدة طوابق قالوا: إنه مخصص لإدارة القصر، ويكاد ذلك المبنى يكون قصراً وحده.

وفي حديقة القصر بعض الطيور، وأظن أن فيها بعض الحيوان، فتكون من هذه الناحية شبيهة بحديقة قصر الإمبراطور هيلا سلاسي إمبراطور الحبشة السابق.

والحقيقة أن رئيس الجمهورية هنا يعيش كما يعيش الأباطرة والملوك من حيث قوة سيطرته على مقدرات البلاد، وتمتعه بالنفوذ العظيم، وكثرة الأعوان والأتباع، بل إن جميع ذوي القول النافذ في البلاد على طولها وعرضها هم من أتباعه، ومن لم يصبح منهم كذلك لم يستمر نفوذه.

ثم وقف الموكب عند بوابة المكتب الكبير فصعدنا درجاً معتاداً إلى الطابق الأول الذي أفضى إلى قاعة كبيرة إسبانية الطراز، محاطة عند حيطانها بموائد عليها المقاعد، وفيها أعداد من الناس ووجهاء القوم، وبعض الضيوف الأجانب الذين جاؤوا لمقابلة الرئيس.

وقال مرافقونا: إن بعض هؤلاء حضروا لمناسبة تقديم أوراق الاعتماد لبعض السفراء الأجانب، كما أن في القاعة عدداً من زعماء المسلمين الموالين للحكومة.

ولذلك كان عدد كبير من الموجودين واقفين وسط القاعة الكبيرة لكثرتهم، وعدم اتساع المقاعد لهم جميعاً.

مقابلة رئيس الجمهورية:

قال رئيس المراسم في القصر: تفضلوا، فدخلنا إلى مكتبه في قاعة متوسطة ليس فيها ما يلفت النظر من حيث فخامة الأثاث أو الرياش أو

الإسراف في المظهر.



رئيس جمهورية الفلبين في أيمن الصورة يشير للمؤلف بالجلوس

وعندما دخلنا كان الرئيس فرديناندو ماركوس رئيس جمهورية الفلبين جالساً على مكتبه فنهض من المكتب واستقبلنا عند باب الغرفة حيث قدمنا السفير السعودي إلى الرئيس كل واحد باسمه، ثم أشار الرئيس إلى صفين من الكراسي أمام مكتبه وقال:

تفضلوا، وعاد إلى الجلوس على المكتب.

رأيت مظهره مظهر الصيني الكهل رغم أنه فيما يقال في الخامسة والستين، فهو يبدو أقل من ذلك بقليل، غير أن هذا ليس هو المهم، وإنما المهم صرامة ظاهرة في عضلات وجهه لا تخفيها ابتساماته السياسية المعتادة عند قدوم الضيوف الجانب. بل إنه حديدي الملامح، ولا نقول النظرات، لأن عينيه

كعيني الصيني العريق صغيرتان إلى درجة أنك لا تلمح الانفعالات فيهما لأنهما يختفيان من وجهه عندما يبتسم أو يفكر، وهو في غالب أمره معنا حتى الآن إما أن يبدو مبتسماً متصنعاً لذلك، أو يبدو مفكراً.

ولكن العينين الصغيرتين إذا استطاعتا أن تخفيا الدلالة على انفعالات صاحبهما هذا فإن ما حولهما من خطوط كثيرة تسترخي عند الارتياح، وتتوتر عند عدم الارتياح كانت تقوم مقام ذلك.

لم يكن معنا نحن أعضاء الوفد والسفير من الجانب الفلبيني إلا وزير شؤون المسلمين، ووكيل وزارة الخارجية، ونائب وزير التعليم.

قال الرئيس فيما قاله موجهاً كلامه للوفد: إن إقامتكم في بلادنا ستكون لعدة أيام، فمرحباً بكم هنا.



رئيس جمهورية الفلبين يتحدث إلى المؤلف

فرددت عليه بقولي: الحقيقة أننا عندما وصلنا إلى هذه البلاد شعرنا

بأننا وصلنا إلى بلاد صديقة لا سيما وأن زيارة الوفد كانت بدعوة كريمة من فخامتكم.

فقال: مرحباً بكم. ولقد أثرت حين زيارتي للمملكة العربية السعودية مسألة تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي في الفلبين، وكذلك مساعدة الفلبين على فتح مركز في إحدى الجامعات في الجنوب لتدريس الإسلام واللغة العربية.

فقلت له: إن المسؤولين في المملكة العربية السعودية أمرونا أن نبحث تفاصيل هذا الأمر مع الحكومة الفلبينية.

ثم قال: لقد زرت المملكة العربية السعودية واجتمعت بجلالة الملك ومن دونه من المسؤولين، وأشكر الجميع على ما لقيته من حفاوة وتكريم هناك.

فقلت: لقد تابعنا زيارة فخامتكم إلى المملكة واعتبرناها مفيدة للمسلمين لما أبديتموه من شعور طيب في التعاون على حل مشكلتهم، وإننا نشكركم على ذلك الشعور، ونرجو أن تستمر الخطوات الهادفة إلى اتخاذ ما يرضي المسلمين في البلاد، وإن ذلك سينعكس على العلاقات الطيبة القائمة الآن بين حكومتي المملكة العربية السعودية والفلبين، لأن أية معاملة حسنة للأقلية الإسلامية في أي بلد في العالم تجد صداها الحسن في نفوس الشعب السعودي، فضلاً عن انعكاسات ذلك على سياسة المملكة العربية السعودية.

كما أن المعاملة غير المناسبة للمسلمين في بعض البلاد نجد لها صدى سيئاً لدى الحكومة السعودية والشعب السعودي.

وقد استمر في إلقاء بعض عبارات المجاملة.

ثم تكلم الشيخ علي مختار بصفته ممثل رابطة العالم الإسلامي في

مكة المكرمة، وكان قد اجتمع بصحبة الأمين العام للرابطة بالرئيس ماركوس في جدة أثناء زيارته إلى المملكة، وقد عرفه الرئيس، وذكره بذلك، فتحدث عن الأرض التي وعدت حكومة الفلبين بمنحها للمملكة العربية السعودية ليقام عليها مكتب لرابطة العالم الإسلامي، وعن الحصانة (الدبلوماسية) المطلوبة للمكتب.

فرد عليه الرئيس بقوله:

منذ أن احتلت بلادنا من قبل اليابانيين والصينيين وكانوا قد أقبلوا على شراء الأراضي الجيدة، فإننا حرمنا تمليك الأجانب أراضي في البلاد، لكن يمكن في مثل حالتكم هذه أن تباع الأرض إلى المسلمين الفلبينيين، ومن هناك تنتقل إليكم.

قال: وأما الحصانة (الديبلوماسية) فإننا نمنحكم إياها مثلما منحنا أعلى الجهات المماثلة التي أعطيناها الحصانة الديبلوماسية.

والتفت إلى وكيل وزارة الخارجية وأمره بذلك.

ثم قال: سأعطيكم طائرتي الخاصة لتزوروا عليها منطقة الجنوب، وستشاهدون هناك ما تريدون مشاهدته، وأرجو أن تكون إقامتكم في بلادنا ممتعة.

كان يتكلم والمصورون الصحفيون يستمرون في التقاط الصور الكثيرة، وذلك بعد فراغ مصوري التلفزة من عملهم، ووقفوا جانباً كي يصوروا التوديع بعد انتهاء المقابلة كما صوروا الاستقبال.

وكنت أثناء حديثه أتأمل مكتبه والغرفة التي يقع فيها فأرى مكتبه المصنوع من الخشب الجيد مرصعاً بتماثيل ذات لون ذهبي، ولا أدري أهي من الذهب حقيقة أم من الصفر.

وأجد أهم ما في القاعة مكتبة حافلة قد شغلت حوائط الغرفة الواسعة من الأرض إلى السقف، وهي مليئة بالكتب المنسقة.

وقلت في نفسي: كم من الرؤساء في البلدان العربية يهتمون بأن تكون في المكتب الذي يقابل فيه الرئيس الضيوف الأجانب مكتبة فيها كتب قيمة؟

كما كنت أتأمل الرجل نفسه الذي هو من الساسة المرموقين في العالم، وهو الذي اختصم مع المسلمين، أو قل حارب المسلمين الثائرين، وكذلك حاربه ولا يزال يحاربه اليساريون في أماكن أخرى من بلاده، فأجده متحفظاً في تصرفه، وهو يعاملنا وكأننا وفد كبير لديه ما يهتم به كثيراً.

وكوّنت انطباعاً عنه بأنه يتمتع بعقلية قوية، وتفكير عميق، وهذا مصدر قوته، وليس مصدرها ذلك التهريج والوعود الخلابة التي تخدع الجماهير لفترة ثم تضمحل، كما يفعل بعض الزعماء في البلدان المتخلفة الذين يخاطبون في رسم سياسة البلاد عامة الناس الذين لا معرفة لهم بالسياسة ولا تفكير لديهم في الإصلاح، ولا قدرة لهم على التفكير فيه لو أرادوه.

وكاد الفضول، أو قل التعصب - من حيث لا أدريه - أن يقول لي في نفسي: إن هذا الرجل رغم مظهره الذي يشهد بأصله وفصله بأنه من بلاد الشرق الأقصى ذات الأنوف القصيرة، فإن تفكيره ومقدرته العقلية تشهد له بأنه من ذوي الأنوف الطويلة.

ثم تذكرت بأن هناك أناساً من أهل الأنوف القصيرة، ومنم اليابانيون، قد تغلبوا على جميع أهل الأنوف الطويلة في أوروبا وآسيا، بل وفي أمريكا سواء في الصناعة والسياسة، وقلت ما هو بدهي معروف: إن العقل الذي منحه الله للإنسان ومدى استعماله ذلك العقل هو الذي يقدمه أو يؤخره.

وقد دامت المقابلة أربعين دقيقة، وهي مدة طويلة لمثل وفدنا الذي ليس فيه من وصل إلى مرتبة وزير، وإنما نحن في رتبة وكيل وزارة.

واستأذنا بعد ذلك فودعنا ومصورو التلفزة والصحف يسجلون ذلك بالصور.

غداء وزارة الخارجية:

أقامت وزارة الخارجية حفلة غداء رسمية للوفد في الفندق نفسه باسم وزير الخارجية، وإن لم يحضر الغداء بنفسه لمرضه، وإنما أناب عنه نائبه.

وكانت حفلة رسمية معتادة ابتدأت كالعادة بتقديم المدعوين، وانتهت بتقديم الهدايا من الوزارة إلى أعضاء الوفد.

أما بين ذلك فمن أهم ما فيه أنه حرمنا من الاطلاع على شيء جديد، ومن الاختلاط بالناس في مطعم الفندق، أو حتى من اختيار الطعام الذي نريده.

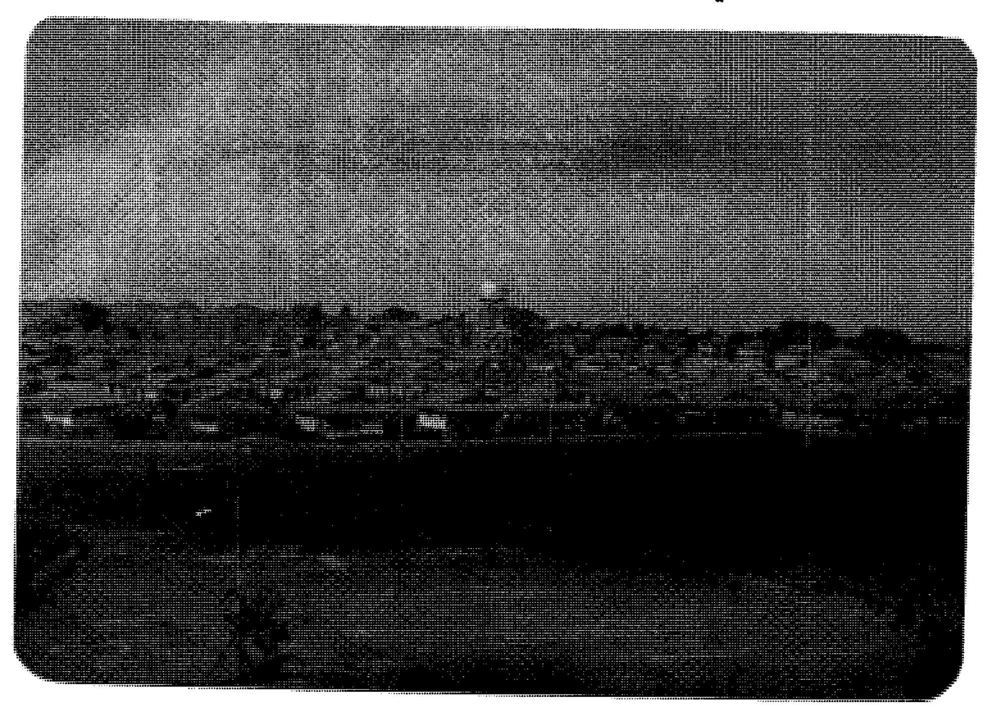
وكان الحراس وضباط المباحث حاضرين يراقبون ويصحبون أي عضو من أعضاء الوفد يذهب إلى أي مكان، ولو كان الحمام، فإنهم يذهبون معه، ويقفون في انتظاره في الخارج.

إلى قرية مهليكا الإسلامية:

كلمة (مهليكا) محرفة عن كلمة (مرديكا) الملايوية التي تعني الحرية، واشتهرت حيث كثر استعمالها في إندونيسيا إبان الاستقلال، ولا يزال نشيد (مرديكا) نشيداً واسع الاستعمال في إندونيسيا حتى الآن.

ولا تبعد هذه القرية عن الفندق الذي ننزل فيه من قلب المدينة كثيراً، ولكنها كانت في القديم قرية منفردة، أما الآن فإنها لا تعتبر منفصلة عن

مانيلا الكبرى التي يطلقون عليها اسم (مترو مانيلا).



منظر عام لقرية مهليكا الإسلامية في ضواحي مانيلا

ذهبت وحدي دون رفيقيّ إذ اعتذرا بالتعب والحاجة إلى الراحة. وكانت الساعة الثانية والدقيقة الخمسين عندما غادر الموكب الفندق تتقدمه سيارة الشرطة المعتادة، وقلت للضابط رئيس الحراس الذي كان معي ملازماً لي دائماً ومسؤولاً عن سلامتي - كما يقولون -، والسلامة من الله سبحانه وتعالى: ما دمت سأذهب وحدي دون رفيقي فلماذا يذهب الموكب كله؟ ولماذا لا يكتفون بسيارة واحدة تتسع لي ولهم؟

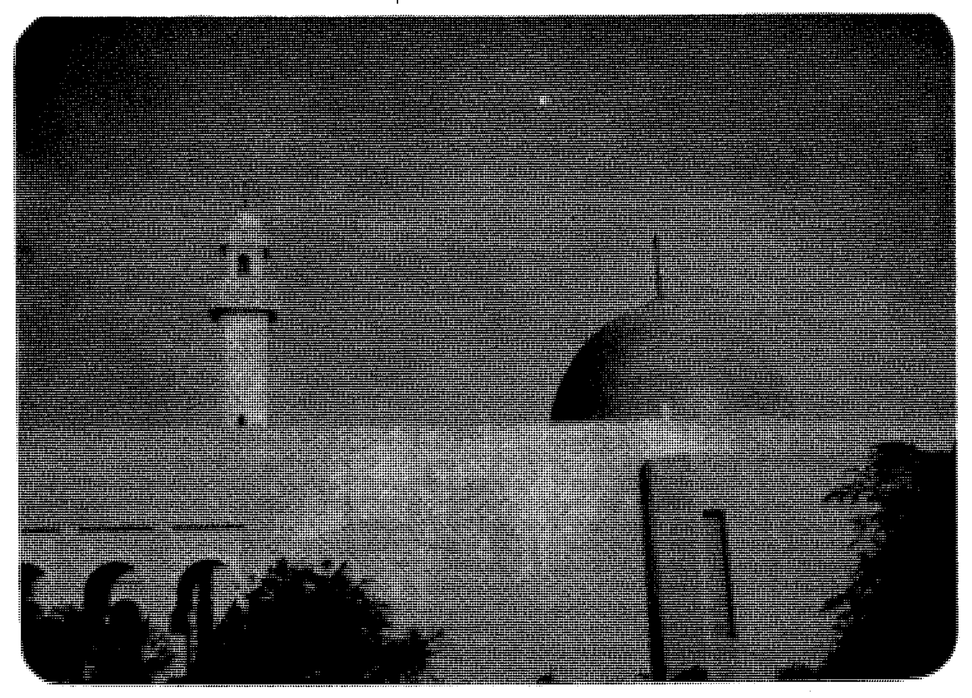
فقال: هذا موكب رسمي، وهذه أوامر رئيس الجمهورية.

كان المنظر المتجدد عجبه كما هو في كل سير لنا في مانيلا هو منظر سيارات الجيب التي جعلوا عليها صناديق حديدية في أكثر الأحيان أو

صفيح، وجعلوها كسيارات الأجرة يركبون فيها الناس كما في سيارات الحمل الصغيرة يكون على الواحدة ما بين عشرين إلى حولها، وتزدحم بها الشوارع، وربما هي أكثر السيارات لأنها ركوب الشعب المفضل، مع أن الباصات الكبيرة موجودة، ولكنها ليست من الكثرة بحيث تكفي سكان مانيللا الذين يبلغ عددهم ستة ملايين، كثير منهم من مستوري الحال أو من الفقراء.

المسجد الأزرق:

هذا من المساجد الشهيرة في مانيللا، أنشأته زوجة رئيس الجمهورية التي يطلقون عليها (السيدة الأولى) كما يفعل الأوربيون، وقد أنشأته من مؤسسة ترأسها اسمها (مبرة كارلوس) إضافة إلى اسم زوجها رئيس الجمهورية.



الجامع الأزرق في مانيللا

استقبلنا فيه (حاجي محمد أشدو) قالوا: إنه من أهل العلم، وشيخ

علم، والأخ (فاروق كريبشو) وهما من المكتب الإسلامي الثاني.

سمي المسجد الأزرق لقبته الزرقاء ذات الطراز العربي الجميل مثلما سمي مسجد قبله بالمسجد الذهبي لأنه ذو قبة ذهبية جميلة، وكلاهما في العاصمة، وكلاهما بني بسعي زوجة رئيس الجمهورية.

ومن داخل المسجد بدت القبة ذات نوافذ عربية ملونة وأكثرها باللون الأزرق، وفيها كتابات عربية بخط جميل.

أخبرونا أنه يصلي الجمعة في العادة ما بين مائتين إلى أربعمائة مصلٍ، ويصلي في الأوقات المعتادة نحو مائة. وقالوا: إن هذا المسجد حديث البناء، أنشئ عام ١٩٧٧م، وكرروا قولهم: إنه كله حتى أرضه من الحكومة، وإنه بني بأمر من زوجة رئيس الجمهورية، وقد أخبرونا أنهم كلهم يعملون في الحكومة، وأنهم كلهم مسلمون.



تذكارية داخل المسجد الأزرق في مانيللا

قالوا: إن أهم ما تحتاج إليه مكتبة المسجد هو الكتب الإسلامية باللغة الإنكليزية، لأن هذا الأمر لازم للمسلمين، كما أنه مهم لتلبية رغبة رواد المكتبة من غير المسلمين.

وقالوا: إن هناك بعض الأشخاص من غير المسلمين يأتون إلى هذا المسجد يريدون الدخول في الإسلام، وهم من النصارى.

وفي هذه الأثناء انضم إلى الحضور (عبد الباسط حمدان بانسل) من موظفي مباحث الحكومة، كان قد درس في كلية الشريعة بالأزهر، ويعرف قدراً لا بأس به من العربية، وهو موظف عند الحكومة أيضاً.

والعجيب أن الشرطة بلباسهم الرسمي يوجد منهم عشرات داخل المسجد جاؤوا للمحافظة على الأمن، وإن يكن الأمن في غير حاجة إلى وجود هذا العدد الكبير منهم.

وبقرب المسجد رأيت طائفة من البنيات الصغيرات يرقصن فقالوا: إن هذا فصل في روضة للأطفال تابعة لمدرسة حكومية أنشأتها الحكومة كما أنشأت المسجد.

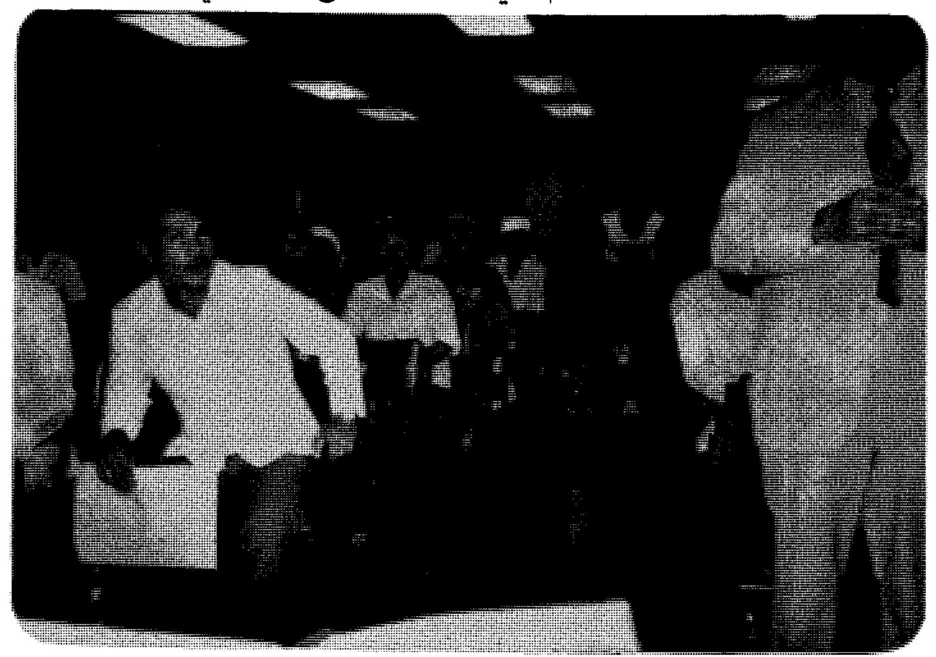
ثم أرونا عيادة طبية ملحقة بالمسجد قالوا إنها تحتاج إلى تزويدها بالأدوية، وكذلك مكتبة صغيرة ملحقة بالمسجد ليس فيها من الكتب عدد يستحق الذكر، وطلبوا تزويدها بالكتب الإسلامية، وبخاصة باللغة الإنكليزية.

وعندما أبديت لهم استحسان وجود مرافق عامة تابعة للمسجد كالعيادة، والمكتبة قالوا: إنه أنشئ ليكون بمثابة مركز ثقافي إسلامي. وقالوا: إن المطلوب أن تكون المدرسة إسلامية، كما أن هناك مرافق أخرى تابعة للمسجد.

وقد رأيت جماعة من الشبان جالسين إلى الحائط الخارجي للمسجد، فأخبرونا بأن هؤلاء متعطلون، وأكثرهم جاؤوا من جنوب الفلبين يطلبون أن يحصلوا على عمل في البلاد العربية، وذكروا أنهم ينامون في المرافق التابعة للمسجد.

حفلة المسلمين:

في قاعة الاجتماعات الملحقة بالمسجد وجدناهم أعدوا العدة لحفل خطابي حضره وجهاء وكبار من وجهاء المسلمين في مانيللا، منهم القاضي (ماما بشران) قاض في محكمة الاستئناف سابقاً، وهو الآن متقاعد، والأخ (شري بارا) رئيس جمعية مسلمي الفلبين، وعضو مجلس الشيوخ سابقاً، والأخ (مجيد مالان) رئيس جمعية سكان هذه القرية (مهليكا)، وحاجي عبدالحميد قهار رئيس جمعية مؤسسة باليك إسلام، أي مؤسسة التبليغ الإسلامي.



أثناء الحفل الخطابي قرب الجامع الأزرق في الفلبين

ورئيس جمعية المؤلفة قلوبهم، وكل المؤلفة قلوبهم من حديثي الإسلام، أي الذين دخلوا في الدين الإسلامي بأنفسهم، وليسوا من الذين آباؤهم مسلمون.

ومن حسن الحظ أن حضر الشيخ عبد الرافع حسن عميد المعهد العربي في جامعة مانيلا وسكرتير الدعوة الإسلامية في الفلبين، فهو ذكي حصيف، ويعرف العربية جيداً إذْ أكمل دراسته الجامعية في الأزهر.

ثم بدأ الحفل الخطابي بالتعريف بالحاضرين من الفلبين ومراكزهم، ومن ذكر اسمه قام وأشار بالسلام والتحية إلى الموجودين، ثم عرفهم الأخ عبد الرافع بي، وشرح لهم مهمتي حسبما أخبرته.

وقد امتلأت مقاعد القاعة بالحضور من رجال ونساء، وكانت المتقدمات بالسن من النساء في مقدمة الصفوف، والشابات في مؤخرتها مثلما هو عليه الحال بالنسبة إلى الرجال.

ثم تلا الأخ (إلياس إسماعيل) وهو إمام في أحد المساجد آيات كريمة من القرآن الكريم بقراءة متقنة.

أعقب ذلك شرح موجز رسم على سبورة كبيرة لقرية (مهليكا) هذه التي كل سكانها من المسلمين، وقد أنشئت لهم خاصة، وذكروا حاجتها إلى مدارس للبنين والبنات، والفكرة التي يتصور أن تكون عليها بعد خمس سنين؛ حيث ذكروا في شرحهم أن الواقع أن تكون مدينة في ذلك الوقت يبلغ عدد سكانها ما بين ثلاثمائة ألف إلى خمسمائة ألف نسمة،

وقالوا: إنه ما لم تنشأ لهم مدارس إسلامية لتربيتهم تربية إسلامية صحيحة فإن هناك خطراً كبيراً في أن يتعرضوا للذوبان والضياع في مجتمع مانيلا المسيحي بعد مضي عشرين سنة لا قدر الله.

هذا ومما هو جدير بالذكر أن جميع الحاضرين من المسلمين، وأن الذين معنا من حراس وضباط مباحث وموظفي تشريفات كلهم بقوا في الخارج، ما عدا اثنين أو ثلاثة كانوا يراقبون من خراج القاعة لأنهم ليسوا من المسلمين.

ثم تناوب الخطباء على المنصة، ومن أكثرهم شأناً الأخ شري بارا رئيس جمعية مسلمي الفلبين، فكان يتكلم من كل قلبه، وقال: إن المسلمين يقاتلون إخوانهم في الوطن، ونحن نقول لهم: هيا إلى السلام، ولكن يجب أن يكون لنا من الحقوق مثل ما للمسيحيين. وكان يتكلم بصراحة ووضوح، إلا أنه في آخر كلمته دعا إلى أن يتسلح المسلمون بسلاح العلم والمعرفة، وطلب من إخوانهم المسلمين في البلاد العربية والإسلامية أن يساعدوهم على ذلك.

كما تكلم رئيس جمعية المؤلفة قلوبهم التي يراد بها الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً، فكان مما قاله: إنه رغم ضعف المسلمين في الفلبين سواء من الناحية الاقتصادية أو الثقافية الحديثة أو غير ذلك، فإن الإسلام ليس بضعيف، ولا يزال المسيحيون يدخلون في الإسلام، وأنه إذا تيسرت دعوة إسلامية منظمة لهم فإن النتيجة ستكون بإذن الله نصراً واضحاً للإسلام لأنه هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وفي نهاية الاحتفال طلبوا أن ألقي كلمة، فألقيت فيهم كلمة طويلة ترجمها الأخ الشيخ عبد الرافع حسن ترجمة جيدة.

وانتهى الاحتفال في الساعة السادسة بعد أن استمر أكثر من ثلاث ساعات، وكان من المقرر أن تكون مدته أقل من ذلك بكثير.

وعندما تحرك الموكب من الجامع الأزرق تقدم رجل بسرعة إلى سيارتي وهو يندفع اندفاعاً كمن يريد لأن ينتحر بالتعرض للسيارة، أو كأنما هو

سكران، أو في حالة عقلية غير طبيعية، فتفاداه السائق، واضطرب الحراس وضباط المباحث، ونزل ضابط شرطة بملابسه الرسمية، وقبض عليه، وتركناه وهو معه، ولم يخبرني الذين معي بما يريد لأننا ابتعدنا عنه وعن الذين قبضوا عليه.

واستمر الموكب تتقدمه سيارة المرور وهي تتجاوز السيارات العادية، وتلح عليها بتجنب الطريق مع أنها أحق بالمرور، ثم تقطع الإشارات المرورية أيضاً يساعدها ضباط المرور الواقفون على بعض مفارق الطرق وعند إشارات المرور.

حفلة وزير التعليم:

وهي حفلة عشاء رسمية أخرى أقيمت في الساعة الثامنة ليلاً باسم وزير التعليم والثقافة في الفلبين، ولكن الوزير كان خارج البلاد، فكان الذي أقامها وكيل وزارة التعليم الذي كان معنا في أكثر الحفلات، واسمه (هر مينقلو دملو).

وقد حضرها عدد من رجال التعليم وأساتذة الجامعات.

وطلبوا أثناءه أن تساعد المملكة العربية السعودية على إصلاح وضع المدارس الإسلامية، وأن تساعد أيضاً على افتتاح مراكز لدراسة الدين الإسلامي واللغة العربية في الفلبين.

إلا أنه من الملاحظ أنهم في كل خطبهم ومباحثاتهم لم يتقدموا بطلبات محددة واضحة للمساعدة على ذلك، فالوفد ومعهم السفير النبيه (فوزي الشبكشي) لم توضع بين أيديهم مثل هذه الطلبات المحددة للمساعدة.

وقد قلنا لهم: إننا في السابق لم نكن نعلق على أمثال هذا الطلب العام الذي كان يتقدم به المسؤولون الفلبينيون لأننا كنا نريد أن نستمع إلى كل

ما يقولونه، أما الآن، وقد سمعنا كثيراً فإننا نود أن نحيطكم علماً بأننا نود أن تتقدموا بمطالب أو مسائل محددة واضحة للمساعدة يمكن أن نناقشها معكم ونبدي رأينا فيها على هذا الأساس.

وقد وافقوا على ما قلناه، وذكروا أنهم سيتقدمون بمطالب محددة مكتوبة بعد أن يرجع الوفد من زيارته لجنوب الفلبين.

يوم الخميس ٢٠/٤/١٤٠٣هـ - ٢ فبراير عام ١٩٨٣م.

جنوب الفلبين:

جنوب الفلبين له أهمية خاصة لدينا، فهو موطن غالب إخواننا المسلمين في الفلبين، وهو مسرح حرب عصابات يشنها إخوتنا المسلمون ضد حكومة الرئيس ماركوس المسيحية التي يقولون إنها تريد طمس ثقافتهم الإسلامية وإذابتهم في المجتمع المسيحي.

إضافة إلى ما يشعرون به جميعاً من غبن حينما يرون أن المسيحيين يستأثرون بالوظائف الحكومية الكبيرة، ويحكمونهم بتعالٍ وغطرسة - كما قالوا - بحجة أن المسلمين غير مثقفين، وأنهم لا يحبون الحكومة، بل قالوا: إنهم لا يحبون الوطن الفلبيني الكبير.

ولقد استمرت الحرب التي يشنها الإخوة المسلمون في الجنوب حتى وصل صداها إلى البلدان الإسلامية جميعها، وأكثرها ذات علاقة قوية بحكومة الفلبين، وللفلبينيين علاقات ومصالح مع تلك الدول، وكانت حكومة الفلبين تعلن أول الأمر أن هؤلاء المسلمين الذين يقاتلونها ليسوا إلا أفراداً من العصابات الخارجة على القانون، غير أن المسلمين نتيجة للصحوة الإسلامية والاهتمام بأمور الجماعات المسلمة في بلاد الأقليات قد اتضح لهم أن ذلك غير صحيح، وإنما هم قوم من المناضلين الذين يريدون حكماً ذاتياً لمناطقهم التي تختلف عن بقية بلاد الفلبين بكون الأغلبية من سكانها يدينون بالدين الإسلامي، ويتكلمون لغة أخرى غير التي يتكلم بها أهل شمال الفلبين، لذلك جعلت حكومة الفلبين تفكر بحل هذه المسألة حلاً جذرياً، إلى جانب تقربها من الحكومات الإسلامية، وتسهيل وصول المهتمين الرسميين في بلاد الأكثريات المسلمة إلى مناطق الجنوب ليطلعوا تحت إشراف الحكومة الفلبينية على الوضع فيها.

ولا شك أن الدعوة الرسمية التي وجهت لنا ، والحفاوة التي قابلتنا الحكومة بها ، والتسهيلات العظيمة للزيارة إنما الدافع الأكبر لها هو ما ذكرته ، إلى جانب ما تأمله أو لنقل: إنها تتوهمه من تأثير أمثالنا على الإخوة المسلمين المقاتلين، وحملهم على الاتفاق مع الحكومة الفلبينية.

من مانيللا إلى (كاقايان) :

سار الموكب مبكراً هذا الصباح إلى المطار العسكري الواقع بالقرب من المطار الدولي في مانيللا ، فدخلنا إليه وسط حراسة مشددة ، كان في استقبال الوفد عند مدخل المطار عدد من كبار ضباط الجيش، وقد عرفونا بعدد منهم على رأسهم الجنرال قائد القوة الجوية.

فاسترحنا قليلاً في المبنى، ثم خرجنا إلى الطائرة التي اصطف على يمين الطريق إلى سلمها ويساره صفان طويلان من الجنود أدوا التحية العسكرية التي كان مصورو التلفزة والمصورون الصحفيون يغطونها تغطية كاملة.

وعندما دخلنا الطائرة بادرت المضيفات بتطويق أعناق الوفد بأطواق من الزهور، ربما كان هذا جرياً على العادة في تعليق تلك الأطواق في أعناق من يدخلون طائرة الرئيس الخاصة هذه.

مقاعد الطائرة والجلوس فيها على هيئة موائد مستديرة متحركة ، امام كل مائدة مقعدان ما عدا مائدة واحدة فعليها مقعد واحد قالوا : إنها المائدة التي يجلس عليها الرئيس، وقد أجلسوني عليها ، ولذلك عندما أراد وزير شؤون المسلمين التقاط صورة تذكارية معه في الطائرة انتقلت إلى مائدته لئلا يقف وأنا جالس.

وعلى هذه المائدة الرئيسية باقة زهور خاصة.

لقد رافق الوفد عدد من كبار الموظفين على رأسهم وزير شؤون

المسلمين (روميللو إسفالدون)، والشيخ عبد الرافع حسن، وعدد من أعضاء البرلمان، ومنهم (قلبي توباي) وهو أحد المعارضين بل المقاتلين المسلمين، إلا أنه ترك ذلك وقال: عينني الرئيس عضواً في البرلمان، ولكن يظهر عليه أنه ليس مرتاحاً نفسياً لذلك.



المؤلف بجانبه وزير شؤون المسلمين سفالدون على مكتب داخل الطائرة الرئاسية أثناء تحليقها في الجو

إضافة إلى الحراس والجنود وضباط المخابرات، ويبلغ عدد الجمع نحو عشرين شخصاً.

والمطار مليء بالطائرات الحربية، وعدد كبير من الطائرات الحوامة (الهليوكبتر).

وقد وضعوا أمامنا جرائد هذا الصباح التي نشرت صوراً لمقابلة الوفد

مع رئيس الجمهورية في الصفحة الأولى، كما كانت التلفزة قد بثت ذلك أمس.

والطائرة نفاثة متوسطة الحجم، فيها محركان، وهي مجهزة بوسائل الراحة الداخلية، ومن ذلك أن فيها جهازاً خاصاً للتلفزة، والمقاعد فيها كالموائد تتحرك عند الحاجة.

عندما استوت في الجو أخذت المضيفات، وهن ثلاث من ذوات النسب المختلط ما بين الإسبانيين والفلبينيين، أو هذا ما ظهر عليهن فلسن كأهل الفلبين في قصر القامة وصغر الأنف وباقي الخصائص.

المشاعر المتناقضة:

كانوا يبالغون في إظهار تكريم وفدنا، وليس أدل على ذلك من تخصيص هذه الطائرة الخاصة برئيس الجمهورية للوفد، وأخبرونا بأنها ستحبس هناك حتى نعود من جنوب الفلبين إلى ما نيللا.

وحتى أولئك الضباط الذين استقبلونا من الجنرالات وكبار الرتب وكانت تجتاحني مشاعر متناقضة غريبة.

فكنت أشعر أن هذا التكريم كله على حساب إخوتنا المسلمين بمعنى أنه سوف يضر بقضيتهم، أو على الأدق ليس في صالح قضيتهم، ثم تقول لي نفسي: ولم يكون ذلك؟ أأنتم طلبتم ذلك؟

وكيف يضر هذا بالمسلمين وأنتم وفد حكومي رسمي قدمت إليه الحفاوة رداً على حفاوة مماثلة قدمتها حكومتكم لحكومة الفلبين عندما زارها الرئيس ماركوس ومرافقوه.

فأكاد اقتنع بذلك وأقول: أن الأمر لا يزيد على مجاملة ضيف لمضيفه في حدود معينة، وأن ذلك لا يغير مما في القلوب شيئاً.

إلا أن رؤية أولئك الضباط والجنود وسط الطائرات الحربية والحوامة وهم يحيون ويجاملون مع أنهم هم أنفسهم الذين كانوا يرسمون الخطط العسكرية للهجوم على المسلمين، وكسر شوكتهم، وإبقائهم تحت السيطرة الكاملة، وذلك الأمر هو الذي كدر عليَّ عيشي في هذا الصباح.

ثم إن هذه الصور الكثيرة ستستغل في الدعاية للحكومة، وربما تسببت في إلحاق ضرر بالإخوة المسلمين في الجنوب، وما زلت تنتابني مشاعر متناقضة محيرة من هذا القبيل !.

في مطار كاقايان:

كان الطيار قد أعلن أن مدة الطيران من مانيللا إلى كاقايان ساعة وربع.

ولذلك بعد أن مضت الساعة من الطيران كنا في أثنائها نطير فوق ساحل البحر أصبحنا نطير فوق الجزيرة التي فيها مدينة (كاقايان).

وقد بدت المنطقة من الطائرة غير بالغة الاخضرار، وفيها بقع جافة تبين فيما بعد عند النزول أنها حشائش وأعشاب كثيفة جافة، لأن الموسم الآن ليس موسم الأمطار.

وهي أرض جبلية فيها أشجار غير مثمرة أي: وحشية من أشجار الغابات.

ومن مناظرها أيضاً قطيع أبقار بيض ترعى في هذه الحشائش الجافة.

وقد وصلنا في الساعة التاسعة إلا ثلثاً.

فوجدنا ثلاث طائرات من الطائرات الحوامة (الهيلو كبتر) مستعدة لتقلنا إلى مدينة (ماراوي).

إلى مدينة ماراوي:

مدينة (ماراوي) تعتبر عاصمة المسلمين في الجنوب نظراً إلى أغلبية سكانها الذين هم من المسلمين، وإلى الحركة الإسلامية العلمية فيها، ولذلك كان من المسلّم به أن الذي يزور الجنوب ولا يزور (ماراوي) كأنه لم يزر الجنوب المسلم.



مسجد ببلدة توقياء لاناو الجنوبي ٢٠ كيلو متراً من ماراوي

وبالنسبة إليّ فإن لمدينة (ماراوي) معنى خاصاً في نفسي، ذلك بأنها أول مدينة فلبينية سمعت بها، ثم رأيت طلابها، وذلك أثناء عملي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، فقد كان الشيخ أحمد بشير الأمين العام لجمعية إقامة الإسلام في الفلبين، وعميد المعهد العربي الإسلامي في (ماراوي) من أوائل المسلمين الفلبينيين الذين اتصلوا بنا في الجامعة الإسلامية، بل في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، وكان طلاب هذا المعهد الإسلامي من أوائل

الطلاب الذي حضروا بالفعل إلى الجامعة الإسلامية في المدينة على منح دراسية، وأتم أكثرهم دراساتهم في الجامعة الإسلامية.

ثم تكررت صلتنا بهذا المعهد وعميده والمتخرجين فيه حيث كان الشيخ أحمد بشير نشيطاً في الاتصال حريصاً على استمراره، قلما يترك فرصة إلا وينتهزها لإرسال طلاب من الفلبين إلى المملكة العربية السعودية وإلى غيرها من البلدان الإسلامية، وكان يرسل طلابه إلى الأزهر قبل افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

قامت الطائرات العسكرية الحوامة التابعة للجيش الفلبيني من مطار (كاقايان) الذي كتبوا عليه (كاقايان دي أورو) أي: كاقايان الذهب بالإسبانية التي كانت لغة الثقافة والدين في الفلبين لعدة قرون. وهذه الطائرات الحوامة (الهليوكبتر) كبيرة جداً بحيث أن واحدة منها تكفي لنقل الوفد ومرافقيه. غير أنهم أرادوا من ذلك ما أرادوه من تخصيص طائرة الرئيس لتنقلات الوفد بدلاً من الطائرات المعتادة، وذلك من باب إظهار الحفاوة والتكريم.

قامت الطائرات بعد وصولنا بخمس دقائق بين ضجيج مختلط من محركاتها التي كانت تطلق بعد أن استوت في الجو ضربات شبه منتظمة من محركاتها تجلب النعاس.

وقد انعكس ظلها على الأرض فكان واضحاً عليه أكثر من وضوحه في رؤية البصر في الجو، وقد اتضح أنها تطير وهي ثلاث على هيئة سهم رأسه طائرة الوفد الذي كان أعضاؤه في طائرة واحدة بخلاف سيارات الموكب، وطائرتان اثنتان ضمتا بعض المرافقين على هيئة جانبي السهم، أو قل على هيئة جناحي الطائر المضمومين والطائرة الأولى على هيئة رأس الطائر.

وقد تركوا بابي الطائرة مفتوحين، وذلك لكي نتمكن من رؤية الأرض تحتنا بسهولة ورؤية كل ما حولنا، وطلبت أن أكون بجانب الباب

لهذا الغرض.

كانت تطير فوق أرض جبلية تكاد تكون وعرة مجللة رؤوسها وأكتافها بأشجار الغابات، وسقوفها وجوانبها بأشجار النارجيل، وفي الوديان بعض المزروعات النافعة كالموز ونحوه، إلى جانب بعض الحقول الصغيرة.

وقد بهرني المنظر لقرب الطائرات من رؤوس الجبال إذ كانت تطير في بعض الأحيان محاذية لسفوح الجبال العالية، وبخاصة فوق الأودية العميقة، إلا أنني كنت مضطراً إلى أن أمسك ثيابي العربية بيدي كلتيهما ذلك بأن الهواء المنبعث من باب الطائرة المفتوح ينازعني ثيابي، فكنت أضطر إلى إمساك (الغترة) غطاء الرأس بيد، وأسفل الثياب مع أسفل العباءة بيد أخرى طول الطريق، وكذلك فعل زميلي الشيخ علي مختار وإن لم يكن مجلسه عند الباب، لأنه مثلي يرتدي الملابس العربية، أما زميلنا ممثل وزارة الخارجية في الوفد الأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام فإنه لا يعاني من هذه المشكلة لأنه يرتدي (بدلة) محكمة الإزار حتى رباط العنق فكفاه ذلك مؤونة الاستمساك المتواصل بالثياب.

ومع هذا المنظر البديع والطائرات الحوامة تواصل طيرانها الهادئ المنتظم ذا الضربات المتناسقة التي تحكي ضربات القلب السليم القوي وهي تطير فوق منطقة لم أرها من قبل، وكنت أتتبع أخبارها، وأستمع باستمرار إلى مشكلاتها، فإن ذلك لم يبعد عني تلك المشاعر المتناقضة التي خامرتني ونحن نركب في طائرة الرئيس الخاصة قبل قليل.

بل هذه المشاعر التي أشعر بها الآن أكثر تناقضاً وأعظم اضطراباً في النفس، بل أعظم إيلاماً للشعور، لأنني تذكرت أن هذه الطائرات العسكرية الحوامة، وهؤلاء الضباط والجنود الذين يقودونها والذين يعملون عليها، هم الذين كانوا يتتبعون ثوار المسلمين بهذه الطائرات الحربية القوية ويلاحقونهم في رؤوس الجبال، وفي بطون الأودية، وبين الأشجار النائية الملتفة

يسلبونهم أرواحهم، بل ويخربون بيوتهم، ويحرقون مزروعاتهم، وأنا الآن أجلس مع رفقائي في أحد هذه الطائرات محروسة بطائرتين أخريين وربما ابتسم أحدنا لهؤلاء الجنود والضباط من باب رد الابتسام بابتسام، أو من باب المجاملة في المعاملة، فأتخيل ابتساماتنا هنا وكأنما هي تحمل الشماتة بإخوتنا المسلمين على انتصار الحكومة الفلبينية عليهم بشتى أسباب النصر السياسية والعسكرية ومنها أعظمها أثراً، وأكبرها خطراً وهو دهاء الرئيس ماركوس وحنكته في التفريق بين زعماء المسلمين، وإغراء بعضهم بالمناصب والمكاسب الوظيفية، أو المكانة في المجتمع بدلاً من الحرب والضرب التي يتبعها اللجوء والهرب من البلاد، عند الاستمرار في الجهاد والمقاومة.

ولكن ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾.

في جامعة منداناو:



في جامعة غرب منداناو مع الوزير روميللو إسفالدون

حطت الطائرات الحوامة الثلاث في حرم جامعة مندناو في مدينة (ماراوي) الحكومية بعد اثنتين وعشرين دقيقة من الطيران، فوجدنا في الاستقبال حشداً من الناس من الرجال والنساء، وقد بادرت النساء بتطويق أعضاء الوفد بأطواق الزهور البيضاء الجميلة.

كما نثروا في الجو أوراقاً ملونة كما تنثر الزهور علامة الابتهاج.

وحرم الجامعة الذي نزلنا فيه على هيئة حديقة واسعة مفروشة بحشائش خضر ندية، وتتناثر فيها أشجار الظل بصفة غير كثيفة إلا في حواشي المكان إرادة منهم للسعة في أوساطه.

اجتماع حاشد رياضي:

وجدنا رتلاً من السيارات معداً للوفد، من بينها عدد من سيارات الجيب العسكرية، فامتطيناها فسارت غير بعيد إلى ملعب رياضي واسع قد احتشد فيه جمع عظيم من الناس أكثرهم من الشبان، وقد صعدنا إلى المدرجات، وكان الحراس المرافقون يبعدون الناس عن الطريق لأن ملابسنا العربية كانت تلفت أنظار الجميع إلى جانب الموكب.

فتكلم وزير شؤون المسلمين في مكبر الصوت، أعقبه محافظ المدينة (محمد علي ديما بورو) فتكلم مرحباً بالوفد باسم أهالي البلدة.

وهذا الرجل محافظ المدينة وفي الوقت نفسه هو رئيس جامعة مندناو الحكومية.

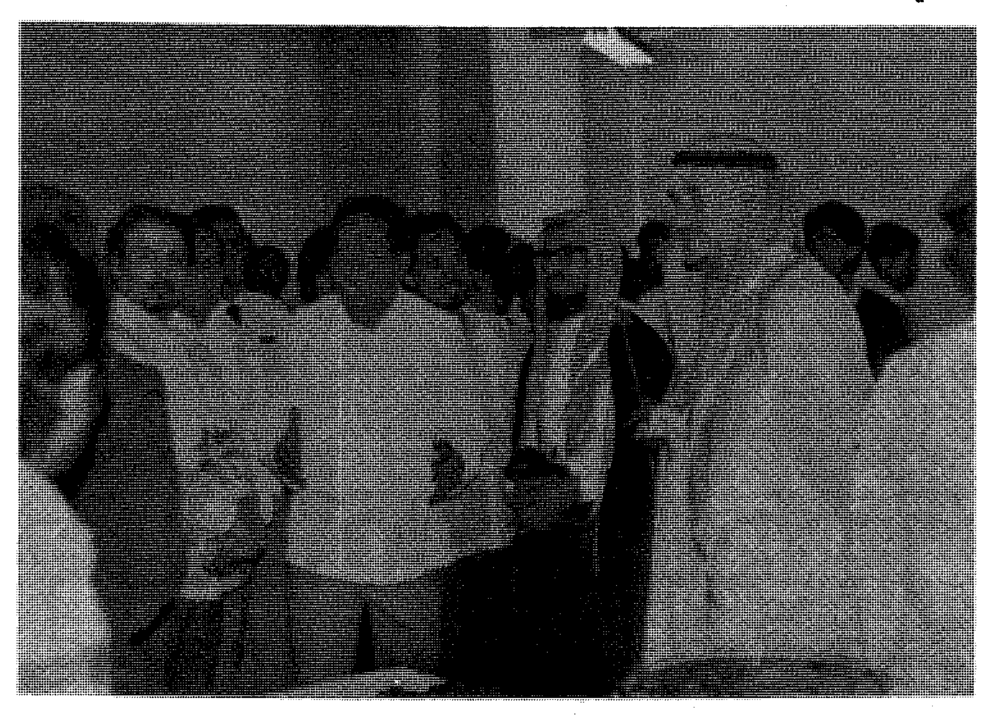
والمهرجان رياضي مقرر من قبل.

عود إلى جامعة مندناو:

وهي جامعة حكومية يبلغ عدد طلابها خمسين ألف طالب أكثرهم من المسلمين كما أخبرونا، وذلك بالنظر إلى أن أغلب السكان في المدينة

ومنطقتها هم من المسلمين، وفي هذه الجامعة (معهد الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية).

ذهبنا إليها بصحبة المحافظ، وهو رجل نشيط لا يكاد يفتر عن الحديث والحركة، قال وهو معي في السيارة: إننا مسرورون لزيارتك لأن مجيء الرسميين مثلك إلى بلادنا قليل.



مع رئيس جامعة غرب مندناو

أما مظاهر الناس الذين رأيناهم هنا فإن فيه بعض الاختلاف عن أهل الشمال، فهم أقرب ما يكونون إلى الملايويين والإندونيسيين، أو هذا هو ما خيل إلينا.

ولم نلبث طويلاً في الجامعة؛ لأن لدينا برنامجاً لزيارة بعض المدارس والكتاتيب الإسلامية.

معهد مندناو العربي:

قصد الموكب حياً قديماً في المدينة يقع فيه معهد مندناو العربي، وهو المعهد الشهير التابع لجمعية إقامة الاسلام في الفليبين، ويترأسه الشيخ أحمد بشير.

وقد تجولنا في بعض الغرف والفصول، واجتمعنا بالطلبة والمدرسين، ودخلنا السنة الثالثة من المرحلة الثانوية وكان الدرس (نحواً)، والموضوع تقديم العامل وكتبوا في السبورة مذهب الكسائي والمبرد في هذه المسألة النحوية وبيان رجحانه على مذهب سيبويه. والطالبات: بنات، وهذا عجب من أمر اللغة العربية التي تدرس خلاف النحويين القدماء في مسائل نحوية في هذه البلاد البعيدة النائية عن بلاد العرب، وذلك لأنهم مسلمون يريدون أن يقووا بذلك على فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ومن ألطف المناظر مناظر الطالبات المسلمات وعليهن اللباس الساتر السابغ، وألطف من ذلك أننا رأينا فيه اثنتين من أخواتنا المسلمات متخرجات من إحدى كليات المملكة وهما متحجبتان لا يبين إلا أعينهن، وهذا شيء نادر في هذه البلاد؛ بل في بلاد جنوب شرقي آسيا كله تقريباً.

وهن يبسطن رغبتهن في أن تتعاقد معهن المملكة للتفرغ للدعوة إلى الله بين النساء، كما تعاقدت دار الإفتاء والدعوة في المملكة مع نسوة أخريات في الفليبين وفي غيرها من البلاد.

والطالبات المسلمات على وجوههن رونق الحياء، وصفاء البشرة رغم رقة الحال عند بعضهن التي تسبب عدم التغذية الكاملة، وذلك الرونق وصفاء البشرة راجع إلى الحياة الإسلامية الطبيعية التي تمنع من شرب الخمر، ومن السهر، كما أنهن لا يضعن المساحيق ومراهم التزيين، وهي كلها أسباب من أسباب ذبول البشرة وفقدان الإشراق الطبيعي في وجه المرأة.

إضافة إلى أن النظافة على الثياب والأبدان هي الطابع الغالب على

الطلاب والطالبات في هذا المعهد.

وهو معهد كبير يبلغ عدد طلابه من الجنسين ألفين ومائتين وخمسين طالباً في أربعة عشر فصلاً، وبعض هذه الفصول مجموعة في مكان واحد من دون فاصل لقلة الغرف وضعف الإمكانات عن البناء.

معهد كامل الإسلامي:

من معهد مندناو العربي انطلق الموكب إلى معهد إسلامي آخر في هذه المدينة المسلمة (ماراوي)، واسمه (معهد كامل الإسلامي).

كان الموكب يسير وهو يثير غباراً بسبب سوء حالة الشوارع، وخلو أكثرها من الإسفلت.

فكان من نمر به من الرجال والنساء نراهم قد وضعوا على أنوفهم وأفواههم مناديل لتقيهم دخول الغبار إليها، وبعضهم يضع عليها طرف ثوبه إذا كان امرأة، أو طرف فوطة إذا كان رجلاً، تماماً مثلماً كنا نفعل في بلادنا قبل سفلتة الشوارع فيها عندما كان الشخص منا يضع طرف (غترته) التي يغطي بها رأسه على أنفه وفمه ليقيه غبار السيارات، أو حتى غبار الدواب التي تمر به، وذلك قبل سفلتة الشوارع في مدننا.

وقد مررنا بشوارع ليست جيدة لا من حيث السعة ولا من حيث النظافة والسفلتة، وعليها بيوت معظمها من الخشب المسنم المسقوف لأن المنطقة تشهد موسماً مطيراً في بعض فصول السنة.

وقف الموكب قرب باب المعهد، ووجدنا في فنائه الخارجي قبراً قالوا إنه قبر مؤسسه (محمد صادق) رحمه الله، وقد سلمنا عليه في قبره السلام المشروع عند زيارة القبور.

ثم رأينا الطلاب والطالبات بلباس نظيف ووجوه مشرقة.

وكانت هذه الزيارة مفاجئة لم يعلم المسؤولون في المعهد عنها من قبل، وربما كان المسؤولون في الحكومة الذين نظموا زياراتنا أرادوا ذلك حتى نطلع على حالة المدارس كما يسمونها، وأنها كما يصفونها تحتاج إلى إصلاح وتغيير في المناهج، وذلك أنها تربي شبان المسلمين تربية إسلامية بعيدة عن تأثير الدولة ومؤسساتها ومدارسها.

فجلسنا في قاعة للإدارة رديئة الأثاث، وتناقشنا مع المسؤولين في المعهد في البرامج والمشروعات المتعلقة به.

ثم دخلنا فصلاً من فصول البنات، وهو السنة الثانية الإعدادية، والدرس (تعبير) أي إنشاء باللغة العربية، وقد رأيت إنشاءهن باللغة العربية فإذا هو جيد بالنسبة إلى مستواهن الدراسي إلى كونهن نشأن في بيئة أعجمية لا تكتسب اللغة العربية فيها إلا بالتعلم.

وكان بعض الزملاء قد دخلوا فصولاً أخرى اغتناماً للوقت، وذكروا أنهم لم يحمدوا مستوى الطلاب فيها.

وهذا المعهد تابع لجمعية إقامة الإسلام في الفلبيين أيضاً من حيث الإشراف والعناية، وقال المدرس إن حفظ القرآن الكريم مقرر على الطلاب ما بين بنين وبنات، وقد رأيت في أحد الفصول طلاباً يحفظون قدراً من القرآن الكريم عن ظهر قلب.

مسجد السلطان عمر:

تركنا (معهد كامل الإسلامي) ورحنا نسير على أقدامنا مع أزقة ترابية مهملة وشوارع فرعية ليس لها أرصفة، وفي أطرافها مجاري المياه المستعملة الخارجة من البيوت كما هو الطابع العام لأكثر البلدان القريبة من خط الاستواء في إفريقية وآسيا.

فوقفنا عند مسجد لم يتم بناؤه بعد اسمه (مسجد السلطان عمر) على

اسم شخص كان أخوه مرافقاً لنا في الطائرة من مانيللا وهو عضو في البرلمان كما قال، كما أخبرت عنه أنه من الأثرياء.

أما السلطان عمر الذي كنت أظن أنه شخص قديم فإنه أصغر من أخيه سناً وأسرع منه حركة، وكان في استقبالنا في المسجد، وقيل لي: إنه كان عضواً في البرلمان أو موظفاً كبيراً في الحكومة، لا أذكر أي ذلك قيل، ولكنه آثر (السلطنة) على ذلك، فاستقال من وظيفته وأصبح سلطاناً اسمه (عمر جاتلان).

وهو ثري ويعمل بالتجارة.

أما السلطنة فإنها بمثابة الرئاسة العرفية على مدينة أو قبيلة أو جماعة كبيرة، وقد كان السلطان عمر هذا قد انضم إلى مرافقينا في مدينة (ماراوي) حيث يقيم.

والمسجد عربي الطراز، مبني بالإسمنت المسلح القوي، ولا شك في أنه قد أنفقت عليه نفقه كبيرة، ويكفي أن يتصور المرء تكلفة قبته العربية التي تشبه قبة المسجد النبوي ومنارتيه العربيتين أيضاً.

والحقيقة أنه مفخرة لبانيه، أو متبني إنشائه الأخ السلطان عمر جاتلان).

وقد اكتمل الطابق الأول وبدأت الصلاة فيه منذ مدة، ولم ينتظروا حتى يكتمل المسجد كله، وفيه لافتة بعنوان: (تبليغ الإسلام) تشرح فضائل الإسلام ومزايا الدخول فيه.

معهد السلطان رشيد:

ثم واصل الموكب المؤلف من عشر سيارات سيره في شوارع مدينة (ماراوي) الإسلامية، وتمنينا أنها أحسن مما هي عليه الآن من العناية والنظافة والسفلتة والأرصفة حتى يكون ذلك بياناً لمزية الإسلام على غيره

عند من يقيسون الأمور بمقاييس المناظر التي تقع عليها عيونهم، وهم الأكثر من الناس.

وإن كنا نعرف أن موضوع سفلتة الشوارع وبناء الأرصفة وتجميل المدن في البلدان المتخلفة أمر يتعلق بالحكومة مثلما يتعلق بالشعب أو أكثر.

وقف الموكب في شارع رئيسي من داخل المدينة عند معهد إسلامي عجيب المظهر ذلك بأنهم جعلوا طلابه الكثر في طابق أرضي أشبه ما يكون بالبدروم ينزل إليه من درج، وذلك أن الطابق الأول من البناء الذي هو أعلى من الشارع بمقدار المتر هو مسجد قديم مبني بناية جيدة.

استقبلنا عند باب هذا المعهد حشد من الناس، بعضهم عاملون في المعهد وبعضهم من المشجعين، ومنهم نائب عمدة (ماراوي) السابق، وبعض المدرسين المصريين المبتعثين من الأزهر للتدريس في هذا المعهد.

وقد دخلنا إلى (البدروم) الذي هو قاعة كبيرة، قد جعلوا الفصول فيها أكواماً مكومة في كل ركن فصل وكذلك في الوسط، وليس بين الفصل والآخر إلا ممر لا يتسع إلا للرجل الواحد، والضوضاء المنبعثة من الطلاب والمدرسين تشغل التفكير فكيف بالدراسة.

وهناك فصول في غرف تفتح على هذا الطابق الأرضي.

ويبلغ طلاب المعهد أكثر من ألف طالب، وهم مزدحمون في هذه الأمكنة، وإنك لتعجب من صبرهم على هذا المكان بل من استمرار الدراسة فيه.

ولقد قلت لهم إنه ينبغي لهم أن يبحثوا عنه مكان آخر ينتقلون إليه يكون أفضل من هذا المكان، فقالوا: إنهم يشعرون بذلك، ولكنهم يودون البقاء في هذا المكان الذي هو تابع للمسجد وفي قلب المدينة.

وقد حاول إخواننا المصريون المبتعثون وبخاصة واحد منهم مديد القامة

أن يكرر لعشرات المرات أنهم هنا مصريون قادمون من الأزهر، وأنهم هم الذين يعلمون أبناء هذه البلاد، وأن الأزهريين لهم دور كبير في هذا الشأن.

ولا شك أن ما ذكره صحيح من كون الإخوة المصريين وعلى الأخص الأزهريين منهم كان لهم فضل السبق في تعليم أبناء المسلمين في الخارج، وذلك بابتعاث المدرسين إلى البلدان النائية ومنها الفليبين، وباستقبال الطلاب على هيئة منح تقدم لهم وتعليمهم في مصر.

غير أن تكرار هذا الأمر على أسماع الناس وترديده يمله السمع، ويكون فيه اتهام ضمني لمن يوجه إليه الخطاب بقلة الفهم، وحاجته إلى مزيد الكلام عليه، وترسيخه في ذهنه، إلا أن يكون ذلك من هذا الأخ المدرس بحكم الصنعة؛ لأن المدرس الناجح هو الذي يكرر الكلام على طلابه حتى يتيقن من فهمهم فهماً كاملاً.

جامع الملك فيصل:

مر الموكب على بحيرة تمتلئ من مياه نهر يسمى (نهر آقس) قد أقيم عليه سد لتوليد الكهرباء، وهو يحجز المياه لهذه المدينة (ماراوي) ثم ينطلق الزائد من مياهه إلى البحر.

وقد عاد الموكب إلى (جامعة مندناو) لزيارة جامع الملك فيصل الواقع في الجامعة، وقد سمي على اسم الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله لأنه الذي أمر بصرف مساعدة مالية مجزية لجامعة (مندناو) الواقعة في هذه المدينة المسلمة (ماراوي)، فبني منها هذا الجامع، وأنشئ فيها أو ساهمت بقيتها في إنشاء (مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية والعربية).

وذلك على أمل أن تقوم المملكة بإقامة الأبنية اللازمة لهذا المعهد الذي يقع الآن في أحد الأبنية الصغيرة الضيقة التابعة للجامعة.

استقبلنا عند باب الجامع الإمام شيخ (مامولا وان شيريف).

فوجدنا الجامع جيد المظهر، جيد البناء، نظيفاً في كل شيء، ويعتبر وجوده هنا واضح المنار، عالي الشعار، في هذه الجامعة الرئيسية في المدينة موضع افتخار واعتزاز لمساهمة المملكة العربية السعودية الثقافية الإسلامية وقيامها على بنائه.

وله قبة عربية مستديرة قائمة على أعمدة مغطاة بالخشب الصقيل الجميل.

وقد أسس هذا المسجد عام ١٩٧٣م وهو تابع لمركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ولذلك وجدنا لوحة فيها بيان عما يتعلق بطلاب المركز الذين يدرسون حالياً والذين تخرجوا من المركز بالفعل.

ومن حسن حظنا أن وجدنا في استقبالنا في الجامع أيضاً الأخ الأستاذ أحمد محمد حسوبة مدرس في قسم اللغة العربية في مركز الملك فيصل، وهو من الإخوة المصريين الأذكياء، فكان بحصافته وبيانه ولباقته غير ما كان عليه إخواننا الذين استقبلونا في المعهد الذي قبل هذا.

وهو من المعاصرين لإنشاء مركز الملك فيصل، ولذلك حدثنا عنه حديث الخبير.

قال الأخ الأستاذ (حسوبة): إن مدير مركز الملك فيصل غائب عن الفليبين، وهو الآن موجود في السعودية.

وقال: إن عدد طلاب المركز يبلغ ألفاً وسبعمائة طالب.

وأن عدد المتخرجين فيه قد بلغ حتى الآن مائتين وثلاثة وستين، وأن عدد المدرسين في المركز يبلغ الآن ستة عشر مدرساً.

وقال وهو يحدثنا قبل الذهاب إلى المركز نفسه: إنه لو تم بناء المعهد العلمي أو على الأدق المبنى العلمي، أي مقر المحاضرات، ومبنى مكتبة المركز لكان مركز الملك نفسه كله يعتبر تاماً.

مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية :

انتقلنا إلى مبانٍ قديمة ضيقة من مباني جامعة (مندناو) ومعنا حشد من المرافقين، ولكن أنفعهم لي كان الأخ الأستاذ (حسوبة) من مصر، والأخ الأستاذ (عبد الرافع حسن) من الفليبين لأنهما كانا يشرحان لي ما أحتاج إلى شرحه على الوجه الذي أطلبه، أما بقية المرافقين من كبار الموظفين الذين كانوا معنا من باب التكريم فإن أمرهم لا يهمنا، وتكريمهم ليس عندي بالموضع الذي أرادوه و (للناس فيما يعشقون مذاهب).

دخلنا مبنى من طابق واحد مرفوع عن الأرض بدرج إسمنت كتب عليه: (كلاس الملك فيصل للدراسة) أي: غرف المحاضرة لمركز الملك فيصل.

وهي فصول معتادة بل أقل في البناء والأثاث من المعتادة، ولا ينبغي أن تستمر هكذا بل ينبغي أن تبنى الأقسام الدراسية لمركز الملك فيصل على طراز جيد حديث يليق باسم ذلك الرجل العظيم الذي هو أول من جمع عواطف المسلمين، ووحد مشاعر الأكثرية المخلصة منهم على هدي من التضامن الإسلامي الذي يقتضي أن يتعاون المسلمون فيما بينهم على البر والتقوى، من دون أن يكون في ذلك إلحاق الضرر بغيرهم ممن لا يريدون أن يلحقوا الضرر بالمسلمين.

ثم مكتبة المركز، وهي أيضاً صغيرة فقيرة بالكتب والمراجع وغير كافية، ولا هي لائقة أيضاً باسم الملك فيصل ومكانة المملكة العربية السعودية.

ومن أظهر ما رأيناه هنا لافتة بالعربية على المركز بخط رديء غير مناسب كتب عليها اسم المركز (مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية).

ومع ذلك فإن الأبنية الضيقة غير اللائقة بالجامعة وبالمركز مزدحمة بالطلاب والمراجعين، إضافة إلى الحشد الكبير الذي كان يرافقنا.

حفل مدير الجامعة:

انتقلنا من مركز الملك فيصل إلى مقر مدير الجامعة وعمدة ماراوي وهو الرجل النشيط رغم كبر سنه، فوجدنا موائد كثيرة واسعة فيه قد نصبت وعليها الطعام الخفيف والفاكهة المحلية والحلوى، وقد جلست إليها أعداد كبيرة من الناس، وكانت طائفة من الفتيات أظنهن من طالبات الجامعة أو من أقاربه هن اللاتي يتولين تقديم الطعام والشاي والأشربة الباردة إلى الناس.

وهو يمر بين الموائد ويحيي الجميع بنشاطه الجم، وقد استرحنا في هذا البيت استراحة لطيفة مع عدد من الإخوة من المسلمين الطيبين.

الغداء في فندق ماراوي:

ثم انتقلنا إلى فندق اسمه (ماراوي رتشولت هوتيل) أي: (فندق صندوق ماراوي) اخبرونا بأنه تابع للبلدية، بمعنى أنها تملكه وإيراداته تكون لها وتستقبل فيه ضيوفها حتى لا تخسر عليهم في الفنادق الأخرى.

وذلك بأن غداء الوفد والذين معهم كان بدعوة من بلدية (ماراوي).

كانوا قد وضعوا الموائد في مكان مظلل مكشوف من جهاته الثلاث، وقد أسرعوا بغداء موحد للجميع على كثرة الحاضرين، وهو طعام وطني كان من أهم عيوبه عندي وأمثالي كثرة الفلفل الحار فيه، ثم الاعتقاد بأنه وهو لعدد عديد من الناس وفي مكان مكشوف الحيطان من نواحيه الثلاث أن يكون ذباب متطفل قد سبقنا إليه، كما هو ينازعنا الآن عليه.

وكان الطبق الأول في المائدة هو الحلوى والفاكهة من الباباي والموز والأناناس على عكس المعمول به عند أكثر الناس من كون الفاكهة تكون في آخر المائدة، وإنما جعلوا الآخر ما يجعله الناس غيرهم آخرها وهو القهوة والشاي ما عدانا نحن في عاداتنا القديمة حيث كنا نبدأ بالقهوة

والشاي قبل الطعام.

ثم كان الطبق الرئيسي أرزاً ودجاجاً وسمكاً قد جعلوا الخدم يعاقبون بينهما.

الغتر على رؤوس تلاميذي:

الغتر - جمع غترة - وهي غطاء الرأس عندنا نحن العرب من سكان الجزيرة العربية وأطراف الشام والعراق، وعندما تأملت كثرة الذي يضعون هذه (الغتر) على رؤوسهم ذكرت ذلك لأحد الإخوة من الفليبينيين الذين كنت عرفتهم في المملكة العربية السعودية من قبل قال: هؤلاء هم تلاميذك.

وهذا صحيح نبهني إليه أحد تلاميذي بالفعل في مانيلا، فأكثر الطلبة الفليبينيين المتخرجين من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة إبان عملي فيها الذي استمر أربعة عشر عاماً منذ تأسيسها كانوا موجودين هنا، وهم كثر وكانوا يرتدون اللباس العربي، أو على الأقل يضعون على رؤوسهم الغتر؛ لأن تغطية الرأس عادة من العادات التي يحرص عليها طلبة العلم هنا وفي كثير من أنحاء العالم، وبخاصة منهم من تلقوا الإسلام في أول الأمر، أو طلبوا العلم على أناس جاؤوا في الأصل من حضرموت أو الحجاز مثل أهل الملايوي وإندونيسيا والفليبين.

فكانوا يعتبرون العمامة أمراً لازماً للعلماء والمشايخ كما يعتبرون أن تغطية الرأس تكاد تكون شعاراً من شعائر طالب العلم.

ولقد اعتاد طلبة العلم المتخرجون من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أن يلبسوا الغترة على رؤوسهم لأنها تصلح لباساً عربياً في بعض الأحيان، وتصلح عمامةً حين تدار على الرأس.

والحقيقة أن المتخرجين من الجامعة الإسلامية أصبحوا الآن يوجدون في أكثر أنحاء العالم لأننا في الجامعة - وكان لي شرف الإسهام في تأسيسها،

بل كنت أول موظف عين فيها على الإطلاق - حرصنا على أن تمثل فيها سائر الأقطار الإسلامية، لأن الهدف من إنشائها هي تثقيف أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين في العالم كله، وتربيتهم تربية إسلامية في المدينة المنورة، ثم بعد العودة إلى بلادهم يقومون بالدعوة إلى الله والإرشاد إلى محاسن الدين الإسلامي الحنيف، ونحمد الله تعالى ونشكره أنه قد تحققت أكثر هذه الآمال، وبخاصة بعد أن أكملت الجامعة الإسلامية اثنين وعشرين عاماً من عمرها الذي نرجو أن يكون مديداً بإذن الله.

راحة لمدة ثلث ساعة :

كل لقاء من هذه اللقاءات في هذه المدينة الإسلامية يسبقه ويلحقه سلام ومصافحة وعناق من إخوتنا المسلمين الكرام، ويكون معه السؤال بطبيعة الحال عن الحال والمآل، لذلك كان لابد من استراحة بين فقرات البرنامج التي تكاد تكون متصلة هذا اليوم، وقد جعلوها بالفعل لمدة عشرين دقيقة لا تزيد في استراحة أي غرفة في مكان صغير غير بعيد من الجامعة قالوا: إن اسمها استراحة الرئيس.

وكانت استراحة في محلها، ونحن كنا في حاجة إليها لا سيما بعد الغداء في هذا الجو الشبيه بالاستوائي الذي سطعت شمسه وغاب غيمه، وكان المكان غرفاً مكيفة إلا أنها لا تتسع إلا لعدد محدود من الناس، ولا أدري أين قضى بقية مرافقي الوفد من الضباط والحراس وكبار الموظفين فضلاً عن الجنود السابقين فترة الاستراحة إذا كانوا قد استراحوا بالفعل.

العودة إلى كاقايان :

خرجنا في الثانية مسرعين إلى فناء جامعة (مندناو) الذي نزلنا فيه حيث كانت الطائرات الحوامة الثلاث تنتظرنا لتنقلنا إلى مدينة (كاقايان)، لأن مدينة (ماراوي) الإسلامية ليس فيها مطار تنزل فيه الطائرات النفاثة مثل

طائرة الرئيس المخصصة لنا.

وودعنا الحشد الكبير من الموظفين والإخوة في فناء جامعة (مندناو)، وبدأت الطائرات الحوامة زمجرتها المنتظمة ثم أخذت مراوحها تثير زوبعة من الأوراق الملونة التي كانت قد نثرت على الوفد عند قدومه.

ثم طارت مسرعة إلى مدينة (كاقايان)، واحتاج ذلك منها إلى نصف ساعة من الطيران.

لم يكن باب الطائرة مغلقاً، وطلبت كالعادة أن أكون بجانب الباب، ولا حزام وثيق أعد في هذه الطائرة الحوامة أكثر مما يعد الحزام للطائرات المعتادة، وكان هناك خطر عظيم من سقوط الراكب منها نظراً لقوة الهواء وعدم الموانع من السقوط.

الطريق جبلي ذو غابات كثيفة ليس بينها طرق ظاهرة، وهي خصبة لأنها ملتفة تبدو أرضها من الطائرة شديدة الاخضرار.

وأكثر هذه الهضبات الجبلية المكسوة بالغابات غير مسكونة، فلا وجود للعمارة أو البيوت فيها، وإنما توجد المساكن في الوديان وعلى السفوح السهلة لبعض هذه الهضاب على قلة.

كيف لا ينتصر المقاتلون؟

لهذا جعلني منظر هذه الغابات الجبلية الوعرة المكسوة بأشجار الغابات الملتفة أتساءل فأقول: لمَ لمْ ينتصر المقاتلون ؟

إن لجوء المقاتلين إلى هذه الأماكن سيوفر لهم مكاناً مفضلاً للاختفاء وعدم الظهور للقوات الحكومية المهاجمة، لا سيما إذا كانوا في منطقة إسلامية بحيث يستطيعون أن يلجأوا في الليل إلى الأهالي يحصلون منهم على الطعام، ويستمرون في حصول الإمدادات الحربية مثل الأسلحة الصغيرة والذخيرة.

غير أن الذي سمعناه أن الأمر كان كذلك في أول الأمر إلا أن الحكومة بدهاء من الرئيس ماركوس أخذت تتقرب إلى بعض زعماء المقاتلين من المسلمين الذين لمست في نفوسهم ضعفاً، فجعلت تغريهم بالمناصب، وقد عينت بالفعل عدداً منهم في مجلس الشيوخ وفي المجالس التمثيلية وبخاصة مجالس الولايات، مما جعلهم يطلعون الحكومة إن قصداً وإن اضطراراً بعد أن نشبت حبالهم بحبالها على خطط المقاتلين وكيفية إمدادهم.

إضافة إلى شيء مهم جداً وهو أن الحكومة حرصت مثلما حرص الثوار المسلمون على إظهار الحرب بأنها حرب دينية، ولكل من الطرفين هدفه المختلف من إظهار ذلك.

فالمسلمون قصدوا من إظهار حركتهم بأنها حركة دينية إسلامية أن يحصلوا على تأييد المسلمين لهم، وهذا إلى ذلك حقيقة واقعة.

وأما الحكومة فإنها أظهرت الحرب بوسائلها الدعائية المتفوقة على أنها حرب دينية إسلامية حتى تفرق بين المواطنين المسيحيين والمسلمين من منطقة الجنوب، فتشعر المسيحيين بأنه إذا انتصر المسلمون فإنهم سيحكمونهم حكماً إسلامياً، بل ربما يفقدونهم حريتهم أو يسعون في إخراجهم من المنطقة.

وقد ساعد على تغذية هذه الدعاية المغرضة ما كان الإسبانيون في القديم عندما كانوا يحكمون الفليبين يغذون به أفكار المسيحيين المحليين سواء في معاهد الدراسة أو في الصحف والمنشورات من كراهية للإسلام وحقد عليه، مدفوعين بحقدهم الأعمى المشهور على الإسلام والمسلمين في الأندلس.

وهناك نقطة ضعف هامة في المقاتلين من المسلمين أنفسهم، وهي أنهم حتى الذين منهم لا يزالون يقاتلون الحكومة قد تفشت بينهم الخلافات،

واستشرى التشاجر حتى إنه صدرت موافقة من الحكومة السعودية على دعم المقاتلين الفلبينيين بمبلغ جيد من المال، وهو مليون ريال سعودي، وأن يكون صرفه بوساطة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، غير أن الرابطة لم تستطع صرفه إلى جهة معينة يتفق عليها الجميع، وأبقت المبلغ لديها حتى الآن.

وصلنا مطار مدينة كاقايان بعد أن شبعت في هذه المدة الصغيرة من أفكار الأسى على حالة المسلمين، ومن التملي من جمال هذه المنطقة الريفية الجميلة.

في مدينة كاقايان:

مدينة (كاقايان) من المدن المهمة في جزيرة مندناو من جنوب الفليبين، ومع ذلك فإن نسبة المسلمين فيها لا تزيد على ١٠٪ كما أخبرونا، بخلاف مدينة (ماراوي) التي قدمنا منها فإن نسبة المسلمين فيها تبلغ ٩٠٪.

بعد النزول من الطائرة مباشرة ركبنا السيارات في موكب أقل عدداً منه في (ماراوي) قاصدين قلب المدينة وضاحية من ضواحيها لرؤية مسجد ومدرسة هناك يحتاجان إلى مساعدة.

فانطلق الموكب مع طريق جيد السفلتة ولكنه غير واسع، فمررنا بضاحية يسكنها المسيحيون، وهم أغلبية في هذه المدينة كما تقدم، فرأيناه لا يبعد في السوء عن مساكن المسلمين في (ماراوي)، معظم البيوت فيه مبنية من الخشب ومرفوعة عن ظهر الأرض بخشب أيضاً لتقيها الرطوبة.

وقرب هذه البيوت بعض أشجار البلاد الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية مثل الموز، غير أن الحشائش الوحشية في المنطقة يابسة جافة كما رأيناها من الطائرة في ضواحيها.

وقالوا لنا: إن السبب في ذلك أن المنطقة لم تمطر منذ شهر.

وتبلغ المسافة من المطار إلى قلب المدينة اثني عشر كيلومتراً، وأغلب

هذه المسافة مما يلي المطار غير معمور بالبيوت، وهذه المدينة (كاقايان) هي مثل سائر مدن الفليبين الكبيرة واقعة على البحر؛ لأن الفليبين نفسها في مجموعة جزر ذات أرض تتسم بالضيق، وتتخللها أخوار - أي خلجان - من البحر، لذلك قلّ أن تجد فيها مدينة مهمة إلا وهي على البحر أو على خليج منه أو على بحيرة أو نهر قريب من البحر.

وتبلغ جزر الفليبين في العدد سبعة آلاف ومائة جزيرة، أغلبها غير مسكون بسبب ضيق مساحته أو بسبب بعد الجزر عن مراكز الإدارة أو الحركة والتجارة.

وقد امتدحوا خصوبة أرض هذه المدينة (كاقايان)، وقالوا إنها تنتج كثيراً من الأشياء النافعة وأن الزراعة فيها مفيدة، غير أن المشكلة السياسية التي تمثلها الثورة الإسلامية في أرياف هذه المدينة وغيرها من أنحاء جزيرة (مندناو) التي تنتمي إليها المدينة هي التي أثرت عليها وأخرت نموها الاقتصادي.

والمدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة، فهي إذاً المدينة الثانية من حيث عدد السكان بعد مانيللا.

وصلنا أطراف المدينة فبدت ضخامة سكانها واضحة في ازدحام الشارع بالسيارات والدراجات من نارية وهوائية.

وظهرت فيها سيارات الجيب التي تستعمل بمثابة سيارات الأجرة يركب الناس على ظهرها بأجر قليل، ويزدحمون عليها حتى يكاد يبلغ عدد الركاب فيها في بعض الأحيان عشرين أو خمسة وعشرين ما بين رجال ونساء، وقد تزاحموا فيها تزاحماً.

ثم مر الموكب فوق جسر حديدي على نهر تبين أنه ليس هو بالنهر الوحيد في المدينة.

وقد رأينا مجموعات من طالبات المدارس في زي لهن موحد نظيف ولا تبدو على وجوههن علامة من علامات نقص التغذية، ذلك بأن الأطعمة موجودة في أرضهم الزراعية الخصبة، وللأسماك وأطعمة البحر أهمية أيضاً في هذه البلاد.

وفي قلب المدينة الذي فيه الأسواق التجارية رأينا المتاجر جيدة لا بأس بالسلع الموجودة فيها، فهي أفخر من المتاجر في مدينة (ماراوي) وأحفل بها، مما يدل على أنها أنشط في التجارة، أو هي أكثر إمكانات تجارية منها.

ومن الملاحظ هنا الذي يتبادر إلى الذهن أن عدد النساء الموجودات في الشوارع يبدو للوهلة الأولى أكثر من عدد الرجال مثلما هو الغالب على أكثر بلدان جنوب شرقي آسيا الذي تباشر فيه المرأة التجارة وتعمل الأعمال المختلفة كما يعمل الرجال.

وذلك ظاهر في مدينة (مانيلا) ومدن أخرى في أقطار أخرى مثل (بانكوك)، بل هو موجود وملاحظ في بلدان أخرى ليست في آسيا ولكنها من مهاجر ذلك الجنس الموجود في جنوب شرقي آسيا، وهي جزيرة مدغشقر.

وأذكر بهذه المناسبة أنني عندما كنت في مدغشقر سألت أحد زعمائها الذين سافروا كثيراً إلى خارجها عما إذا كانت (الملاقاشية) التي هي لغة أهالي جزيرة مدغشقر موجودة في مكان آخر من العالم غير مدغشقر؟

فأجاب: أنه لا يعلم ذلك، ولكنه لاحظ القرب الشديد ما بين لغتهم وبين لغة رئيسية في جزر الفليبين، ولا يدري السبب في ذلك إلا أن يكون أناس من جزر الفليبين هاجروا في القديم إلى مدغشقر، وإلا فإن المعروف أن أولئك المهاجرين الأوائل إلى مدغشقر كانوا من الجنس الملايوي المنتشر في ماليزيا وإندونيسيا، ولذلك أسموا جزيرتهم مدغشقر بعد الاستقلال (مالاقاش) أخذاً من اسم أغلب هذا الشعب أو الطائفة الكبيرة فيه مالايوي

ومن اسم المكان مدغشقر، فكان معنى الاسم: الملايوي الذي يعيش في مدغشقر.

إلا أن هجرة أولئك الملايويين والإندونيسيين الأوائل إلى جزيرة مدغشقر كانت قبل أن بدأ ينتشر الإسلام في بلادهم الأصلية لذلك بقوا في مدغشقر وثنيين إلى أن حل الاستعمار الفرنسي في الجزيرة، فنصّر بعضهم، وبعضهم لا يزالون وثنيين وحتى الذين تنصروا لم تدخل النصرانية بعمق إلى قلوبهم كما أوضحت ذلك في كتابي ((مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين)).

وقد سألت بعض المطلعين في الفليبين - بعد ذلك - عن هذه الملاحظة، وهي كون النساء أكثر من الرجال أهي حقيقة أم وهم؟

فأجاب: إنها حقيقة، فقد أثبتت الإحصاءات الحكومية أن نسبة النساء إلى الرجال تبلغ نسبة ستة إلى خمسة أي: أن كل خمسة من الرجال يقابلهم ست من النساء في العدد.

إلى المركز الإسلامي:

انطلقنا من قلب المدينة قاصدين ضاحية أو حياً في داخلها، فمررنا بمقبرة للمسيحيين عليها الصلبان مرفوعة بصفة مبالغ فيها بالنسبة إلى الصلبان على المقابر المعتادة للمسيحيين في أوروبا وأمريكا.

وقد لاحظت أن أغلب البيوت مبنية من الخشب، فسألت مرافقي عن السبب في ذلك: أهو رخص الأخشاب ووجودها هنا بكثرة ؟ أم هو كثرة الأمطار وغلبة الرطوبة حيث لا تصمد المواد الأخرى المعروفة في القديم لذلك؟

فأجابوا: أن السبب كثرة الغابات ووفرة الأخشاب، وإلا فإن الأخشاب نفسها تفسد بعد سنوات ليست طويلة بسبب كثرة الأمطار وغلبة الرطوبة.

وقالوا: يصدر من هذه المنطقة أخشاب جيدة إلى اليابان مثلاً.

ثم وصلنا المركز الإسلامي، فاستقبلنا فيه رئيس اتحاد المسلمين في (كاقايان)، واسمه (مقصر ماكارنيت) كما رأينا في المركز امرأة مسلمة رأيناها في استقبالنا في المطار عندما وصلناه قبل قليل، وكانت تلح في زيارة المركز وتقول: إن زيارته لا تستغرق وقتاً طويلاً.

وقد تبين أنها زوجة مدير مكتب شؤون المسلمين في كاقايان، وهو مكتب رسمي حكومي، واسمها (رقية ماكاتو أون).

كما تبين أيضاً أن الزيارة كلها لهذا المركز مرتبة من الحكومة لأن الحكومة ممثلة في وزارة شؤون المسلمين قد ساعدت على بناء المسجد فيه.

والمسجد مبني بالإسمنت المسلح، ولكنه لم يكتمل بناؤه تماماً، ولم يتم طلاؤه، وأخبرونا أن السبب في ذلك قصور النفقة عن ذلك.

كما أنه غير مفروش إلا بحصر مصنوعة محلياً وغير كافية، وقالوا: إن بناءه قد بدأ من تبرعات المسلمين وإن وزارة شؤون المسلمين ساعدت في بنائه بخمسين ألف بيزو، ويساوي ذلك حوالي خمسة وعشرين ألف ريال سعودي.

وفي الجزء الخلفي من المسجد المسقوف شرفة مخصصة للنساء، ولكن كل ذلك في مظهر ناقص وغير مناسب، ويجب أن يكمل بناؤه ويطلى الطلاء المناسب ويفرش بفراش مناسب أيضاً.

وكان المرافق معي الذي يترجم أكثر ما يدور من الحديث إلى العربية الأخ الشيخ (عبد الرافع حسن) وهو رجل ذكي جيد الفهم.

المسجد في حي نصراني:

ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن من تسمية هذا الحي بتسمية نصراني أن ذلك مثلما يفعل العرب والمسلمون في شرقي إفريقية حين يسمون الإفرنج من الإنكليز وأمثالهم نصارى، ولكنهم في الوقت نفسه يعظمون ما يقومون به

من أفعال حسنة حتى إنهم يقولون للموعد المؤكد غير المعرض للإخلاف: (وعد نصارى).

فهذا الحي ليس فيه ما يفخر به من هذه الناحية، فبيوته ليست بذات المظهر الحسن، بل هي سيئة المظهر، وشوارعه ليس فيها أرصفة، ومياه المجاري من المياه المستعملة والقذرة تسير على جانبي الشارع في قنوات مكشوفة للنظر يصدمك مرآها أينما وجهت بصرك من الشارع، وتتطفل رائحتها الخبيثة على انفك.

وذلك لأن المدينة بعيدة عهد بالمطر الغزير، وفي أكثر البلدان الاستوائية والشبيهة بالاستوائية في آسيا وإفريقيا غير المتقدمة يجعلون للمجاري قنوات على جانبي الشارع تصب فيها فضلات البيوت بما في ذلك فضلات المياه القذرة، ويأتي المطر فيملأ هذه القنوات ويذهب بها إلى حيث أرادوا لها أن تستقر في بحر أو نهر أو منخفض من الأرض يفضي إليهما في العادة.

فيكون تطهيرها بسبب هذه الأمطار.

أما إذا تخلف المطر فإنها تكون راكدة، أو هي تجري جرياناً ضعيفاً لا يبعدها كثيراً عن مصادرها، فتصبح مصدراً للقذر والأذى، ولكن أهلها يألفون منظرها أو هم لطول وجودها عندهم ربما يعتقدون أنه لا علاج لها.

غير أن البلاد المتقدمة من البلاد الاستوائية وشبه الاستوائية وهي قليلة العدد تجعل هذه القنوات بهذه المثابة، ولكنها تسقفها بأسقف من ألواح من الإسمنت المسلح إلا في أماكن معينة حيث يحتاج الأمر إلى تطهيرها أو تعهدها بالتأكد من جريانها.

ولا تكون المجاري في هذه البلدان الاستوائية خفية تماماً مدفونة في الأرض إلى أعماق كبيرة أو أعماق مناسبة لأن قرب مستوى المياه الجوفية يمنع من ذلك لكثرة الأمطار، أو يكلف نفقات باهظة لا سبيل لهم إلى تحملها، وهم في حالة اقتصادية وتعليمية متأخرة.

وعندما كنا نقف في شوارع هذا الحي لاحظت كما لاحظت قبل ذلك أن السمرة تغلب على ألوان الناس هنا بالنسبة إلى أهل (ماراوي)، أو لنقل: إن أهل (ماراوي) أكثر بياضاً ولو قليلاً بالنسبة إلى أهل هذه المدينة(كاقايان)، فلما سألت بعض المرافقين عن ذلك قال: إن هذا صحيح، ومرده إلى أن الجو في مدينة (ماراوي) أبرد من الجو في هذه المدينة؛ لأن ماراوي مرتفعة قليلاً عن سطح البحر، وهي خلوية أكثر، وليس بجانبها هضاب جبلية مباشرة تحجب عنها الهواء البارد الذي يأتي من جبال المنطقة.

المركز التجاري للصناعة اليدوية:

هذا محل تجاري موجود في قلب المدينة التجاري، وهو كاسمه مركز لبيع المصنوعات الوطنية اليدوية لمدينة (كاقايان).

ومن عادتهم أن يمروا بالسياح والضيوف عليه يرمون من ذلك إلى إطلاعهم على الصناعة اليدوية من جهة، ولعرض المصنوعات الموجودة فيه ليشتروا منها ما يروق لهم.

وكان بالنسبة إلينا مثل ما هو لهم وزيادة على ذلك استراحة أيضاً، فقد أرونا مقاعد خشبية هزازه تشبه مقاعد الحدائق مستطيلة يمكن أن يسترخي عليها الإنسان، وقالوا: جربوها. فاسترخينا، وقالوا: سنمضي بضع دقائق في هذا المكان المريح المكيف.

ثم أحضروا المشروبات الغازية، وأمضينا هنا فترة راحة جيدة.

ومن الأشياء التي تلفت الانتباه في هذه الصناعات اليدوية مراوح يدوية ملونة من الخوص مثل الموجودة في بلادنا التي نسميها (المهاف) - جمع مهفة- ونصنعها من خوص النخيل، فهم يصنعونها من خوص النارجيل ومن شجر آخر اسمه (الأباكا)، وكثيراً ما يجعلون المروحة على هيئة القلب، أي شبيهة بالمثلثة الشكل.

وفي المركز تماثيل متعددة لحيوانات مختلفة من الخشب.

وهو فقير بالنسبة إلى معروضاته، وتسميته أكبر من حقيقته، والموظفون والموظفات فيه أكثر مما فيه من البضائع، وقد جاء المدير يرحب بضيوف الدولة مع المرحبين فقلنا له: نرجو المعذرة من الجلوس بدون شراء، فضحك وضحك معه الآخرون.

وفي نهاية اللبث فيه قدموا هدايا تذكارية منه لأعضاء الوفد ومرافقيهم جرياً على عادتهم المتبعة في الإهداء إلى الضيوف، ومما يستحق الذكر أن هذا المكان تابع للحكومة وليس متجراً خاصاً.

السفر إلى زامبونقا:

خرجنا من المركز التجاري للصناعات الوطنية قاصدين المطار، ومررنا بثلاثة أنهر غير كبيرة في المدينة وقد انكسر الحر الذي لم يكن شديداً في الأصل، وكنت أظن أنه يكون أشد حراً منه الآن؛ لأننا نقترب من خط الاستواء ونحن قادمون من العاصمة (مانيللا) في الشمال غير أنهم قالوا: إننا الآن فيما نسميه بداية فصل الربيع، مع أنه ليس في بلادهم الجنوبية هذه شتاء ولا صيف، وإنما يبرد الجو إذا كثر المطر ويشتد الحر إذا تخلف المطر.

وجدنا طائرة الرئيس الخاصة التي وضعت تحت خدمة الوفد تنتظرنا في المطار، فوجدناها مريحة غاية الإراحة بعد الطائرات الحوامة المزعجة.

وقد استقبلتنا فيها وجوه المضيفات نصف الإسبانيات الجميلات بديلة من وجوه العسكريين اليابسة غير المحببة الذين كانوا هم المستقبلين في الطائرات الحوامة.

وعندما طارت وهي مكيفة الهواء بطبيعة الحال وصوتها لا ينفذ إلى من بداخلها بخلاف الحوامة شعرنا بارتياح كبير.

وقد غادرت مطار (كاقايان) في الساعة الرابعة والربع متجهة إلى مدينة

(زامبونقا) في جهة الجنوب الغربي من جزيرة (مندناو) الكبيرة.

وقد بادرت المضيفات بتقديم المناديل الحارة المعطرة، ثم بتقديم الشاي والطعام الخفيف مع الابتسامات التي يفرضها المقام.

في مطار زامبونقا :

لم تمض نصف ساعة على بدء الطيران حتى أخذت الطائرة في التدني فوق شاطئ بحري ذي خلجان صغيرة متعددة، وذي غابات كثيفة على شاطئ البحر، وكأنما أنت تشاهد منطقة استوائية حقة، لا سيما إذا رأيت الذي رأيته من عدد من المستنقعات بجانب الشاطئ لا أدري أهي من مياه ملحة أم عذبة، ولكن المنطقة ندية كثيرة المياه، وقد أخبرني مرافقونا أن هذه الشواطئ غنية بالأربيان، وهو صغار السمك الذي نسميه في بلادنا بالروبيان، ويسميه إخواننا المصريون (الجمبري).



الاستقبال العسكري في مطار زامبونقا

ثم ظهرت غابات النارجيل في الأراضي المنخفضة والوديان بين التلال ومعها حقول الأرز أيضاً.

وفي المطار كان أهم منظر هو منظر الطائرات الحربية الجاثمة على أرضه.

وكان في الاستقبال في المطار حشد كبير من المستقبلين من المسؤولين والعاملين في المدارس الإسلامية، ومنهم الأستاذ (أكبر علما توقو) رئيس المجلس التنفيذي في المنطقة، وهو مسلم سبق أن أدى فريضة الحج، وجنرال في الجيش مسلم نوهوا بذلك وقالوا: إنه من (الجنرالات) المسلمين (القلائل) في الجيش، كما كان هناك عدد من الفتيات اللاتي يكن يحملن أطواق الزهور أسرعن فقلدن أعضاء الوفد ومرافقيهم تلك الأطواق في أعناقهم، وكان المصورون للتلفزة والصحافة يكثرون من الصور، والجنود اصطفوا صفين طويلين في استقبال لا داعي له في نظري.

تصريح للوفد:

في قاعة صغيرة في المطار التف مندوبو التلفزة وطلبوا من الوفد أن يصرح بكلمة عن انطباعاته عن هذه الزيارة للجنوب، فألقيت بكلمة ذكرت فيها أن هذه الزيارة جاءت رغبة في تنمية العلاقات الثقافية بين المملكة العربية السعودية والفليبين، وهي ترمز للتعاون في هذا المجال لأن الصلات الثقافية بين البلدين كانت قديمة، وليس أدل على ذلك من وجود عدد من المواطنين المسلمين في الجنوب يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ويؤدون فريضة الحج إلى مكة المكرمة كلما تيسر لهم ذلك، وقلت: إنه ينبغي أن يتعاون أبناء الجنوب جميعاً من مسلمين ومسيحيين على ما فيه المصلحة المشتركة للوطن، لأن هذا في مصلحة الجميع مع احترام الثقافة الخاصة بأهل كل ديانة.

مدينة زامبونقا :

سار الموكب إلى المدينة التي يبلغ عدد سكانها ثلثمائة ألف نسمة تبلغ نسبة المسلمين منهم ٢٠٪، إلا أن المنطقة خارج المدينة يكثر فيها المسلمون وبخاصة في بعض المحافظات التابعة لهذا الإقليم.

وقد رأينا المدينة جميلة المداخل، في أغلب شوارعها زهور جذابة الألوان منسقة الغراس، وذات ألوان بهيجة.

وقصدنا فندقاً في المدينة من فنادق الدرجة الأولى اسمه (زاميونقا بالاس هوتيل) أي: (فندق قصر زامبونقا).



الوفد في زامبونقا مع رئيس العلماء تراجونج

استقبلنا في الفندق بعض الفتيات العاملات فيه معهن قلائد من الزهور أضفناها إلى ما كان يثقل أعناقنا من تلك الزهور التي قلدناها في المطار، ثم كان جلوس في قاعة الفندق مع عدد من رجال العلم وأهل المدارس والوجهاء

واستمرت لبعض الوقت.

عشاء رئيس المجلس التنفيذي:

بعد استراحة قصيرة أدينا خلالها صلاتي المغرب والعشاء جمعاً كانت الساعة قاربت الثامنة، فغادرنا فندقنا (قصر زامبونقا) إلى فندق آخر ستقام فيه حفلة عشاء للوفد يقيمها رئيس المجلس التنفيذي اسمه (فندق لونتاكا) بمعنى فندق البحر لأنه على الشاطئ.

ووصلنا في الموعد المحدد، فكانوا قد أعدوا للأمر عدته وجعلوا المائدة الرئيسية على مكان مرتفع معد لمثل هذه المناسبات في حديقة الفندق في الهواء الطلق.

وكان الجو مناسباً لأنه كانت هناك نسمات لطيفة طبيعية تتحرك كما شاءت من دون برنامج أو مراسم أو حراس كما هي عليه حالنا.

فكان طعام (فندق البحر) من طعام البحر من السمك الصغير (الإربيان) والسرطان البحري (اللوبستر)، وقد جاءوا مع طعام البحر بشيء من لحم الدجاج لمن ملوا طعام البحر أو من يفضلون طعام البر عليه، فكان خدم المائدة يعاقبون الصحون الكثيرة المملوءة بالأطعمة الجيدة على الضيوف.

وكان مصورو التلفزة والصحافة يلتقطون المناظر والصور الكثيرة التي يتكرر عجبي من إكثارهم منها، وليس لمجرد لقطة أو لقطات تعبر عن الابتهاج والاهتمام بالزيارة أو تسجل حدوثها.

ثم تقدمت فرقة في الفندق مؤلفة من عدة فتيان وفتيات يصحبهم العازفون على موسيقى وطنية خاصة، فأخذوا ينشدون نشيداً ويرقصون حوله رقصاً خفيفاً إيقاعياً يعتمد على الخطوات والتعبير بالسير ذات اليمين وذات الشمال، أو مد الأيدي ورفع الأرجل قليلاً مع تحريك فوط ملونة كانوا يلبسونها أظهر ما فيها اللون الذهبي، وهم يمدون الفوطة أو يقبضونها أو

يلبسونها أو يخلعونها دلالة على التعبير عن شيء لم نفهمه ولم يشرحه لنا أحد.

ربما كان المرافقون أو بعضهم يعرفون أن هذه الأشياء لا توجد عندنا وأننا لا نريد - لذلك - أن نعرف مرادهم منها، أو ربما كان هذا أمراً معتاداً يقيمه الفندق كل ليلة على العشاء فلا يلفت أنظارهم، وأعتقد أن هذا هو الصحيح.

الحفل الخطابي:

بدأ الحفل الخطابي بكلمة من الداعي رئيس المجلس التنفيذي المحلي، ثم تكلم وزير شؤون المسلمين المرافق للوفد فقال: إنه كان في صحبة الرئيس ماركوس عند زيارته للمملكة، وكان حاضراً عندما اجتمع الرئيس ماركوس بالشيخ محمد بن علي الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وكان يصحبه الشيخ علي مختار لحضور الوفد، وقد قدم الرئيس ماركوس إلى الشيخ الحركان دعوة لزيارة الفلبين غير أن حالة الشيخ الحركان الصحية لم تساعده على القيام بهذه الزيارة، ولكن وفداً فيه ممثل كبير من الرابطة هو الشيخ على مختار الذي كان حاضراً في المقابلة قد وصل الآن، وهذا من سعادتنا.

ثم قال: إننا كنا قد طلبنا من الرابطة أن تساعد في الحركة الثقافية الإسلامية في الفلبين عن طريق المساهمة في المركز الثقافي الذي تتعاون المملكة العربية السعودية والفليبين على إنشائه في ما نيلا، لذا نرجو أن تنقلوا إلى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وإلى الجهات الرسمية المحترمة التي تمثلونها هذه الرغبة.

وكان الداعي إلى حفلة العشاء قد قدم أعضاء الوفد ومرافقيهم إلى بقية المدعوين الذين كانوا كثرة كاثرة من رجال ونساء كما هي عادتهم

في كل احتفال أو اجتماع في هذه الزيارة.

بل إنهم قد زادوا شيئاً عجيباً قلّ أن يتركوه، وقلّ أن استعمله غيرهم وهو أن يكتبوا أسماء الوفد ووظائفهم في لافتات كبيرة من القماش ويضعوها أمام مكان الاحتفال أو الاجتماع، وهي تحمل عبارات الترحيب دلالة على الاهتمام بالوفد، ولتعريف الذين ليست لهم معرفة بأعضائه، إضافة إلى العائد (الدعائي) أو الدعوى الذي تحصل عليه وسائل الإعلام الفليبينية من التنويه بأسماء هؤلاء الزوار الذين يحملون أسماء تشغل وظائف إسلامية رنانة.

وقد رد الشيخ على مختار باسم الوفد على تقديم الداعي وكلمة وزير شؤون المسلمين، وشكر الرئيس ماركوس على توجيه الدعوة إلى الرابطة، ثم شكر الحكومة الفليبينية على الترحيب الذي لقيه الوفد في كل مكان حلّ فيه في الفليبين.

وقال: إننا سوف ننقل إلى رؤساء الجهات التي نمثلها ذلك، ونرجو أن يكون التعاون أكبر في المستقبل بين رابطة العالم الإسلامي وحكومة الفليبين على ما يحقق المصلحة العامة.

بعد ذلك تقدم الداعي فطلب مني أن أتقدم وقدم إليّ هدية مؤلفة من ثلاث: أولها قبعة تقي من الشمس وقال: إنها دليل العمل، وثالثها سيف قال: إنه رمز القوة.

فألقيت كلمة مختصرة تضمنت شكره وقلت: إنني أقبل هذه الهدية منوهاً بأن علماء اللغة العربية قالوا: إنه لا يوجد في اللغة العربية أشياء لها مسميات كثيرة أكثر مما لثلاثة، أحدها: الحب، والثاني الأسد، والثالث: السيف.

فالسيف إذا هو ثالث ثلاثة أشياء أعطاها العرب أهمية خاصة وأسموها بأسماء تبلغ المئات، ثم قدم لزميليَّ الشيخ علي مختار، والأستاذ محمد البسام

هديتين مماثلتين، وذلك بين اهتمام المصورين والصحفيين وتتابعهم.

الاجتماع بالمسؤولين عن المدارس الإسلامية :

وكانت الفقرة التالية لهذا الاجتماع الحافل ندوة طويلة مع عدد كبير من المسؤولين عن المدارس الإسلامية والعاملين فيها من مديرين ومدرسين وأصحاب مدارس، وكان هذا الاجتماع معداً من قبل.

وعقد في غرفة خاصة كبيرة في الفندق امتلأت بهم.

فتكلم عدد منهم في هذا الموضوع، وانصب كلام أكثرهم على طلب المساعدة لتلك المدارس على أداء واجبها التعليمي، مثل المساعدة على استكمال الأبنية اللازمة، ومثل دفع رواتب المدرسين، ولم يتطرقوا إلى ما تريده الحكومة من تغيير مناهج الدراسة في هذه المدارس وتحويلها ما يشبه المدارس الحكومية حتى يكون خريجوها مماثلين للمتخرجين من المدارس الحكومية وحتى تحتاج إلى مدرسين من غير المسلمين للمواد غير الإسلامية فتفقد بذلك صفتها الإسلامية المميزة، وبذلك يندمج طلابها في المجتمع التعليمي لأكثرية السكان المسيحيين.

فهدف الحكومة الفلبينية من طلبها مساعدة المملكة العربية السعودية على تطوير هذه المدارس ليس هو مصلحة المدارس الإسلامية أو مصلحة المسلمين الدينية بطبيعة الحال، وإنما هو السيطرة عليهم عن طريق مشروع تتبعه أكثر الحكومات وهو أن تتولى هي الإشراف بل القيام على تثقيفهم وتربيتهم التربية التي تريدها.

وقد أوضحنا لإخواننا أهل المدارس هدفنا من الاجتماع بهم، وهو الاستماع لمطالب المدارس العربية، والعمل على تلبية احتياجاتها من دون أن نكون نسعى إلى إلغائها أو رفضها، فذلك أمر هو من صميم أمورها الداخلية التي لا نريد أن نبدي رأياً فيها إلا إذا طلب منا المسؤولون ذلك، فإننا نبديه

عملاً بالنصيحة الشرعية التي يجب أن يبذلها المسلم لأخيه المسلم.

وبعد مناقشة طويلة وإبداء آراء كثيرة كان معظم الحديث فيها يدور باللغة العربية لأن أهل المدارس أكثرهم يجيدون التحدث بالعربية. انفض الاجتماع وعدنا إلى الفندق في وقت يقرب من منتصف الليل.

يوم الجمعة:

في منزل العمدة:

عمدة المدينة أو محافظها شيخ في السن، فتى في النشاط والحركة، عمره ستة وستون سنة، ولكنه في نشاط ابن السادسة عشرة، وهذا أمر مستغرب من قوم يعيشون في جو شبيه بالجو الاستوائي الرطب الثقيل الذي يسبب الكسل والخمول.

وهو نصراني فليبيني اسمه (سيزار سليماكو) ولكنه متمرس في التعامل مع المسلمين وبخاصة مسلمي الفليبين، لأنه يسكن في منطقتهم أو في منطقة ملاصقة لمناطقهم.



الوفد السعودي في زامبوانقا مع عمدة المدينة س. كليمانو على يمين المؤلف

هو يظهر المعارضة للرئيس ماركوس والاستقلال في التفكير ولكن الأمر عكس ذلك، أما الذهاب إلى منزله فهو لتناول طعام إفطار فيه حسب البرنامج الموضوع من الحكومة الفليبينية.

استقبلنا مرحباً بكلمات سريعة تنم عن النشاط أكثر مما تنم من التروي، وتتواصل أكثر مما توجيه أساليب الضيافة، وتتسم بالإكثار من النكتة أو من الضحك عند إيرادها أكثر مما ينبغي أن تكون عليه الحال بالنسبة إلى استقبال ضيوف أجانب من بلاد تختلف في الدين والثقافة والأهداف عن بلاده.

عندما وصلنا منزله كان الطعام معداً على موائد واسعة مليئة بطعام يكفي لآكلين أكثر من عددنا أضعافاً مضاعفة.

وقد ضم - وهو طعام إفطار - أكثر الأطباق في الأنواع من الطعام التي تقدم في الغداء والعشاء إلى جانب أطعمة الإفطار المعتادة.

فكأنما أراد بذلك أن يتحدى ما سمعه من كرم العرب المشهور في كثرة ما يقدم من طعام، فكان تحديه ناجحاً إذ قدم مائدة لا يقدمها عربي لضيوفه في طعام الإفطار.

وجدنا فيها السمك أنواعاً منوعة، والإربيان أو (الجمبري) كذلك ما بين مقلي ومسلوق، والسرطان المائي (أبو جلمبو) أو (اللوبستر) بالإنكليزية كذلك.

والبيض أكثر من نوع، ولحم الدجاج، وحتى الأرز كان ثلاثة أنواع مختلفة.

أما الفاكهة فكانت كثيرة متنوعة، منها الباباي والموز والأناناس.

وكان مرحاً يحاول أن يقرن كل فقرة من كلامه حتى المسائل الهامة منه بالنكتة أو الدعاية.

قال فيما قاله: إن وزير شؤون المسلمين هذا الحاضر معكم كان الحاكم العسكري للمنطقة، وكنت أختلف معه كثيراً فلي رأيي كما أن له رأيه.

وقال: المسلمون لم يخضعوا للإسبانيين ولا للأمريكيين ولا للرئيس ماركوس.

ثم زل لسانه فقال بالعبارة التالية: المسلمون كانوا قراصنة ولصوصاً؛ إلا أنه استدرك يحاول أن يصحح غلطته فقال: إن أعداءهم يقولون عنهم ذلك لكونهم يحاربونهم ولم يستسلموا لهم.

وكأنما أراد أن يصلح من غلطته أو أن يستمر في مجاملته للوفد بحديثه عن المسلمين وحقوقهم فقال: إن جزيرة (ساقول) مثلاً كانت للمسلمين فطردهم المسيحيون منها، ولا بد أن نعيد الأراضي للمسلمين ليعيشوا كما يعيش غيرهم.

الثمرة داخل الغرفة:

بعد الانتهاء من تناول طعام الإفطار صحبنا إلى فناء بيته المحاط مثل سائر البيت بحديقة فيها أشجار نضرة معتنى بها وبعضها فيه زهور ملونة.

ثم أشار إلى غرفة من الخشب مرفوعة عن الأرض بأرجل عالية من الخشب، ولها درج خشبي، وهذه الغرفة مبنية على وسط شجرة ضخمة الجذع جداً وقال: تفضلوا هذه هي غرفتي الخاصة.

فكان المنظر داخل الغرفة جميلاً طريفاً أول شيء طريف فيه أن الشجرة التي تحيط الغرفة بها هي من الشجر الاستوائي الذي يخرج فاكهة ضخمة هي أكبر فاكهة أعرفها ورأيتها في العالم، وهي التي ذكرها ابن بطوطة فيما ذكره من فواكه جنوب الهند، وقال: إن الثمرة الواحدة يأكل منها الركب أي الجماعة من المسافرين فتكفيهم، وكلامه صحيح ليس

فيه مبالغة، فقد وقفت على واحدة منها في يوغندا في وسط إفريقية وبلغ وزن الثمرة الواحدة ثلاثين كيلو غراماً.

والثمرة خشنة كأنها القرعة الكبيرة، إلا أنها أعظم وأثقل لأن وسطها مصمت أي مليء بالفاكهة وليس مجوفاً، بل فيه ثمر صغار لا جلود لها تشبه الواحدة منها في الحجم التمرة الواحدة - بالتاء المثناة - وهي حلوة الطعم كما أن التمر حلو كذلك.

وقد وضع العمدة هذا سيزار سليماكو الثمرة على أرض الغرفة، فبدت كأنما هي موضوعة على الأرض، وقطع كذلك أوراق الأغصان الداخلة إلى الغرفة.

وقد أثث هذه الغرفة تأثيثاً غريباً كما كان وضعها غريباً.

وقال - بنكتته التي استمرت منه - إن الرجل وزوجته إذا أقاما في هذه الغرفة فترة ولو قصيرة فإنهما لا بد أن يرزقا بولد بعد ستة أشهر.

فسألته: وماذا عنك وزوجتك؟ أتتوقعان ولداً بعد شهر؟

فزايله مرحه، وقال: لقد تجاوزنا مرحلة الشباب، وزوجتي الآن تقيم في الولايات المتحدة الأمريكية.

وهذا الرجل فلبيني أصيل إلا أن لونه يميل إلى السمرة وتقاسيم وجهه تميل إلى الاعتدال، فهو يشبه العربي الأسمر من جنوب الجزيرة.

المنزل كله من النارجيل:

من منزل العمدة وإفطاره الكثير وغرفته العجيبة المقامة على عرض الشجرة توجه الموكب إلى ناحية أخرى من المدينة بقصد التجول فيها، فمررنا بيت لوزير شؤون المسلمين قال: إنه كله مصنوع من النارجيل ما عدا سقفه، وقال: إنني قصدت من ذلك أن ألفت أنظار الناس وأنبههم إلى أنهم

يمكنهم أن يبنوا بيوتهم من هذا الشجر المتوفر الكثير، ولا يحتاجون إلى مواد أخرى يستوردونها استيراداً.

وهو بيت جميل المنظر مبني بطريقة فنية، وواقع وسط حديقة غناء واسعة.

وقال الوزير: انظروا إلى السور إنه كله من النارجيل، من خشبها وعسبها أي أغصانها.

مدينة الورود:

انطلق الموكب في جولة على ضواحٍ جيدة من ضواحي المدينة قد غرست الزهور المتنوعة في كثير من حدائقها وأمام أعداد من منازلها.

ولما أبديت إعجابي بذلك قالوا: لا عجب في ذلك لأنها تسمى مدينة الورود.

ومن أكثر مناظر الزهور فيها أشجار الزهور المسماة عندنا بالجهنمية، ولها عدة ألوان منوعة.

والمدينة في نظافتها أحسن من مدينة (كاقايان)، ولكنها الآن قد ساءت حالتها أيضاً فكانت قبل ذلك أحسن مما هي عليه الآن.

ولمناسبة النظافة أذكر أنني رأيت امرأة تكنس ما يقابل بيتها من الشارع مثلما كنت قد رأيت مثلها في جزر مالديف، غير أن جزر مالديف بمجموعها أنظف من مدينة (زامبونقا) هذه، لأن هذه المدينة فيها أحياء مما تسمى بالأحياء الشعبية لم تعرف النظافة إليها سبيلاً.

معهد النهضة الإسلامية:

خرجنا من جانب من المدينة ريفي أكثر ما فيه أحواض الأرز وأشجار الموز، ثم اجتزنا حياً ريفياً غير نظيف المظهر.

ثم وصلنا إلى (معهد النهضة الإسلامية) فاستقبلنا فيه جمع من الناس من طلاب ومدرسين على رأسهم مدير المعهد الأستاذ (زين عبد اللّٰه)، يعرف العربية لأنه متخرج من مدرسة الفلاح في مكة المكرمة، وهو منطقة (سولو) الإسلامية.

وهي مدرسة إسلامية كما يسمونه وأمثاله، أو كتّاب - بتشديد التاء - وليس هذا التعريف من باب التنقيص له، أو وصفه بعدم الأهمية، فالواقع أن هذه المدارس والكتاتيب الإسلامية هي التي حفظ بسببها التعليم الإسلامي في هذه البلاد مثل كثير غيرها من البلاد التي فيها أقليات إسلامية مستضعفة.

وبسبب هذه المدارس والكتاتيب الإسلامية ذات المظهر غير العصري استمر التعليم العربي واتسع على مر السنين، لأنها تخرج أفواجاً من مدرسي الدين الإسلامي واللغة العربية الذين إذا كانت معرفتهم محدودة أو قل إذا كان علمهم محدوداً في بعض الأحيان فإن عملهم ليس كذلك.

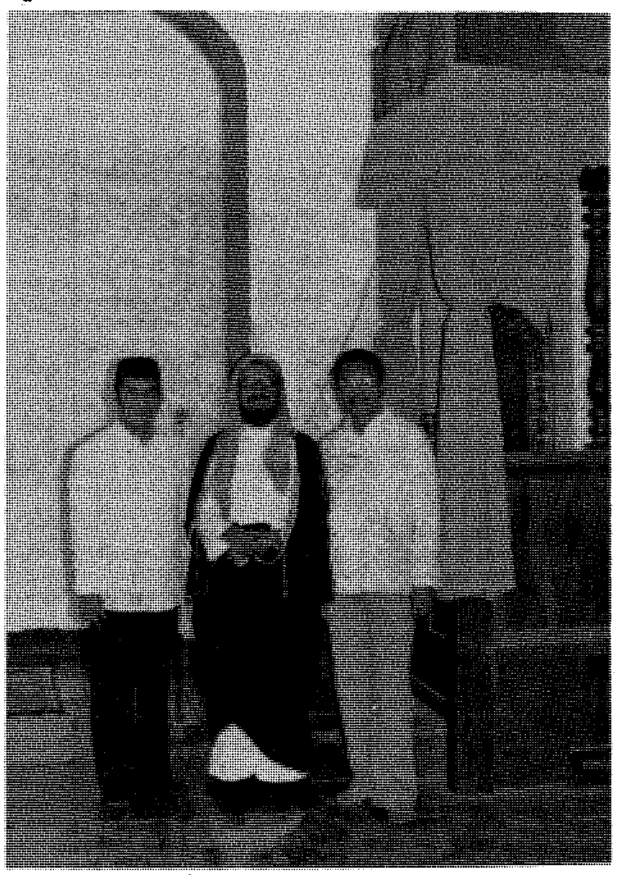
بل إن كثيراً منهم عملوا لله وفي سبيل الله، وبذلوا جهوداً في نشر التعليم الإسلامي العربي أكثر مما بذله غيرهم ممن يسمون بفطاحل العلماء في بعض البلدان العربية الذين قد يكون عند الواحد منهم كثير من العلم والقول، ولكن مع قليل من العمل والنفع، و (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) كما في الحديث.

والمعهد ذو مستوى ابتدائي، ولكن الدراسة فيه تستمر ليلاً ونهاراً للكبار والصغار كما أخبرونا.

مسجد سانتا باربرا:

وهذا مسجد غير بعيد من هذا المعهد يسمى مسجد سانتا باربوا على اسم الحي الذي يقع فيه (سانتا باربرا).

ومع رنين هذا الاسم العصري في أذهان الكثيرين من الذين لم يسمعوا بهذه الأسماء إلا من الغربيين أو من جاء من بلادهم، ويعرفون أنها تدل على التقدم المادي والثقافة الظاهرة، فإن هذا الحي (السانتا باربري) الفليبيني قد بلغ غاية القمة، أو قل انحدر إلى نهاية الانحدار في عدم النظافة وانعدام الخدمات العامة، حتى البيوت والمساكن فيه ذات مظهر زري.



داخل محراب جامع مدينة زامبونقا

أما المسجد فنصفه مفروش بالمشمع، ونصفه بلاط أقرع لم يستطع القائمون عليه استكمال فرشه لضعفهم المادي.

وكانت المملكة قد ساعدت على عمارته، كما أخبرنا بذلك رئيس جمعية المسجد الأخ (عبد الهادي أرباني).

وفي المسجد مدرسة إسلامية دخلنا فصلاً منها كان عنوان الدرس فيها (قراءة وكتابة)، وجدنا المدرسة السيدة (الحاجة ميمونة زين).

وبين الذين كانوا في المسجد الأخ (مهدي أبدون) عضو البرلمان المحلي.

المعهد المركزي الإسلامي:

وهذا معهد آخر كتب عليه اسمه باللغة العربية هكذا: (المعهد المركزي الإسلامي كامبو، مسلم، مدينة زامبونجا)، ويتألف المعهد من ثلاثة أبنية قالوا: إن أحدها مبني من وزير شؤون المسلمين، والثاني نفقته من الأخ (أمير باشا بندايون) عضو البرلمان المحلي.

استقبلنا في المعهد (شريف محسن حلابي)، قالوا: إن معناها (ذو الأب)، والشيخ ممدوح محمد علي مدرس اللغة العربية والتربية الإسلامية من الأزهر الشريف، والحاج عمر أحسن أمير الصندوق، بل قالوا على حد تعبيرهم: إنه أمير المال، لأنه يتاجر بما يصل إلى المعهد من مال، ويعطيهم ربحه، فهو ليس مجرد خازن، وإنما هو أمين مدبر.

وبهذه المناسبة أخبرونا أن نفقة المعهد من تبرعات أهل الخير.

يضم المعهد ما بين تسعمائة إلى ألف طالب وطالبة موزعين على تسعة فصول كلها ابتدائية إلا واحداً فهو إعدادي، كما بلغ عدد المدرسين في المعهد خمسة عشر مدرساً.

إلا أنهم يشكون من نقص غرف الدراسة الصالحة للتدريس، كما أنه لا يوجد لديهم دورة للمياه، ويريدون جمع الأموال اللازمة لذلك غير أنهم يؤثرون بما يجمعونه من مال ما يتعلق بالنفقة على رواتب المدرسين والموظفين الآخرين، لأنها تمس صلب الدراسة التي يجدون أنفسهم عاجزين عن سد حاجة أبناء المسلمين منها، إذ عدد الطلبة يتزايد لديهم، ولا يستطيعون بإمكاناتهم المادية المتوفرة أن يلبوا كل طلبات الالتحاق، أو يزيدوا الفصول.

دخلنا فصل السنة السادسة الابتدائية فقرأت إحدى طالباته سورة من وسط جزء عمَّ، ثم قرأت أخرى من أول سورة البقرة، ووجدت قراءة الاثنتين جيدة مطابقة لشروط التجويد فصيحة المخارج للحروف.

وكانت تتلو هذه الآية حفظاً عن ظهر قلبها، ثم لما توقفت عن التلاوة أكملت زميلة لها ما كانت بدأت من الآيات الكريمة حفظاً عن ظهر قلب أيضاً.

طردها أهلها لأنها أسلمت:

وهذا عجب من العجب أن تقوى هذه البنات المسلمات على حفظ القرآن الكريم وأن يُجِدن تلاوته إجادة قلّ أن تصل إليها البنات اللاتي في أسنانهن في البلاد العربية، مع كون اللغة العربية ليست لغتهن الأصيلة، ومع وجود المغريات من الجهات المضادة الأخرى كالكنيسة المسيحية، والمدارس الحكومية، والتحديات الأخرى في هذا المجتمع المفتوح الذي لا يوجد حاجز فيه بين الشاب ورغباته إلا ما جعله الله من إيمان في قلوب الإخوة المسلمين وقلوب أبنائهم وبناتهم.

ولقد كنت أفكر في ذلك وأنا أتأمل هذا الفصل الذي نحن فيه، والفتيات اللاتي أمامنا كلهن قد لبسن لباساً إسلامياً سابغاً يغطي حتى الشعر والحلق، وهن بذلك محتشمات نظيفات تبين البراءة والطراوة الطبيعية على وجوههن، كما أن على وجوه كثيرات منهن بشاشة الإيمان، وبهاء اليقين، وهن جميعاً في سن الشباب الطامح ما بين الرابعة عشرة والعشرين.

وقد أشاروا إلى واحدة منهن تبدوا الطمأنينة والنقاء على وجهها، وقالوا: إنها أخت مسلمة جديدة دخلت في الإسلام عن اقتناع وإيمان، فطردها أهلها وتنكروا لها، ومع ذلك صبرت على الأذى وقاومت الحرمان، وهذا عجب من العجب في أمر هذا الدين الإسلامي الحنيف الذي إذا خالطت

بشاشته القلوب المؤمنة فعلت العجائب.

ثم طلب منها الأستاذ أن تتلو آيات قرآنية كريمة لنسمع تلاوتها، فابتدأت بسورة النبأ: ﴿عم يتساءلون ۝١ عن النبأ العظيم ۝٢ الذي هم فيه مختلفون ۝٣﴾ فتلتها تلاوة مجودة متقنة، وكانت تتلو القرآن بتأثر وتذوق للتلاوة مما جعل ذلك التأثر ينعكس على الموجودين في الفصل.

وكانت تلاوتها كلها حفظاً عن ظهر قلب، وبعد أن أنهت التلاوة دوّى الفصل بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر إعجاباً بتلاوتها، وإكباراً لروحها الإسلامية الصبارة المجاهدة بدلاً من التصفيق المنهي عنه عند الإعجاب.

بعد مظاهر التأثر الغامرة مما رأيناه في هذا المعهد الإسلامي ذهبنا إلى مسجد في حي يسمى (حي كاتالينا)، ويسمى المسجد مسجد كاتالينا، على اسم الحي، غير أن المسجد لم يكتمل بعد، لذلك لم نجد فيه أحداً، ولم نر إلا مقاعد معدة للمدرسة الإسلامية التي ستتفتح فيه جرياً على عادتهم الحميدة في إيجاد فصول دراسية لتعليم الدين الإسلامي بجانب المسجد ليكون دار عبادة وعلم على قدر طاقة أهله، وما يستطيعون تقديمه و ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾.

جامعة غرب مندناو:

انطلقنا إلى جامعة غرب مندناو فرأينا مسلماً في الشارع عليه (شماغ)، وهو غطاء الرأس الأحمر مثلما هو موجود على رؤوسنا، وآخرين عليهم الطواقي مما يدل على أنهم مسلمون لأن لبس الطاقية كاد يكون شعاراً للمسلمين بديلاً عن لبس القبعة للمسيحيين.

وجامعة غرب مندناو جامعة حكومية أيضاً.

استقبلنا عند باب الجامعة عدد من موظفيها وطلابها، وعلى رأسهم الدكتور (نيثو برونو) مدير الجامعة، وفيهم عدد من المسلمين منهم الشيخ

(شريف زين جالي) مرشد الطلبة المسلمين في الجامعة متعلم في الأزهر.

وبهذه المناسبة ذكروا أن عدد الطلاب المسلمين في الجامعة يقارب الألفين من مجموع طلبتها البالغ عددهم ستة آلاف، فهي ليست من السعة والكبر على ما هي عليه جامعة (مندناو) في مدينة (ماراوي).

بعد استقبال حافل وسلام كثير من بعض الأساتذة والمدرسين والطلبة بدأ حفل خطابي ترحيبي كانوا قد أعدوا له من قبل في قاعة للاجتماعات كبيرة، فتكلم مدير الجامعة مبتدأ بالتحية الإسلامية فقال فيما قاله: إن لدينا الآن قسماً للدراسات الإسلامية وإننا لنصبوا إلى اليوم الذي نتمكن فيه بمساعدة من المملكة من إنشاء (مركز الملك فهد لدراسات الشريعة الإسلامية) وهو حلم المسلمين في هذه البلاد، وذلك حتى نتمكن من تخريج محامين في الشريعة والفقه الإسلامي، ومدرسين مؤهلين لتدريس الدين الإسلامي، لأن لدينا في منطقتنا قسماً من السكان المسلمين الذين يحتاجون إلى ذلك، إضافة إلى رسالة الجامعة في دراسة الشريعة الإسلامية المحترمة، ولأن الفليبين اعترفت بالأحوال الشخصية للمسلمين.

وكان مدير الجامعة في هذه المدينة مثل عمدتها كثير الكلام لا يكاد يعطي فرصة لمن يحدثهم أن يبدوا رأيهم أو أن يناقشوه فيما يقول، وكلاهما بخلاف رئيس المجلس التنفيذي، فهو رجل رزين لا يتكلم إلا عند الحاجة لكنه إذا تكلم تكلم ببيان، وإذا نطق نطق ببرهان.

ثم أحضروا أطفالاً صغاراً قالوا إنهم من مدرسة ملحقة بالجامعة، فألقوا نشيداً بمصاحبة الموسيقى تقودهم إحدى المدرسات.

هذا وقد كتبوا لافتة بالعربية أمام منصة الخطابة (أهلاً وسهلاً) وسطوراً بالإنكليزية تتضمن أسماء أعضاء وفدنا ووظائفهم.

وقد انتهت زيارة هذه الجامعة بحفاوة بالوفد بالغة، وكان مدير الجامعة يكرر طلبه المساعدة على إنشاء مركز الملك فهد لدراسات الشريعة

الإسلامية، وقد رأينا عدة أبنية قديمة في الجامعة قال: إنهم عازمون على هدمها وبناء (مركز الملك فهد) في مكانها.

العودة إلى مطار زامبونقا:

وعدنا إلى المطار فوجدنا قائد القاعدة العسكرية ينتظر الوفد وفقاً لما جاء في برنامج الزيارة، فقضينا معه وقتاً قصيراً صعدنا بعده إلى طائرة الرئيس الخاصة التي كانت تنتظرنا في المطار منذ يوم أمس ولم تغادره كما أخبرنا بذلك ملاحوها.

عندما قامت في الساعة الحادية عشرة والربع قبل الظهر وزعت المضيفات المناديل المعطرة الباردة بدلاً من المناديل المبللة بالماء الحار حينما يكون الركوب في الصباح أو المساء.

إلى مدينة كوتاباتو:

بعد طيران استمر حوالي خمس وثلاثين دقيقة نزلت الطائرة في مطار قرب البحر لأن مدينة (كوتا باتو) لم تشذ عن القاعدة التي عليها أكثر المدن الفليبينية الهامة، وهي كونها على البحر أو قربه، فهي واقعة على النهر قرب البحر.

وقد اتضحت معالم المنطقة عند النزول تشبه المناطق الاستوائية الحقيقية؛ إذ فيها أشجار النارجيل الملتفة، ومعها أشجار الموز، وهي تقع في منطقة ذات تلال خضر جميلة.

وعند النزول في مطار المدينة كانت حفاوة عظيمة لم نكن ننتظرها من قبل هذه المدينة الصغيرة، ولكن تبين أن الحكومة والأهالي قد أعدوا العدة لاستقبال الوفد بهذه الحفاوة الظاهرة.

من ذلك أن أسرعت فتيات متزينات بأطواق الزهور يقلدنها أعضاء

الوفد ومرافقيهم، كما أسرعت سيدات مسلمات أخريات بقلائد من الودع وأدوات الزينة المستخرجة من البحر يضعونها في الأعناق أيضاً مما كاد يثقل أعناقنا، وبخاصة نحن الذين نرتدي العباءات ونحن منها في عناء لتثبيتها مع غطاء الرأس ورفع ذيل الثوب، والحرص على تساوي طرفي الغترة الأيمن والأيسر وخصوصاً عند الركوب والنزول، وعندما يريد الهواء المرح أن يمزح معنا فيجاذبنا أطراف ذلك كله.



في مطار كوتاباتو والوفد عليه قلائد الزهور

وقد لاحظنا شيئاً هنا أكثر مما لاحظناه في (زامبونقا) و (كاقايان)، وهي نضارة في وجوه اللاتي كن في استقبال الوفد من نسائها، لا أدري أمرده إلى إتقان في فنّ تزيين الوجوه أم هو أمر حقيقي ؟ فقد كنا من عملنا ومحاولة سرعة الوصول إلى المسجد الجامع لأداء صلاة الجمعة في شغل شاغل عن التدقيق في هذه الأمور.

أرانا قائد عسكري - أظنه من الجيش - برنامج زيارة الوفد لهذه المدينة (كوتا باتو) فإذا به حافل طويل رغم قصر المدة، وقد سررنا بذلك لأننا نريد الاطلاع على مزيد من أمر هذه المدينة الباسلة التي كنا قد سمعنا أخبارها قبل سنوات، وأنه كانت فيها بل في شوارعها تدور المعارك بين الحكومة والثوار المسلمين في عام ١٩٧٠م.

أما اسمها كوتا باتو فذكروا أنه يعني حصن الحجارة أو القلعة الحجرية، فكوتا تعني حصناً، وباتو حجر، وعلى هذا ربما كان لها من اسمها في وقت من الأوقات نصيب، وقد اخبرني أحد أعوان الحكومة أن نسبة المسلمين فيها ٤٠٪.

في جامع كوتا باتو:



إحدى الحارات في كوتاباتو

اخترقنا منازل المدينة مسرعين قاصدين مسجدها الجامع، فأبصرناه

على البعد بمنارته البيضاء الشاهقة وقبته البيضاء كذلك.

وكنت بحاجة للوضوء، فرأيت من نظافة القوم ما أعجبني في هذه الأماكن التي تعتبر حالتها امتحاناً لمقدرة أهلها على النظافة أو مرآة لذلك، لأنها المواضع التي تجتمع فيها الأوساخ وتحتاج إلى عناية كبيرة في التنظيف، وبعد تحية المسجد كان موعد الجمعة قد حان فتقدم إليّ القوم بأن أخطب فيهم وأؤمهم في صلاة الجمعة، فاعتذرت عن ذلك جرياً على عادتي التي سرت عليها في مثل هذه الحالات؛ لأنني أرى أن التقدم على الإمام الراتب أمر غير مستحب، فهو أحق بذلك من غيره، وبخاصة إذا كان هناك قوم من كبار القوم من بني جنسه كما هي الحال بالنسبة إلينا الآن حيث يوجد معنا وزير من وزرائهم؛ بل هو الوزير الوحيد في الحكومة الذي يعلن إسلامه ومعه موظفون كبار في الدولة.

كما أنه بالنسبة إليّ أيضاً فإنني أحب أن أرى الإمام المعتاد الراتب وهو يخطب بالناس ويؤمهم في صلاة الجمعة لأعرف طريقتهم في أداء الخطبة والصلاة، ومستوى ثقافتهم في هذا المجال، وأي اللغات التي يخطبون بها إلى آخر ما يستفاد من ذلك.

غير أنهم طلبوا من زميلنا في الوفد الشيخ على محمد مختار أن يخطب ويصلي بهم فلبى ذلك، وكأنما كان قد أخذ للأمر أهبته من قبل فاستل من جيبه أوراقاً مكتوبة منذ مدة لأن كثرة الطي والنشر بادية عليها، ثم صعد المنبر من دون أن يهيئ له القوم بعض اللوازم في السنة للخطبة مثل العصا أو الرمح التي يمسك الخطيب بها وهو يخطب.

وقد جعلت أقول له في نفسي: سامحك الله أيها الزميل العزيز لقد حرمتني مما كنت أود الاطلاع عليه من كيفية خطبة الخطيب في هذا الجامع، وعما يفعلونه بعد الصلاة، وغير ذلك مما لا أعرفه.

والخطبة مكتوبة في الأوراق باللغة العربية، وكانت معدة من قبل

لمناسبة غير هذه المناسبة، ولبلاد غير هذه البلاد، ضمنها بيان إخوة المسلمين بعضهم لبعض، وأنهم لذلك ينبغي أن يسارعوا إلى التبرع للإخوة المسلمين المنكوبين في فلسطين ولبنان وأفغانستان.

وبين فيها فضل التبرع للإخوة المسلمين في تلك البلاد، وبيان ثوابه عند الله، ولم تتضمن الخطبة أي شيء يتعلق بهذه البلاد (الفليبين) لأنها كما قلت معدة لغيرها.

وكان إمام الجامع طول الخطبة واقفاً على الأرض ممسكاً بمكبر الصوت يرفعه للشيخ علي.

وقد استغرقت الخطبة الأولى بالعربية نصف ساعة، جلس زميلنا الشيخ علي بعدها على المنبر وأعطاها الإمام بنصها العربي ليترجمها إلى اللغة المحلية، وكان الإمام جيد الفهم، قوياً في العربية عرفناه بذلك بعد ذلك، فكان هذا مما سهل عليه ترجمة الخطبة الأولى كاملة في أكثر من نصف ساعة من العربية إلى اللغة المحلية من دون أن يذكر النص العربي بطبيعة الحال، وإنما كان ينظر إليه فيقرأ ترجمته وهو واقف في مكانه على الأرض بجانب المحراب.

ثم نهض الشيخ علي عند انتهاء الترجمة فألقى الخطبة الثانية بالعربية المكتوبة أيضاً ولكن المترجم لم يقم بترجمتها لحسن الحظ لأن الشيخ علياً لم يطلب منه ذلك، وإلا لكان في هذا شكاً في أنه يخل بالخطبة لأنه يفصل بينها وبين الصلاة فاصل من كلام أجنبي بلغة محلية.

ثم صلى الشيخ علي بنا صلاة الجمعة بتلاوة متقنة جيدة عرفناه بها جزاه الله خيراً.

وعندما انقضت الصلاة بادر زميلنا ممثل وزارة الخارجية في الوفد الأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام بمرحه المعهود الذي ربما كان قد اكتسبه من نشأته في القطر المصري، لأن والدته من مصر وقد تعلم هناك،

فأورد المثل العالمي المصري: (جيتك يا عبد المعين تعيني لقيتك يا عبد المعين تنعان).

أي: لقد رجوت منك المعونة يا عبد المعين فإذا بك أنت تحتاج إلى العون، وقال: لا شك في أن لسان حال إخواننا الفليبينيين الذين سمعوا خطبة زميلنا الشيخ على مختار سيتمثلون بهذا المثل، لأنهم يلتمسون منا المساعدة لا أن نحثهم مع فقرهم على أن يساعدوا إخوانهم المسلمين في فلسطين ولبنان وأفغانستان.

إلى مركز الإدارة الحكومية:

انتقل الموكب بعد الصلاة إلى مركز إدارة الإقليم الثاني عشر، وهو هذا الذي نحن فيه، ومن عادتهم أنهم قسموا البلاد إلى أقاليم بالأرقام.

وهو في مبنى جميل من أجمل ما فيه أننا رأينا سورة الفاتحة مكتوبة على مدخله بخط عربي جميل، ولا أدري سبب ذلك إلا أن يكون مجاملة من الحكومة للمسلمين، أو أن يكون المهندس وصاحب المبنى - إذا لم يكن مملوكاً للدولة - من المسلمين المهتمين بإظهار الشعار الإسلامي.

وقد استقبلنا فيه رئيس المجلس التنفيذي عن المنطقة (اتشنيون داتوماني) وهو محام مسلم، فجلسنا في إحدى غرفه جلسة استراحة لبضع دقائق قبل الغداء.

على مائدة رئيس المجلس التنفيذي:

هكذا كان معدو برنامج الزيارة يقصدون أن تكون الاستضافة والاحتكاك بالموظفين من المسلمين الذين لهم المظهر التنفيذي، وليس للموظفين المسيحيين الخلص للدولة، وذلك لإشعار الوفد بأن المسلمين يتعاونون مع الحكومة وأنها لا تتحيز ضدهم.

وجدنا موائد الغداء الفاخرة قد نصبت وعليها أطيب الطعام وأغلاه، وبخاصة من أنواع الأربيان أي الروبيان أو الجمبري بأنواعه الصغيرة المسماة بالإنكليزية (شرمب)، والتي أكبر منها المسماة (برون)، إلى الأكبر من ذلك المسمى عندنا في الحجاز (أبو مقص)، وفي مصر(أبو جلمبو)، إلى جانب الأنواع المنوعة من اللحوم والخضرات والسمك، وقد أعدت المائدة لتكفي مائة وعشرين شخصاً، وقد أحصيت الذين شاركونا طعام الغداء على كراسي المائدة فإذا هم أكثر من مائة شخص، فكيف بمن يأتي بعدنا، مما ذكرني بمائدة الإفطار التي تناولناها في بيت عمدة مدينة (زامبا ونقا)، مما حملني على الاعتقاد بأن ذلك أمر موعز به من الحكومة، وأن هؤلاء الموظفين ينفقون على هذه الموائد من صناديق الجهات التي يرأسونها.

وبعد الانتهاء من الغداء تكلم المضيف رئيس المجلس التنفيذي في (كاتا باتو).

فألقى كلمة ترحيب بالوفد، وأشاد بالروح الطيبة التي أملت زيارة أعضائه لهذه البلاد من جنوب الفليبين، فرد عليه زميلنا الشيخ على مختار بكلمة ضافية شكر فيها ضيافته والحفاوة التي قوبل بها الوفد في هذا الجزء من البلاد في كل الأماكن التي زارها، وذكر دور رابطة العالم الإسلامي في مساعدة المسلمين، وبخاصة دور المجلس الأعلى العالمي للمساجد في تعمير المساجد في أنحاء العالم، والمحافظة عليها وإنشاء مجالس إقليمية في كل منطقة من بلاد المسلمين، ومن ذلك جنوب الفليبين حيث يوجد مقر المجلس المحلي للمساجد في مدينة (ماراوي).

ثم طلب الجمع مني الكلام فاعتذرت بأن زميلنا الشيخ علي مختار قد تكلم باسم الوفد فقال ما قاله نيابة عنا، ولكنهم أصروا وساعدهم على ذلك وزير شؤون المسلمين الذي رافقنا في كل الرحلة، فألقيت كلمة طويلة بينت مزايا الإسلام، ونفيت التهم التي ألصقها أعداء الإسلام به، وبنيت أول

الأمر ما أثير حول الإسلام من أنه دين تعصب، وقلت: لو كان الإسلام دين تعصب لما كانت بقيت حتى الآن أقليات دينية أخرى كاليهودية والنصرانية في بلاد المسلمين، وفيها القريبة من مراكز انطلاق الإسلام مثل مصر والشام والعراق وفلسطين.

فضلاً عن الأعداد الكثيرة من أهل الأديان الأخرى مثل الصابئة في العراق وفارس والهندوكيين في الهند.

وقلت: إنه بالمقارنة بين الإسلام والمسيحية في هذا المجال يكفي أن نذكر ما فعله المتعصبون الإسبانيون والبرتغاليون من التنكيل بالمسلمين بعد أن تمت للمسيحيين السيطرة على بلاد الأندلس حتى لم يكتفوا بإظهار الارتداد عن الإسلام وتغيير الأسماء الإسلامية إلى أسماء مسيحية، وإنما استعبدوا المسلمين وأخذوا يبيعونهم أرقاء كما تباع البهائم.

وبعد ذلك لم يكتفوا حتى بهذا الأمر الفظيع، فأخذوا يقتلونهم قتلاً ويفتشون عمن آواهم أو ساعد على إخفائهم، لأنه قد وصل إلى علمهم أن بعض المسلمين كانوا لا يزالون يخفون إيمانهم في صدورهم.

وقد اشتهر ذلك بمحاكم التفتيش.

وهذا منتهى التعصب الشنيع.

ثم التهمة الأخرى التي ألصقت بالإسلام، وهو أنه دين القهر والجبروت، وأنه دين السيف، وأنه لولا السيف لما انتشر الإسلام، وقلت يكفي أن نذكر منطقة واحدة من مناطق العالم وهي هذه المنطقة التي تعتبر الفليبينية جزءاً منها، منطقة جنوب آسيا الشرقية، وقد دخل في الإسلام أهلها أفواجاً، ومنهم الآن مسلمون في دولة واحدة هي إندونيسيا يزيد عددهم على مائة مليون نسمة، فأي جيش من جيوش المسلمين خرج من البلاد الإسلامية في بلاد العرب مثلاً أو حتى من بلاد إسلامية غير عربية كالهند مثلاً وزحف محارباً إلى هذه المنطقة ليدخل أهلها في الدين الإسلامي؟

إن ذلك لم يحدث مطلقاً، وإنما انتشر الإسلام فيها بالحجة والإقناع وبالقدوة الحسنة التي كان عليها دعاة المسلمين إذ كانوا مثلاً للأخلاق الفاضلة والمعاملة الشريفة ودعاة للرحمة والشفقة، وإنقاذ الناس من الجهل.

ثم قلت لهم: إذا كان هذا خافياً على بعض الناس، وهو لا يخفي عليهم أو على أكثرهم، فلننظر الآن إلى الدين الإسلامي ينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أصبح فيها الآن عدد المساجد والمراكز الإسلامية يزيد على ستمائة مركز أو مسجد، وكل مركز فيه مسجد في مختلف أنحاء القارة، وكثير من عمار هذه المساجد والمراكز من الأمريكيين المسلمين الجدد ما بين أسود وأبيض، فهل غزا المسلمون الولايات المتحدة الأمريكية ونشروا الإسلام فيها بالسيف؟

وهل هم قادرون على ذلك إذا أرادوه؟

هذا فضلاً عن القارة الإفريقية التي يدخل من أهلها في الإسلام كل شهر آلاف مؤلفة، حتى أصبحت أقطار كثيرة فيها كانت قبل استقلالها ذات أقليات إسلامية فأصبحت الآن ذات أغلبيات إسلامية مثل فولتا العليا، وسيراليون في غرب إفريقية، ومثل أوغندا في وسطها.

وقد تعالى التصفيق من الإخوة المسلمين الحاضرين.

ثم وجهت كلامي إلى الأخوة المسلمين في هذه المنطقة، وقلت: إن عليكم أن تتعاونوا مع مواطنيكم من غير المسلمين الذين هم إخوان لكم في الوطن على ما فيه نفع الوطن والمصلحة العامة للجميع، ليعلموا أن الإسلام جاء بالخير للجميع، وأن المسلم ليس من خلقه ولا من المطلوب منه أن يعرقل المشروعات العمرانية النافعة، أو أن يقف حجر عثرة في ذلك. ثم تلوت الآية الكريمة: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴿٨﴾** ﴾.

وكان يقوم على ترجمة كلمتي فقرة فقرة إمام المسجد الجامع.

وتظهر من تعبيرات وجوه بعض الحاضرين أنهم يفهمون كلامي قبل ترجمته للغة المحلية، وتبين أن فيهم عدداً من المدرسين في المدارس الإسلامية العربية، ويفهمون العربية.

وكان الحفل كله مصوراً للتلفزة ومسجلاً للإذاعة بالإضافة إلى حضور رجال الصحافة والإعلام، لأن حضور هذه الحفلات التي يقدم فيها إلى جنوب الفليبين ضيوف من العاملين في الحقل الإسلامي في المملكة العربية السعودية أمر يهم الحكومة الفليبينية وتسعى إليه.

اجتماع حاشد:

لم يكتف رئيس المجلس التنفيذي أو الذين وضعوا برنامج الزيارة لهذه المدينة التي كانت مسرحاً مهماً من مسارح الحرب الأهلية بين المسلمين وحكومة الفليبين - على حد التعبير الرسمي عن هذه الحرب - أو للجهاد من المسلمين ضد طغيان الحكام الكافرين الذين على رأسهم (فرناندو ماركوس) رئيس جمهورية الفليبين، وإنما وضعوا بعد هذا الغداء الحافل اجتماعاً عاماً دعوا إليه كثيراً من المدرسين والمدرسات؛ بل الطلاب والطالبات في المدارس العربية الإسلامية وغيرهم لأنه كان اجتماعاً مفتوحاً.

فعقدوه في قاعة واحدة كالمسرح أو قاعة العرض السينمائي الواسعة، فكان أعضاء الوفد معهم رئيس المجلس التنفيذي وعدد من رجال الدولة على المنصة الرئيسية، وأعداد كبيرة من المشجعين والحضور في المقاعد.

وقد ابتدأ رئيس المجلس التنفيذي معرفاً بالوفد، وذاكراً أسماء أعضائه ووظائفهم الرنانة كالوجه التالي:

فلان - يقصدني -: الأمين العام للدعوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية.

الشيخ علي محمد مختار: الأمين العام للمجلس الأعلى العالمي

للمساجد، والشيخ علي هو الأمين العام المساعد، أما الأمين العام فهو أمين الرابطة الشيخ محمد بن علي الحركان.

ثم الأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام. المدير العام للإدارة الثقافية في وزارة خارجية المملكة العربية السعودية، والنطق الصحيح لوظيفته أنه مدير الإدارة الثقافية بدون كلمة (العام).

ثم ألقى كلمة ترحيب، وطلب من كل عضو أن يلقي كلمة فألقى كل واحد منا نحن الثلاثة كلمة منفردة.

جرؤت على ما لم يجرأ عليه الرجال:

ثم طلب من الحاضرين أن يوجهوا الأسئلة التي يريدون توجيهها إلى أعضاء الوفد في أي موضوع يريدونه، شرط أن يكون السؤال مكتوباً، فأجبنا على بعض الأسئلة التي قدمت إلينا بواسطة المترجمين إلا أن أحدهم قام من مكانه، وتقدم بسؤال باللغة العربية إلى الوفد عن الهدف من الزيارة، فأخبرناه بذلك.

ثم نهضت أخت مسلمة شجاعة قد ارتدت ثياباً سابغة ووضعت على كتفيها غطاء الرأس الساتر.

وقالت بحماس ظاهر بعد التحية: (إخوتكم المجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله يحتاجون إلى مساعدتكم بشد أزرهم ومعاونتهم على ذلك).

وعندما انتهت من إلقاء كلمتها وكلها باللغة العربية الفصيحة دوت القاعة بالتصفيق وبكلمة التكبير: الله أكبر، وذلك قبل أن يترجم كلمتها أحد، بل لم تترجم كلمتها إلى أية لغة أخرى غير العربية، وتبين لنا من ذلك أن كثيرين من الحاضرين يفهمون العربية لأنهم من طلبة المدارس الإسلامية والعربية أو من المتخرجين فيها، وصرنا بعد ذلك لا نتكلم إلا بالعربية، ولم نحتج للترجمة في هذا المكان، وطبيعي أنه يوجد بين الحاضرين من لا يعرف

العربية إلا أننا نوجه الكلام لمن يعرفها.

وهكذا جرؤت هذه الأخت الكريمة على شيء لم يجرؤ عليه الرجال، وحركت ضمائرنا، بل أيقظت حتى أعين بني قومها المسلمين التي كانت غافية أو خائفة من أن ترى أو تقول كلمة حق أمام أعضاء الوفد الذين تولى الطرف الآخر المناهض للمسلمين وهي الحكومة الفليبينية ترتيب كل شيء يقال لهم؛ بحيث لا يسمعون إلا ما تريد لهم أن يسمعوه ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

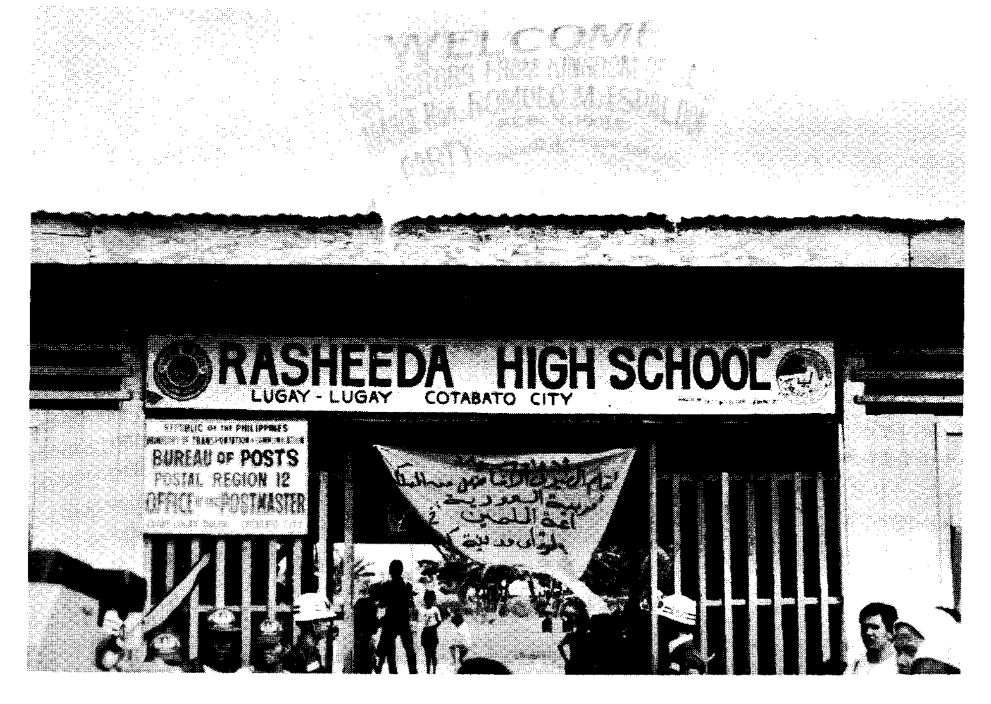
إلى المدرسة الرشيدة: أو مدرسة الجنيد:

سار الموكب من هذا المكان الذي هو أشبه بالمسرح، ولم يعرفونا باسمه بالضبط، مع شوارع من مدينة (كوتا باتو) مسفلتة، إلا أنه ينبعث من بعض أنحائها غبار ربما لنقص النظافة من بلديتها حتى وصلنا إلى صف طويل من الطاليات مع كل واحدة منهن مروحة يدوية قد كتبوا عليها بالعربية اسم المملكة العربية السعودية مجاملة للوفد، وكذلك صفوا طائفة من طلاب المدرسة الذين ألبسوهم لباساً عسكرياً وأعطوهم السيوف أو البنادق وهم واقفون في الصفوف على هيئة الجنود؛ بحيث لم أشك حين رأيتهم أنهم من جنود الحكومة وأننا ندخل إلى مدرسة عسكرية، غير أنهم أفهمونا بعد ذلك أن المدرسة تعطي لطلابها وطالباتها أيضاً تدريباً عسكرياً شبيه بالتدريب للفتوة المعمول به في بعض المدارس في الشام.

فبدأنا أول الأمر بزيارة مسجد بجانب المدرسة اسمه (مسجد الرشيدة) نسبة إلى المدرسة، وهو واقع على ضفة نهر جيد عندهم غزير المياه.

قالوا: إن هذا المسجد قد سقط من الزلزال الذي كان قد أصاب المنطقة، وأننا نصلحه ونبنيه بالإسمنت المسلح، وقد تلقينا مساعدة على ذلك من المملكة العربية السعودية، ولكن المبالغ التي رصدناها لبنائه غير

كافية.



لافتة الترحيب بالوفد السعودي على واجهة المدرسة الرشيدة في كوتاباتو

ومن الطريف أنني رأيت طائفة من الناس يتوضؤون، وآخرين يغسلون وجوههم وأيديهم من مياه النهر الجاري لأن المسجد واقع على ضفة النهر تماماً.

وتسمى هذه المدرسة بمدرسة الجنيد أيضاً على اسم مديرها (عمر باجنيد) الذي وجدناه في الاستقبال، وهو عربي حضرمي يتكلم العربية جيداً، وإن كانت نشأته في الفلبين بل قال: إن جده هو الذي جاء إلى الفلبين.

ومدرسته من أرقى المدارس الإسلامية في هذه المدينة، بل ربما في عدد من مدن الجنوب الفلبين وأشهرها.

وعندما سمعت باسم مدرسة الجنيد قلت لهم لقد رأيت مدارس أخرى إسلامية عربية باسم مدرسة الجنيد في أماكن أخرى من العالم مثل دار السلام عاصمة تنزانيا، ومثل سنغافورة، فهل لها علاقة بهذه المدرسة؟

فقال الشيخ عمر باجنيد: ليس لها علاقة، إلا أن القائمين عليها هم من أسرتنا أسرة الجنيد (باجنيد)، ولم نجر اتفاقاً بيننا على ذلك، بل إنني لا أعرف جميع الأسرة، لأنها كبيرة والمدارس لم أعرفها إلا بالسماع.

فقلت له: رعاكم الله يا آل جنيد الكرام فلطالما أخرجت مدارسكم رجالاً ومعلمين ينشرون علوم الدين بين المسلمين.

وتقع في حي اسمه (لوفاي).

وتضم المدرسة قسمين:

أحدهما: يسمونه الإنكليزي، وذلك أنه يدرس المنهج الحكومي واللغة الإنكليزية مضافاً إلى ذلك علوم إسلامية وعربية مخففة، وتعترف الحكومة بالشهادات التي تصدر منه، وتلحق المتخرجين منه في مدارسها.

والآخر: القسم العربي، وهو مخصص للدراسة العربية الإسلامية، ولا تعترف الحكومة بشهادات المتخرجين فيه، وإنما هو مثل غيره من المدارس العربية الإسلامية يقوم الخريجون فيه بالتدريس في المدارس العربية الإسلامية، وبإمامة المساجد وغير ذلك من الوظائف الدينية الصغيرة.

ويبتعث من يتفوق منهم لإكمال دراسته الإسلامية في الجامعات الإسلامية في البلاد العربية، ومن أهمها جامعات المملكة العربية السعودية في المدينة المنورة ومكة المكرمة والرياض، وفي الأزهر الشريف في مصر.

وقد أخبرنا الشيخ عمر الجنيد أن القسم الإنكليزي يضم أربعمائة من الطلاب ما بين ذكور وإناث، أما القسم العربي فإن فيه مائتين.

وفي جولة على المدرسة لاحظنا أن جميع اللافتات فيها سواء ما كان

منها على فصول المدرسة أو حتى الإعلانات هي باللغة العربية وحدها اعتماداً على أن الطلاب والطاليات كلهم يفهمونها.

وفي مكتب مدير المدرسة الشيخ عمر باجنيد وجدناه قد علق صوراً لملوك المملكة العربية السعودية ابتداء من الملك عبد العزيز حتى الملك فهد اعترافاً بما قدمته المملكة العربية السعودية من مساعدات إلى المدرسة، وما قدمته من منح دراسية للمتخرجين فيها.

ثم المكتبة العامة في المدرسة، وهي حافلة بالكتب العربية الجيدة، وهي في هذا الميدان أغنى بكثير من مكتبة (مركز الملك فيصل للدراسات العربية الإسلامية، الموجودة في جامعة (مندناو) الحكومية في مدينة (ماراوي)، فكأن هذه المدرسة الخاصة قد قدرت على أن تجمع من الكتب العربية والمراجع المهمة في العلوم الإسلامية ما لم تستطع تلك الجامعة الحكومية أن تجمعه، وإذا بارك الله في جهد كان عطاؤه العطاء الجزيل.

ومن لطيف ما لاحظناه في إحدى غرف المدرسة نماذج لبيوت من البيوت الخشبية الوطنية القديمة عملها الطلبة بأيديهم وحفظتها المدرسة لتكون بمثابة الأنموذج لأشغال الطلاب.

وفي وسط المدرسة فناء واسع جداً مكشوف على هيئة حديقة مفروشة بالحشائش الطبيعية الكثيفة، وتتناثر فيها أشجار قليلة من النارجيل والموز.

وألطف من ذلك أن أرى طالباً يقود مجموعة من الطلاب ذوي الملابس العسكرية الذين يحملون سلاحهم أدى التحية للوفد وسيفه مسلول مرفوع أمام وجهه كما تفعل الفرق العسكرية الحقيقية إذا كانت في استقبال الملوك أو رؤساء الوفود الرسميين الكبار.

وقد سمعنا القائد يخاطب الجنود من بقية الطلاب يطلب رفع السلاح باللغة العربية، فينصاعون لذلك تماماً.

معهد كوتا باتو الإسلامي.

من حي لوقان هذا الذي تقع فيه المدرسة الرشيدة التي هي رشيدة حقاً بما قدمته من أعمال، وما أخرجته من رجال، وما يعقد عليها في المستقبل من آمال، توجهنا إلى حي آخر ليس بالجيد في مظهر شوارعه ولا بيوته حتى أن مجاري المياه التي تكون في كل المدن الفليبينية أو في أطراف تلك المدن في أطراف الشوارع مما يلي الأرصفة بديلة من الأرصفة في بعض الأحيان قد رأيناها مكشوفة.

ولم يكن القصد من ذلك زيارة الحي، فهو ليس مهماً لنا، وإنما كان القصد زيارة (معهد كوتاباتو الإسلامي).

لم تستطع السيارات أن تصل إلى المعهد بسبب سوء حالة الزقاق، فوقفت بعيدة نوعاً ما، ونزلنا نسير على الأقدام، وكان في استقبال الوفد عدد كبير من المسلمين من سكان الحي، كما كان بعض الطلبة خارج فصولهم مما جعل الزحام شديداً في ممرات المعهد وغرفه.

كان أول ما سمعناه من المعهد أن أنشدت فرقة من الطلبة نشيداً باللغة العربية، ثم سرنا بين صف من الطالبات اللاتي ارتدين لباساً محتشماً سابغاً.

ورأينا هنا ما رأيناه في المدرسة الرشيدة قبل هذا من كون اللافتات كلها كانت بالعربية.

ينتهز فرصة الزحام:

كان المرافقون من الحراس وضباط المباحث فضلاً عن رجال الشرطة لا يدعون فرصة لأحد من غير المعروفين لهم الموثوق بهم أن يتكلم معنا فضلاً عن مجرد الوقوف للسلام، لذلك لم يستطع المجاهدون بل حتى المعارضون للحكومة من المسلمين أن يبسطوا لنا آراءهم، أو حتى يحدثونا مجرد الحديث عنها.

ولكن أحد الإخوة انتهز فرصة الزحام الكبير في المعهد الإسلامي هذا أو ضيق ممراته، وكون أعضاء الوفد قد تفرقوا في الدخول على الفصول التماساً لتوفير الوقت، فاقترب مني ودس في يدي مظروفاً همس في أذني بأنه صوت المجاهدين.

ثم دنا آخر وألقى في سمعي كلمة أو كلمتين وهو يلتفت.

وكان هذا من بركة (معهد كوتا باتو الإسلامي).

دخلت الفصل الأول من السنة الأولى الثانوية، وقالوا إن هذا من القسم الإنكليزي في المعهد، وكان موضوع الدرس (الحديث) النبوي الشريف، وقد اشترك في الفصل الذكور والإناث يفصل بين الجنسين منهما ممر مفتوح في داخل الفصل.

وبعد مناقشة قصيرة خرجت إلى فصل آخر، وكانت المدرسة سيدة متدينة تدعى أربية بدر الدين، وكان الدرس (لغة) يراد بذلك اللغة العربية، ومكتوباً على السبورة النشيد المشهور التالي:

يا ليتني كنت حساماً ماضياً   أو عسكرياً مستعداً غازيا

أذود عن قومي وعن بلاديا   وأضرب الخصم العنيد العاتيا

أما بناء المعهد فهو خشن رث يدل مع بقية مرافق المعهد على رقة الحال وضعف الإمكانات المالية، ويقع بجانبه مسجد في أرض تابعة للمعهد.

جولة في مدينة كوتا باتو:

بعد الانتهاء من زيارة هذا المعهد الإسلامي قمنا فوراً بجولة سريعة بالسيارات على أنحاء من مدينة (كوتا باتو)، وذلك لأن الوقت قد دهمنا عن رؤية كل ما نريد رؤيته.

فرأينا في ضاحية منها نهراً غير واسع على أطرافه بيوت خشبية مرفوعة

بأرجل من الخشب، ورأينا أشجاراً كثيرة من أشجار الموز قالوا في هذه المناسبة إن الموز يصدر كثيراً من منطقة (كوتا باتو) إلى المملكة العربية السعودية.

ثم اخترقنا وسط المدينة فرأيناه جيد الشوارع ذا أرصفة لا بأس بها.

وألقينا نظرة على سوق شعبية تباع فيه الفواكه والخضرات المحلية، فرأينا من أهمها الموز وجوز الهند الذي هو ثمار النارجيل والباباي الفاكهة الاستوائية المشهورة.

كما كانت في السوق حزم من الحطب المعد للوقود معروضة للبيع.

وتنتشر عربات (الركشا) ذات العجلات الثلاث، مع وجود سيارات الجيب التي حولوا صناديقها إلى ما يشابه صناديق سيارات الشحن الصغيرة وهم يؤجرونها لنقل الأشخاص، كما تفعل الحافلات المعتادة في البلدان الأخرى.

وهذه السيارات الجيب (الحافلة) الموجودة هنا مماثلة للموجود منها بكثرة في العاصمة (مانيلا).

ثم خرجنا إلى المطار مع شوارع في الضواحي تحف بها بيوت من الخشب ذات سقوف من الصفيح، بعضها مصبوغ بلون أحمر حتى يبدو بلون الآجر (الفخار) أو اتقاء للمطر، وبعضها وهي الأقل ذات سقوف من القش وهي منازل الفقراء المعدمين.

وفيما بين قلب المدينة والمطار مررنا بنهرين فسألت عن عدد الأنهار في المدينة فذكروا بأنها ثلاثة أنهار مختلفة المنابع، بمعنى أنها ليست نهراً واحداً ذا ثلاث شعب أو ذا طيات تتلوى بالبلد.

وعجبت من وجود هذه الأنهار الثلاثة في مدينة ليست بالكبيرة.

وبهذه المناسبة أذكر أن القائد العسكري الذي استقبلنا في المطار

وأعطانا برنامج إقامتنا هنا ، ولا أدري أهو من الشرطة أم من الجيش قال: إن عدد سكان مدينة (كوتا باتو) هو أربعون ألف مواطن، على حين أن رئيس المجلس التنفيذي قال لي بعد ذلك إن في المدينة أربعين ألف مسلم مع العلم بأن الجميع متفقون، على أن ليس كل سكانها من المسلمين.

فأي القولين أقرب إلى الصواب ؟

الظاهر أنه قول رئيس المجلس التنفيذي، فهو ألصق بهذا الموضوع.

العودة إلى مانيلا :

في الساعة الرابعة والربع عصراً كانت طائرة الرئيس الخاصة تتحرك من مطار (كوتا باتو) لتطير إلى العاصمة مانيلا ، وكانت قد ظلت تنتظر الوفد منذ وصولنا في مطار المدينة لم تغادره وعليها ملاحوها الذين عرفناهم من طول ملازمتهم لنا.



عند النزول من الطائرة الرئاسية في مانيلا

ولم نكن قد حملنا معنا إلا ما خف من أمتعتنا ، وقد تركنا الثقل كله والهدايا التي وصلتنا في فندقنا (فندق مانيللا) في العاصمة ، ولكن تبين الآن أننا نحمل أشياء جديدة أكثر مما تركناه من أمتعتنا في فندق العاصمة ، وذلك من الهدايا التي كان كل من قابلناه أو صنع لنا طعاماً من موظفي الدولة أو من قرب منهم يهدينا هدية جرياً على عادتهم في إهداء أي شيء للضيف.

وعندما نزلت الطائرة في المطار العسكري في مانيللا كان في استقبال الوفد كالعادة قائد عسكري برتبة جنرال، وصف طويل من الجنود قد اصطفوا تحت سلم الطائرة إلى قرب الدخول إلى مبنى المطار ، وحشد من المصورين يصورون الوصول كما صوروا الرحيل.

يوم الأحد:

مضى صدر هذا اليوم في التشاور ما بيننا في الفندق فيما أنجزناه وما ينبغي أن نفعله، وبخاصة أن القوم لم يفوا بوعدهم حتى الآن حول تسليم الأرض التي ذكروا أنهم سيسلمونها للوفد ليقام عليها المركز الثقافي السعودي، ومكتب الرابطة رغم الوعود المتكررة.

وكان من المقرر أن نغادر مانيللا غداً الإثنين، واضطررنا إلى تأجيل سفرنا لهذا السبب:

إلى بويرقو أسول:

وهذه هي الفقرة الترفيهية الوحيدة الموجودة في برنامج الزيارة كله، فقد طلبنا منهم أن يتضمن البرنامج فقرة نخرج فيها خارج مانيللا العاصمة للاطلاع على ريف هذه البلاد، ولنمضي ساعات قبل السفر في رحلة نزهة واستجمام، فوضعوا ذلك ملحقاً بالبرنامج، ولم يكونوا وضعوه قبل ذلك.

مرافقونا في هذه الرحلة التي هي للنزهة هم المرافقون المعتادون لم يتخلف منهم أحد.

على رأسهم وزير شؤون المسلمين (روميللوا سفالدون) وبعض المعاونين له، ومنهم الشيخ عبد الرافع حسن مدير المعهد الإسلامي في جامعة مانيللا، وقد أنست بصحبته وطلبت أن يكون معي في السيارة الأولى التي أركبها دائماً، وذلك لذكائه ومعرفته التامة بالعربية وسعة اطلاعه، ومعنا الأخ (قلمبي توباي) عضو مجلس الشيوخ الذي رافقنا للجنوب يعرف شيئاً من العربية، وكان حارب الرئيس في الثورة، ثم استرضوه فرضي عنهم.

الهدف الذي نقصده متعدد الجهات، ولكننا سنبدأ بالذهاب إلى مصيف لرئيس جمهورية الفليبين فردناندو ماركوس وضيوفه خاصة بل المقربين منهم من أهل الفليبين ومن الأجانب.

ويبعد عن العاصمة مانيلا مسافة سبعين كيلو متراً إلى جهة الجنوب الغربي.

سار الموكب المعتاد وزادوه حافلة صغيرة مكيفة من باب الاحتياط في خارج العاصمة في ريف شبيه بالاستوائي المعتاد مع طريق جيد ذي اتجاهين تركبه في بعض المواقع جسور معترضة.

وأما المزروعات في هذا الريف فإنها قصب السكر وأشجار النارجيل، وفيه بيوت قليلة ذات أسقف من الصفيح اللامع.

وعند انقضاء المنطقة التابعة للمدينة كانت هناك بوابات على هذا الطريق تقف عندها السيارات وتدفع رسماً لقاء استعمال هذا الطريق الذي يسمونه (الهاي وي) على اسم الطرق السريعة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهما لا يستويان. وقدر الرسم خمس بيزات أي: ريالان ونصف.

وتبدو المزروعات بل يبدو الريف كله غير ندي، وذلك أن الموسم ليس موسم المطر، وهي بلاد تعتمد على الأمطار في أكثر المزروعات لأنها تأتيهم في مواسم معينة إلى جانب ما يأتي من الأمطار غير الغزيرة في غير مواسم المطر المعتادة.

ثم تركنا الطريق ذا الاتجاهين إلى آخر أضيق منه ولكنه جيد أيضاً في وسط ريف عامر، أكثر المناظر فيه بيوت رديئة من الخشب يمكن أن تسمى أكواخاً لرداءتها.

وكان المنظر في أغلبه أماكن مستوية غير جبلية إلا أنه بعد ساعة من السير وصلنا إلى تلال خضر مغطاة بالأشجار.

الفندق الخاص:

كان بدء هذه التلال الخضراء إيذاناً بالوصول إلى أول الأهداف في الرحلة وهو مصيف الرئيس ماركوس وأصدقائه المقربين منه، أو ضيوف

الحكومة الفليبينية الذي يزورون هذه المنطقة.

قصدنا فندقاً ضخماً فخماً يشابه فنادق الدرجة الأولى بل يزيد على كثير منها في السعة والتنظيم وكثرة ما أنفق عليه من مال.

وقد أخبرونا أنه ليس للجمهور، فلا يستطيع الشخص الغني فضلاً عن متوسط الحال أن ينزل فيه ويدفع الثمن لأنه ليس فندقاً عاماً.

استقبلنا مدير الفندق وكبار معاونيه لأنهم على علم مسبق بذلك، فدخلنا غرفة خاصة عليها مائدة كبيرة لتناول بعض المشروبات الباردة.

الغداء الجميل:

ثم انتقلنا إلى شرفة من الفندق ليست مكاناً للطعام في الأصل، ولكنهم أعدوها من أجل الوفد، فقد وضعوا فيها مائدة مستطيلة، ثم بدؤوا بتقديم الطعام بطريقة رسمية مملة؛ بحيث إن الخدم إذا وضعوا الطبق الأول عند الرجل الذي يبدؤون به أولاً وهو ما عملوا على أن يقدموه لي، فإنه بموجب المراسم المرعية أن (البروتو كول) أو (الإتيكيت) لا يجوز له أن يتناول منه شيئاً حتى يضعوا ذلك الطبق نفسه أمام جميع الحاضرين فلا يبدأ بالأكل قبلهم.

تشرف هذه الشرفة بل تطل على الشاطئ الرملي الجميل الذي يقع عليه الفندق، فقد بنوه بين الجبل والبحر، يحتضن الجبل وتبقى قدماه في شاطئ البحر حيث يغسلها مع درن نزلاء الفندق من كل صباح ليس بمائه وحده، وإنما برمله الأبيض وهوائه العليل.

وذلك الشاطئ الرملي الجميل الذي يقع عليها الفندق يشبه الهلال أو نصف الدائرة، تتناثر فيه أشجار النارجيل الفارعة القوام التي قد اعتنى القوم بتهذيبها وتشذيبها وتربط فيه قوارب صغيرة للنزهة مباحة للنزلاء أن يستعملوا منها ما يشاؤون من دون أجر.

وتنهض التلال الخضر المحيطة بهذا الشاطئ الجميل لتعانق تلالاً خضراً أخرى وراءها لتكون منطقة جميلة ندية الهواء، ولكن في غير ثقل، لأن البحر ضيق أو لنقل إنه ليس واسعاً من هذه الناحية، فالفليبين أكثر مدنها كما هو معروف ليست واقعة مباشرة على محيط واسع، بل فيها خلجان وأخوار من البحر ورؤوس من الأرض كثيرة.

وعلى إحدى هذه الربى الخضر الجميلة قصر خاص للرئيس ماركوس يستعمله إذا جاء إلى هذه المنطقة؛ إذْ هو أعلى عندهم وعند نفسه من أن يقيم في هذا الفندق الفخم الجميل؛ لأنه لا يليق به أن يقيم في مكان يقيم به غيره من الناس.

وهكذا حياة هذا الرئيس (الديمقراطية) أشبه بحياة الملوك والأباطرة، فهو بذكائه بل دهائه قد استطاع أن يجعلها كذلك من فوق كرسي مؤهل للاهتزاز في كثير من الأحيان، كما تهتز أرض الفليبين نفسها بالزلازل في أحيان كثيرة، ولكنه استطاع أن يصمد على هذا الكرسي بل أن يجعله أقل اهتزازاً أكثر مما استطاعت منازل الفليبين أن تصمد للزلازل، أو أن تجعل الأرض أكثر هدوءاً أو حتى تجعل المنازل أكثر مقاومة للزلازل إذا بنيت بناء قوياً فنياً.

كنا نراقب من شرفة المائدة هذه المناظر الجميلة وطائفة من مترفي القوم نزلاء الفندق من رجال ونساء يسبحون ويلهون ويلعبون، ولكن تلاحقهم العيون، عيون الحراس ورجال الأمن التي هي ضيقة إلا أنها تتسع حينما توجس أية ريبة أو أي شيء يخل بالأمن.

كانت مائدة الغداء أشبه بالمائدة البحرية التي اقتصرت على طعام البحر لولا شيء من الكباب أحضروه معها.

فكان الحساء (شربة) القواقع، وهي لذيذة عندما امتدحناها جاؤوا منها بالمزيد، ثم احضروا نوعاً من الروبيان أي: الجمبري معداً إعداداً جيداً،

ثم نوعاً ممتازاً من السمك الصغير الذي لا شوك فيه وهو غالٍ نفيس عندهم.

ومن الأشياء التي تستحق الذكر أنهم جاءوا بالسلطة من الخضرات باردة، وهي التي قد اعتدنا في بلادنا على أن نأكلها حارة مثل الباميا وشيء من القرع، وقالوا إنهم يقلونها ثم يبردونها ويحضرونها، وقد وضعوا عليها شيئاً من الثلج مبالغة في تبريدها.

ومن الأشياء اللطيفة في المائدة أنهم أحضروا الحلوى، وهي نوع من (الآيسكريم) في داخل نصف ثمرة من ثمار جوز الهند الجيدة ليس له إناء غيره، فأكلنا الحلوى وأكلنا معها ما يكون داخل ثمرة جوز الهند من شحم أبيض خفيف الدسم.

الصلاة فيه لأول مرة:

عندما فرغنا من الغداء والاستراحة كانت الساعة قد بلغت الثالثة، فأردنا أن نصلي الظهر والعصر جمعاً فلم يجدوا لنا أنسب من قاعة في الطابق الأرضي من الفندق وقال بعضنا: إنها ملحقة بحانة خاصة ففرشت الفرش فيها وصلينا، فقال أحد الموظفين الكبار في الفندق: إن الصلاة تقام هنا في هذه القاعة لأول مرة.

وقال أحدنا: أن هذا المكان قد عشش فيه الشيطان، لكونه كما قالوا: كان جزءاً من الحان، فقال منا آخر: ولكن يطرده الأذان، وكان الصوت بالأذان يرن في الآذان بدون استئذان، وتردده جنبات المكان.

جولة في المنطقة المترفة:

ركب معنا مدير الفندق وما يتبعه من المنطقة المترفة، في الحافلة الصغيرة المترفة؛ لأنها مكيفة الهواء وخاصة بهذه المناسبات، وذلك في جولة يشرح فيها من أمور هذا المكان ما لا يدركه العيان، أو ما يدق على الأذهان.

فكان أول ذلك أن جال في منطقة هذا الفندق الجميل وما لم نكن نراه من شطآنه وأركانه، فوجدنا ذلك منسقاً مجملاً من دون إسراف في الإنفاق كبير، إنما هو في منطقة جبلية في حد ذاتها حتى الأشجار أكثرها تركوها طبيعياً كما كان نامياً من قبل.

ثم أرانا منطقة ملاعب رياضية كاملة فيها ميادين وأماكن لكل أنواع الرياضة المعروفة.

وقد نسقوا ذلك كله تنسيقاً حسناً إلا أن غرس الزهور وظهور أنواعها هنا ليس ظهوراً بيناً مع أنه مكان يمكن أن يكون صالحاً لذلك لطيب الجو، وقلة الناس فيه.

وكان مما قاله فيما يتعلق بالفندق: إنه يضم ثلاثمائة وخمسين غرفة، وأنك إذا صعدت التلة التي يقع الفندق في أحضانها فإنك ترى مدينة (مانيللا) إذا كان الجو صافياً رغم بعد المسافة الذي يبلغ سبعين كيلو متراً، وذلك لأنه ليس بينها وبينه أماكن مرتفعة كما أن المنطقة نفسها مرتفعة نسبياً.

ثم وصلت الحافلة إلى بيوت صغيرة على هيئة المنتجعات تبعد عن الفندق، قال الدليل: إن البيت مؤلف من ثلاث غرف أكثرها من الخشب، وأن قيمة البيت الواحد مائة ألف دولار أمريكي، وأن القاعدة المعمول بها أو المفضلة أن يكون ٤٠٪ من هذه البيوت للأجانب و ٦٠٪ للموظفين، وقال شخص آخر غيره يهمس بذلك: إن هناك شرطاً آخر وهو أن يكون مالك البيت من طبقة معينة تنسجم مع الطبقة التي يمثلها سيد القصر ورئيس البلاد، وإن كان قصره يبعد عن تلك البيوت.

إلى مدينة تاقاي باي:

عادت الحافلة إلى الفندق فنزل المدير الدليل، وانطلق الموكب على السيارات الصغيرة المعتادة وقالوا: إن الهدف هو مدينة (تاقاي باي) على بعد

خمسة وأربعين كيلو مترا ، ولكن تبين أن المسافة أكثر من ذلك ، فسرنا في تلال جبلية أكثر أشجارها طبيعية غير مغروسة ، وأكثر حشائشها وأعشابها البرية جافة ، قالوا : لأن هذا الموسم ليس موسم المطر ، ولم يصبها مطر منذ فترة.

ثم انحدر الطريق إلى شاطئ البحر أو لنقل إلى شاطئ من شواطئ البحر الكثيرة الموجودة في كل أنحاء الفليبين.

فمررنا بقرية صغيرة على خليج صغير من البحر ذات بيوت خشبية بعضها مرفوع عن الأرض بدعائم من خشب قوي حتى يبتعد عن تأثير رطوبة الأرض.

وتنتشر فيها أشجار العمبة (المانقو) الكبيرة ، ورأينا في جهات منها جواميس خيل إلي أنها أصغر من الجواميس المعتادة ، وقال الخيال: ربما كان ذلك لكون الناس أصغر أجساماً من الآخرين.

وهناك أشجار غير كثيرة من أشجار الموز التي يفترض أن تكون كثيرة في هذه البلاد الريفية ، التي يؤكد نسبتها إلى الريف وجود فلاحين قد (تكوموا) في عربات الركشا ، وهم من الجنس الأفطس القصير الأصيل المعروف في أهل الفليبين الأصلاء.

ومن الملاحظ أنه رغم الجو الريفي العريق ، فإن ثياب الناس نظيفة وذات ألوان زاهية جميلة خلاف ما يكون عليه الفلاحون الريفيون في البلدان المتخلفة ، كما أن أبدانهم معتدلة فلا تكاد تقع عينك على بدين فضلاً عن سمين ، ولا تكاد ترى الهزيل ، وربما كان السبب في ذلك نوع الأغذية التي يعيشون عليها التي عمادها الأرز الأبيض الساذج الذي لا يضاف إليه شيء من البهارات بل حتى الملح ، واللحم من الأسماك في الغالب ، والزيوت هي الزيوت النباتية ، أما الشحوم الحيوانية فضلاً عن اللحوم الحيوانية السمينة فإنها قليلة في الحياة الفليبينية الأصيلة.

وكذلك لا تكاد ترى منظراً يدل على البؤس أو شدة الفقر، ولا شك في أن الفقر موجود بل كثير، ولكن عادة الناس التنظيف والتجمل، والأغذية الشعبية المعتادة موجودة بوفرة.

ثم مررنا بقرية أخرى وبمنازل متفرقة على الطريق، والموكب يواصل سيره دون تمهل، وخلف تلك المساكن حقول الأرز الأخضر، وبعض حياضه الغارقة في المياه، فهو ليس له موسم واحد كما للقمح في بلادنا مثلاً، ولذلك تجد بعض أحواض الأرز الحصيد قد أوقدوا فيها النيران حتى تتهيأ للزراعة التالية من الأرز أو غيره.

ثم أصبح الطريق يسير في الحقول، ولكنه لا يكاد يبتعد عن شاطئ من شطآن البحر.

ومررنا بمزارع واسعة قالوا: إنها لأغنياء القوم، فيها بيوت متباعدة جيدة المظهر، حمر السقوف، وتبين على هذه المزارع الواسعة العناية وجودة الاستعداد، وصرح بعضهم فقال: إنها لقوم من الإقطاعيين أي أصحاب الإقطاعات يستطيعون استغلال الأراضي الزراعية استغلالاً منتجاً منظماً، ولم تدخل الاشتراكية التي تفسد الاقتصاد في هذه البلاد إلا في شيء من الحد الأعلى لملكية الأرض الزراعية قلل من ملكية الأرض الزراعية للفرد الواحد، لأن الفلاحين الذين يعملون في الأرض ولا يملكون منها شيئاً قد أصبحوا كثرة كاثرة.

وحتى بعد ذلك التحديد كان ما تبقى للفرد الواحد من الأرض كما قالوا كثير كافٍ لو استغله استغلالاً حسناً، ولم يفعلوا كما فعل بعض الخرقى من الحكام الذين جاملوا العوام، فأخذوا الأرض الزراعية من ذوي الإمكان، وأعطوها لمن لا يستطيعون عمارتها، فكانت النتيجة أن أرضوا العواطف، ولكنهم أفقروا البلاد، وعطلوا الأرض عن الإنتاج، فكان عملهم ذلك من العلاج الذي يحتاج إلى علاج.

ويقولون: إن المرة الوحيدة التي حدث فيها تحديد لملكية الأراضي كان في أثناء الحكم العرفي للرئيس ماركوس عام ١٩٧٢م عندما حدد ملكية الأراضي الكبيرة غير المزروعة وبشروط ألا تزيد على عشرة آلاف هكتار.

في محافظة كبيتي:

نحن نسير الآن في محافظة (كبيتي)، وما يزال المنظر منظر الريف المزروع الذي فيه بيوت خشبية أحواشها من العيدان - جمع عود - المصبوغة.

وقد كثرت أشجار الموز، وصرنا نرى أعمدة الكهرباء الضخمة مما يدل على أننا نقترب الآن من مدينة كبيرة.

والطريق لا بأس به إلا أنه غاص بالسيارات وعربات الركشا التي أخذ موكب سياراتنا يضايقها، لأن سيارات الشرطة والمرور التي تتقدمه تشير إليها أن تتمهل حتى لا تسابقه.

كما تكررت رؤية (حافلات) الجيب التي أحالوها إلى سيارات نقل صغيرة، واستعملوها بمثابة الحافلات لنقل عامة الناس.

في مدينة تاقاي باي:

زادت أعداد السيارات في الطريق لأننا أخذنا نقترب من مدينة (تاقاي باي) إحدى العواصم المحلية في هذه المنطقة.

والقصد من زيارة المدينة زيارة (الأكاديمية الفليبينية للتطوير) كما ترجم اسمها لنا الشيخ عبد الرافع الذي كان قد ألقى عدة محاضرات فيها عن الشرق الأوسط.

فمررنا بضواحي المدينة التي تقع على ظهر تلال خضر متسعة إلى جانبيها أماكن منخفضة تتدرج في انخفاضها حتى تصل إلى سطح البحر الذي نراه على البعد وكأنه عميق في بعد سحيق.

وتحف بشاطئ البحر تلال خضر جميلة تبدو متطامنة الرؤوس رغم شموخها بالنسبة إلى موقع المدينة المرتفع.

ومررنا بميدان في وسط المدينة فيه عدة خيول جيدة المظهر إلا أنها غير ضخمة مما أوحى إلينا بأنها صارت كذلك لتلائم أجسام عامة الناس غير الطويلة ولا الضخمة في هذه البلاد.

وقد فهمنا أن هذا الميدان لسباق الخيل، وإن لم نجد من يعرف ذلك من مرافقينا.

الكلية الفليبينية للتنمية:

واسمها الرسمي بالإنكليزية (ديفولبمنت أكاديمي أوف فليبيني) وتقع في مكان جميل جيداً من المدينة التي موقعها موقع جميل في مكان مرتفع عن سطح البحر، وإن كان غير بعيد منه، مما يعطيها هواء خفيفاً قليل الرطوبة بالنسبة إلى ساحل البحر.

ومبنية بناء جميلاً منسقاً لم يقتصروا فيه على حاجات الدراسة، وإنما أضافوا إلى ذلك مسحة من جمال، وأفاضوا عليه من الذوق الرفيع ما جعله مكاناً للدراسة وصالحاً لأن يكون موضعاً للنزهة مقصوداً.

وقد أخبرونا أن من الأغراض الأساسية لهذه الكلية أو المعهد العالي أن يكون مقراً للدراسات التدريبية المختلفة لموظفي الدولة، ومن أهم ذلك التدريب على الدورات المفيدة في الإدارة.

وقد شبهتها بمعهد الإدارة العامة عندنا في الرياض لولا أنها أوسع مساحة وأكثر أقساماً، وأجمل موقعاً.

استقبلنا فيها النائب الأول للرئيس الدكتور ويليام توماس فقام الإخوان يحثونه على السرعة بشرح أهداف الكلية.

وذلك لضيق الوقت بالنسبة إلى بقية البرنامج.

وقد صحبناه للاطلاع على قاعات المحاضرات التي تلقى فيها الدروس والمحاضرات على الدارسين، وهي ذات مدرجات من الخشب جميلة منسقة وفق ذوق جميل.

وحتى لوحات الإعلانات في الكلية نظيفة ومرتبة لا تحس إذا رأيتها إلا أنك في القارة الأوربية، ولست في إحدى الدول النامية.

وهناك قاعة المحاضرات الرئيسية ويسمونها قاعة ماركوس على اسم الرئيس فرناندو ماركوس، وهي جيدة إلا أنها غير واسعة بالنسبة إلى سائر القاعات والأبنية في الكلية.

تعال الجميل:

ترك الموكب هذه الكلية الراقية النظيفة التي لم يبخل عليها بجهد أو مال إلى مكان آخر هو آخر ما في البرنامج الترفيهي الذي انقلبت بعض فقراته إلى فقرات عمل لوزارة الإعلام الفليبينية، وهو مشاهدة بعض المشروعات المهمة في البلاد.

واسم ذلك المكان (تعال الجميل)، أي مقر المكان الجميل المسمى تعال، بمعنى: هلم وأقبل.

وقد أقبلنا مع الموكب إليه حتى قبل أن نعرف ما لديه، وإن كانوا لم يذكروا لنا اسمه ولا رسمه، وإنما ذكروا بركاناً خامداً غير بعيد منه، وشوقونا إلى رؤيته حين قالوا: إنه ينبعث منه الدخان في بعض الأحيان مما يدل على أنه حتى الآن لا يزال بركاناً يتنفس كما يتنفس البركان الهائج، ويدل ذلك على حداثة العهد بفورانه، بل وطغيانه كما قالوا في وصف دخانه.

أوقفنا السيارات عند مقصف جميل في مكان مرتفع قد غرسوا ما حوله بالزهور وأشجار الزينة، وهو بسبب ارتفاعه المباشر عن البحر، ذو هواء

عليل بليل خاصة في هذا الأصيل الجميل الذي أدبر نهاره، وانحنت شمسه على البحر لتقبله قبل أن تغرق بعد قليل في قبلاته.

وقد بنوا في هذا المكان منتزهاً جيداً منه فندق واسع أسموه فندق (تعال الجميل) على اسم المنتزه والموضع، واسمه بلغتهم (فوستا لاج) بمعنى (تعال الجميل).

فوقفنا نشرف من شرفة هذا المنتزه الجميل على خور عميق في قلب البحر، منه تنهض جزائر خضرة مخضلة لأنها ذات قمم مرتفعة مما يجعلها تحبس الأبخرة والرطوبة.

ومن بينها واحدة على شكل القبعة المقلوبة إلا أن في أعلاها فوهة أشاروا إليها وقالوا: إن هذه الجزيرة التي تبدو على شكل القبعة المقلوبة هي البركان، وذلك الجوف في أعلاها هو فوهة البركان، وإنه لا يزال يتنفس في بعض الأحيان.

وكانت جلسة ممتعة بعد ساعات العمل التي ازدحم بها البرنامج منذ وصولنا وبخاصة في الجنوب، وأخذ الرفاق يلتقطون الصور يعاجلون ثمالة من ضوء الشمس قبل أن تطفأ كما تطفأ الذبالة.

ومع أن الشمس لم تغب بعد، فإن نجوماً من علية القوم ومترفيهم قد انتثرت في هذه الشرفات الواسعة، ونسميها شرفات لأنها عالية تطل على تلال أسفل منها إطلالة مباشرة، وهذه تتدرج إلى خليج البحر العميق.

وفي مقصف الفندق الجميل وبين الزهور التي لا يحركها إلا النسيم، والزهور التي كانت تهيم فيهيم معها قلب اليتيم كانت الحلوى أطباقاً منوعة تقدم، وكان الشاي أو القهوة أو ما شئت من شراب آخر بارد يسكب.

وكانت استراحة مباحة تحررت فيها ألسنة القوم من الرسميات حتى من الأعمال التي تتعلق بمهمة الوفد وتهم الجانب الفليبيني أيضاً الذي يمثله

بصفة مباشرة مضيفنا ورئيس بعثة الشرف المرافقة لنا الوزير (روميللو اسفالدون) وزير شؤون المسلمين.

ولذلك عندما أراد الشيخ علي مختار عضو الوفد أن يغتنم فرصة الوقت، ويسأل الوزير بما تم بشأن الأرض التي وعدت حكومة الفليبين أن تسلمها للوفد أجاب الوزير بأننا الآن في نزهة ولسنا في عمل فلنؤجل العمل، وهذا اليوم هو يوم الأحد إلى غد.

العودة إلى مانيللا :

كانت العودة في السادسة والنصف، وقد سقطت الشمس في البحر وبدأت جحافل الظلام تطرد ذيول النور.

وقد أخبرونا أن العاصمة (مانيللا) تبعد ستين كيلو متراً عن هذا المكان، وأننا لا نستطيع قطع ذلك إلا في ساعة كاملة على الأقل نظراً لعدم سعة الطرق وكثرة السيارات في هذا الوقت.

مكالمة نصف الليل :

عقدنا بعد العودة جلسة في الفندق من أجل التباحث في المشكلة المستعصية وهي مسألة تسليم الأرض التي وعدت حكومة الفليبين بتسليمها للوفد ثم تأخر ذلك بحجة أن صاحب الأرض لا يريد بيعها على الحكومة، لأن معنى بيعها أن تستعيد الحكومة منه ثلاثين مليوناً من البيزات التي تطالبه بها على هيئة ضرائب متأخرة لم يسددها، ويساوي ذلك خمسة عشر مليون ريال سعودي.

وقد أجمع رأينا على تأجيل السفر حتى نرى نهاية البحث، وكان هذا أيضاً هو رأي السفير الأستاذ فوزي عبد المجيد الشبكشي سفير المملكة في الفليبين.

ونمنا ونحن نفكر في ذلك.

وبينما كنت مستغرقاً في النوم إذا بالهاتف يرن في أذني وقائل يقول: كلّم معالي الوزير، فكان وزير شؤون المسلمين يقول: لقد تكلمت في الموضوع بعدكم، وسوف تسلم لكم الأرض غداً، وسوف تذهبون إلى قصر الرئاسة في العاشرة من صباح الغد، ويمكن أن تسافروا بعد ذلك، ثم حيا وأغلق السماعة.

يوم الإثنين:

كان أول ما عملته في الصباح الباكر من هذا اليوم أن هتفت بزميلي الشيخ علي محمد مختار والأستاذ محمد عبد الرحمن البسام بأن الموضوع قد انتهى وأن الأزمة ستحل أو هي قد حلت، وذلك حسبما أخبرني وزير شؤون المسلمين في الهاتف بعد منتصف الليلة البارحة، ولذلك سنسافر في موعدنا المؤجل اليوم، وكان الموعد المقرر لسفرنا وإنهاء مهمتنا أمس الأحد.

ففرحنا بذلك جميعاً وتناولنا إفطاراً هنيئاً في هذا الصباح.

ولكن مضت الساعة العاشرة ولم يتصل بنا أحد، ومن العادة التي سارت عليها المراسم في وزارة الخارجية أن نترك الفندق قبل الموعد المقرر بنصف ساعة وبخاصة عندما كان ذلك متعلقاً بزيارة رئيس الجمهورية.

وقد سألنا الموجودين لدينا من موظفي المراسم فأخبرونا أنه ليس عندهم خبر عن مقابلتنا للرئيس، ولا عن أية مقابلة أخرى، أو حتى أي فقرة في البرنامج الذي كان قد انتهى أمس وختم بالسفر في الظهر.

فهتفنا بوزير شؤون المسلمين على مكتبه في الوزارة فلم نجد مجيباً.

فانطلقنا إلى سفارتنا للتشاور مع السفير في هذا الأمر.

المركز السعودي للطباعة والنشر:

وجدنا السفير الأستاذ فوزي شبكشي غائباً في موعد سابق، فانتهزنا الفرصة لزيارة مطبعة عربية إنكليزية كانت المملكة العربية السعودية قد تبرعت بها للمساعدة على طبع الكتب الإسلامية والعربية في هذه البلاد، وقد سلمتها لجمعية إقامة الإسلام في الفليبين التي يتولى رئاستها أو الأمانة العامة لها الشيخ أحمد بشير، وكان ثمنها الذي دفعته المملكة مليوناً وربع المليون من الدولارات الأمريكية.

وتقع هذه المطبعة في مكان قريب من مطار مانيللا الدولي في حي اسمه (بتقالو).

فكان أول ما رأيناه عليها اسمها بالعربية وتحتها الإنكليزية (المركز السعودي للطباعة والنشر)، ثم لوحة نحاسية داخلية توضح بأن هذه المطبعة قد تبرع بها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، ثم جلنا مع أحد الإخوة الموظفين في المطبعة، فوجدنا قاعة الطبع واسعة في بناء جيد، إلا أن العمل فيها كان واقفاً، قال لنا المرافق الذي وجدناه في المكان: إن العمل متوقف لأننا لم نجد ما نطبعه.

وقال: إن ذلك يكون رغم وجود عشرة عمال يتقاضون رواتبهم منها.

ثم أرانا نماذج من المطبوعات التي صدرت فيها، منها كتاب (مبادئ الإسلام)، ورسالة تعليم الصلاة، والمطالعة العربية، وترجمة معاني القرآن باللغة الإنكليزية، ومطبوعات أخرى. قال: إن بعضها طبعته المطبعة لحساب وزارة شؤون المسلمين في الفليبين.

وأخبرونا أن المطبعة تعتبر الآن مملوكة لجمعية إقامة الإسلام التي يقع مركزها في (مندناو) في جنوب الفليبين، ولكنها وضعت هنا لحاجة المسلمين في هذه المنطقة أكثر إلى الكتب الإسلامية، والنشر بالعربية والإنكليزية.

ولأن حركة الطبع في العاصمة أكثر بطبيعة الحال، فيكون من ذلك مورد من موارد الجمعية المالية التي تستعين بها في الإنفاق على مشروعاتها الإسلامية في جنوب الفليبين.

كما رأينا فيها أجهزة جيدة للتصوير والطبع بالأوفست، وكان دليلنا من السُفارة الأخ لطفي علام، وهو فليبيني مسلم موظف في السفارة السعودية.

تحرير التقرير:

عدنا إلى السفارة فوجدنا السفير قد عاد وجلسنا معه جلسة طويلة بعد أن حاول أن يتصل بوزير شؤون المسلمين شخصياً للتفاهم حول الموضوع فلم يجده في مكتبه، واستنتجنا أنه ربما كان موجوداً في القصر لبحث الأمر مع الرئيس أو مع من يأمرهم أن يبحثوه معهم.

فأخذنا في تحرير التقرير بمساعدة السفير لأنه قد اشترك معنا في الاجتماعات التي تمت كلها عدا ما كان منها في الجنوب، ولأنه كان على علم بل كان على سعي مشكور في حضور الوفد ومباحثاته.

ولذلك اقترحت أن يسجل الوفد شكره وامتنانه للسفير على ما وجده لديه من اهتمام بشؤون المسلمين، ومن المساعدة على ما فيه نفعهم بصفة عامة، وعلى الجهود التي بذلها في سبيل إتمام مهمة الوفد خاصة.

وقد انتهينا من مسودة التقرير حوالي الساعة الثالثة كان فيها أفراد الحرس والمباحث والجنود وجميع المرافقين الذين لا نعرفهم ينتظرون مع سياراتهم بدون غداء مثلنا. ثم غادرنا السفارة إلى الفندق عائدين.

خلاصة المهمة :

اتخذنا محضراً مع سفيرنا الحصيف الأستاذ فوزي شبكشي يتضمن ما أجريناه من إجراءات، وما تم وما لم يتم مما أردناه أو أراده منا الفلبنيون، فالسفير كان معنا دائماً، ويعرف ما اتخذناه من خطوات.

وقد رأيت أن أذكر نص هذا المحضر هنا وإن كان محله محل الأوراق الرسمية، إلا أنه يوضح ما يتعلق بالمسألة العامة التي تهم المسلمين في الفليبين، وتهم المسؤولين في بلادنا تبعاً لذلك.

ولكونه يسجل بعض الجهود الرسمية التي قام بها وفد سعودي في هذه البلاد وفقاً لما سبق شرحه فيما مضى من الكتاب:

إنه في يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الثاني ١٤٠٣هـ الموافق ٨ فبراير ١٩٨٣ عقد اجتماع مشترك بين كل من سعادة سفير جلالته في الفليبين/ الأستاذ فوزي عبد المجيد شبكشي والوفد المكون من فضيلة الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام للدعوة الإسلامية وأمين الهيئة العليا ممثلاً للهيئة، وسعادة الأستاذ/ علي مختار الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي لشؤون المجلس الأعلى للمساجد ممثلاً للرابطة، والأستاذ/ محمد عبدالرحمن البسام، مدير الإدارة الاقتصادية في وزارة الخارجية ممثلاً للوزارة.

وكان الوفد قد حضر إلى الفلبين بناء على المحضر الذي وافقت عليه الجهات المختصة في المملكة بهدف البحث مع المسؤولين الفليبينيين في موضوع المساعدة على تطوير المدارس الإسلامية، وإصلاح المناهج التي تدرس لأبناء المسلمون في جنوب الفليبين.

وتدارس المجتمعون نتيجة الاتصالات، والزيارات التي قاموا بها في العاصمة مانيللا حيث اجتمعوا بفخامة الرئيس/ فيرديناند ماركوس، كما اجتمعوا بعدد من الوزراء ورؤساء الهيئات والإدارات والشخصيات الحكومية،

ومن بينهم معالي وزير الشؤون الإسلامية، وكبار موظفي وزارته، وسعادة وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية ممثلاً لمعالي وزير الخارجية الذي كان مريضاً بإحدى المستشفيات، وسعادة السفير المسؤول عن إدارة المراسم بوزارة الخارجية الفليبينية والذي كان مسؤولاً عن متابعة الإجراءات اللازمة لحيازة حكومة الفليبين للأرض التي قرر الرئيس/ ماركوس تقديمها لحكومة جلالته لتقيم عليها رابطة العالم الإسلامي مركزاً إسلامياً، واجتمعوا أيضاً بسعادة وكيل وزارة التعليم والثقافة ممثلاً لمعالي وزير التعليم والثقافة الذي كان خارج الفليبين، مع عدد من المسؤولين في الوزارة والمختصين بشؤون التعليم، واجتمع الوفد كذلك بالمسؤولين في المناطق الجنوبية التي زارها وهي مدن: تاقايان، ومراوي، وزامبوانجا، وكوتا باتو. واستعرض المجتمعون الاجتماعات، والمناقشات التي قام بها الوفد مع بعض المسؤولين عن المدارس العربية والإسلامية، والكتاتيب في تلك المدن، وانطباعاته عن المساجد والمدارس التي زارها هناك.

ونظراً إلى أن فخامة الرئيس/ فيرديناند ماركوس قد أعرب عن رغبته في الحصول على مساعدة المملكة لتنفيذ مواضيع محددة، وهي تدريب معلمي اللغة العربية، والدين الإسلامي في الفليبين، وإنشاء مركز إسلامي في جامعة مندناو العربية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتخريج قضاة ومحامين شرعيين، وفتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي متمتعاً بالحصانات، والامتيازات الدبلوماسية على غرار ما تتمتع به الرابطة في الدول الأخرى، وبناء على ما تقدمت به حكومة الفليبين، ممثلة في وزارة التعليم والثقافة من طلبات محددة ومرفق صورتها، وتتمثل في:

أ- المساعدة على وضع منهج دراسي موحد لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في جميع المدارس العامة والخاصة.

ب- تدريب وتأهيل معلمي اللغة العربية في القطاعين العام والخاص.

جـ -تطوير المدارس، وتدريب وتأهيل إدارتها.

د- إقامة مركز لتدريس الشريعة الإسلامية.

هـ- إقامة مراكز إسلامية في عدد من المناطق.

و- وقد قدرت حكومة الفليبين تكاليف هذه المشاريع بمبلغ (١٣١٦٥٥٠٠٠) دولاراً أمريكياً على النحو المفصل في الطلب المرفق صورته.

وبناء على التوجيهات السامية التي سارت عليها حكومتنا الرشيدة في مساعدة المسلمين والتعاون معهم على البر والتقوى في جميع أنحاء العالم، واقتناعاً من الوفد بأن مساعدة حكومة الفليبين على تنفيذ بعض المشاريع الثقافية التي تعود بالفائدة على المسلمين الفليبينيين، وترفع من مستواهم الثقافي، وبالتالي تعمل على تحسين أوضاعهم الاقتصادية، وتدعم مراكزهم الاجتماعية، كما أن هذه المساعدات ستكون بمثابة العمل الإيجابي لتشجيع ودفع حكومة الفليبين على الإسراع في تنفيذ الحل السلمي لمشكلة الجنوب، والمضي قد ما في مقابلة احتياجات المسلمين الفليبينيين فإن الوفد يوصي بما يلي:

أولاً: الموافقة على طلب حكومة الفليبين بالمساعدة على وضع منهج دراسي موحد في مادتي اللغة العربية، والعلوم الإسلامية، والتي سيجري تدريسها في المدارس العامة والمدارس الخاصة التي ترغب في الانضمام إلى اتحاد المدارس العامة، والمدارس الخاصة العربية الإسلامية الذي تسعى حكومة الفليبين إلى إنشائه، ويقترح الوفد أن تقوم بإنفاذ هذا الطلب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي.

ثانياً: تأييد المساعدة في إنشاء مركز الملك فهد للدراسات العربية والإسلامية، ويقترح المعهد أن تقوم جامعة الإمام محمد بن سعود بوضع الدراسات اللازمة، وتحمل تكاليف احتياجات هذا المركز من ميان

إلى جانب ما تقدمه حكومة الفليبين في هذا الشأن.

ثالثاً: وحيث إن المملكة سبق أن قدمت مساعدات سخية لإنشاء مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية في جامعة ميندناو بمدينة مراوي، وحيث إن هناك وعداً بتدعيم المركز وتمكينه من أداء رسالته، فإن الوفد يوصي بدراسة احتياجات هذا المركز وسبل تدعيمه، وأن يناط هذا الأمر بجامعة أم القرى، بالتشاور والاتفاق مع المختصين في جامعة مندناو والمسؤولين في الحكومة الفليبينية.

رابعاً: تلبية لرغبة رئيس الجمهورية الفليبينية، واقتناعاً من الوفد بالحاجة الماسة إلى تأهيل وتدريب معلمي اللغة العربية، فإن الوفد يوصي بإنشاء معامل لتعليم اللغة العربية، على أحدث الطرق السمعية والبصرية في المركزين المشار إليهما، وأن يزودوا بعدد كاف من المدرسين المؤهلين من قبل الجامعتين السعوديتين - المذكورتين -. كما يوصي الوفد بتخصيص منح دراسية سنوية لعدد من الفليبينيين للتخصص في دراسة اللغة العربية بمعاهد وكليات المملكة.

خامساً: يوصي الوفد بتخصيص عدد من المنح الدراسية السنوية للقضاة المسلمين لدراسة القضاء الشرعي، وخاصة ما يتعلق بالأحوال الشخصية، وأن يناط هذا الأمر بوزارة التعليم العالي، والجامعات السعودية.

سادساً: انطلاقاً من شعور الوفد بأن الكتاتيب، والمدارس العربية، والإسلامية قد ساهمت بدور كبير في تمسك المسلمين بدينهم، والمحافظة على ما تبقى من حضارة وتراث إسلامي، فإن الوفد يوصي بالاستمرار في تدعيم هذه المدارس، لأنها الجهة الوحيدة في الوقت الحاضر التي تعلم أبناء المسلمين أمور دينهم، ويتخرج منها أئمة المساجد، والوعاظ والمدرسون في الكتاتيب الإسلامية، ويؤهل بعض

أبناء المسلمين للالتحاق بالمعاهد التعليمية، ثم الجامعات في البلاد العربية والإسلامية، إلا أنه ينبغي التحري في صرف المساعدات لكل مدرسة على حدة، والتأكد من استحقاق المدرسة التي ستعان لتلك المساعدة، وبأنها تخدم الغرض السامي الذي من أجله قدمت المساعدات وتقدم في المستقبل، وأن تشجع تلك المدارس على تطوير مناهجها بشكل يمكن الملتحقين بها من دراسة منهاج متكامل، ويساويهم ثقافياً وعلمياً بنظرائهم الملتحقين بالمدارس الحكومية.

سابعاً: أشار المسؤولون في وزارتي الشؤون الإسلامية، والتعليم والثقافة إلى حاجة الجامعات، والمعاهد، والكليات، والمدارس، والمساجد، والمكتبات إلى أعداد كثيرة من ترجمة معالي القرآن الكريم باللغة الإنكليزية، وإلى الكتب، والمطبوعات الإسلامية الصادرة باللغة الإنكليزية، والوفد يوصي بأن تقوم الجهات السعودية المختصة والتي يتوفر لديها هذه الكتب، وتلك المطبوعات بتزويد سفارة جلالته في الفليبين بأكبر كمية منها، لتقوم السفارة بتوزيعها على الجهات الفليبينية المحلية، ويقترح الوفد الاستفادة من المطبعة الموجودة في مانيللا، والتي تبرع بها جلالة المغفور له الملك/ خالد بن عبد العزيز رحمه الله، وأن توضع تحت إدارة المركز الإسلامي الذي سيقام في العاصمة مانيللا.

ثامناً: أشار سعادة وكيل وزارة الخارجية إلى أن حكومة الفليبين قد تقدمت في سنة ١٣٩٥هـ بمشروع اتفاقية بين المملكة العربية السعودية، وجمهورية الفليبين، مرفق صورتها، وقدم سعادته صورة من مذكرة وزارة الخارجية السعودية مرفق صورتها، وقد تضمنت موافقة حكومة جلالته على بحث كافة المواضيع التي تقدمت بها حكومة الفليبين، وطلبت الوزارة مقارنتها بما لدى سفارة الفليبين بجدة، من تقارير ومقترحات لتجري دراستها من قبل المسؤولين السعوديين، وأوضح

سعادة وكيل وزارة الخارجية الفليبينية إلى أن عقد اتفاقية ثقافية بين البلدين سيمكننا من وضع إطار صحيح للتعاون الثقافي، وسيساعد على تحقيق النشاط الإسلامي والثقافي الذي تتطلع الفليبين إلى المملكة في أدائه والقيام به، والوفد يوصي بدراسة الاتفاقية الثقافية المقترحة، والتقدم بمشروع اتفاقية ثقافية تتضمن تحقيق أهداف المملكة في نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتحفظ للمسلمين دينهم وتراثهم الإسلامي.

تاسعاً: يأسف الوفد لعدم تمكن حكومة الفليبين من تنفيذ وعدها بتسليم الأرض التي التزم فخامة الرئيس/ فيردناند ماركوس بتقديمها للمملكة لتقيم عليها رابطة العالم الإسلامي مركزاً إسلامياً، على الرغم من تأكيد فخامة رئيس الجمهورية للوفد عندما اجتمع به مرتين بالتزامه، وقد فهم الوفد أن التأخير في تسلم الأرض يرجع إلى عدم الانتهاء من المفاوضات التي تجري بين حكومة الفليبين ومالكي الأرض، وأشار فخامة الرئيس إلى أنه سيشعر سفارة جلالته عند انتهاء الإجراءات القانونية لحيازة حكومة الفليبين الأرض، ثم تقديمها للرابطة، وبعد أن أطلع سعادة سفير جلالته في الفليبين الوفد على الأرض المختارة، وتبين له أنها تقع في قلب أفضل المناطق التجارية الرئيسية، وحيث تقع سفارات الدول المعتمدة لدى حكومة الفليبين، وتحتل مكان الصدارة على شوارع رئيسية، فإن الوفد يقترح أن تتسلم سفارة جلالته في الفليبين الأرض نيابة عن رابطة العالم الإسلامي.

ويقوم الوفد عندئذٍ بإعداد التصاميم اللازمة لإقامة مجمع إسلامي بشكل يتفق ومكانة المملكة ومركزها على الصعيدين الإسلامي، والدولي، ويحقق الرسالة السامية المتوخاة من هذا المركز الإسلامي الثقافي السعودي، وأن يكون بإذن الله صرحاً إعلامياً مناسباً، وشاهداً ثابتاً ومستمراً على جهود المملكة الخيرة في الحقلين الثقافي

والإسلامي، وانعكاس ذلك في صورة مردودات إعلامية وثقافية وسياسية على المملكة ويقترح الوفد ما يلي:

(١)- أن يتكون المركز الإسلامي من مسجد كبير، ومبنى متعدد الأدوار، يشتمل على مكاتب لرابطة العالم الإسلامي، ومكاتب للجهات السعودية المختصة التي ستقوم بنشاط ثقافي وإعلامي في الفليبين، وعلى مكتبة إسلامية زاخرة، وقاعة المحاضرات، وعرض الأفلام الثقافية، وفصول لتعليم اللغة العربية، مزودة بأحدث الوسائل السمعية والبصرية، ومعاهد لتدريب وتأهيل المدرسين لتدريس اللغة العربية، والعلوم الإسلامية، والأئمة، والوعاظ، وتدريب وتأهيل القضاة والمحامين الشرعيين.

(٢)- يقترح الوفد أن تقوم رابطة العالم الإسلامي بتأجير عدد من أدوار المبنى لضمان استمرارية الحصول على عائدات نقدية تصرف منها على صيانة وإدارة المجمع الإسلامي، وقد أثير هذا الموضوع بالفعل مع فخامة الرئيس/ فبرديناند ماركوس عند اجتماعه بالوفد، وقد وافق على هذا الاقتراح من حيث المبدأ.

(٣)- ويوصي الوفد أن تقوم رابطة العالم الإسلامي بإعداد مشروع اتفاقية تبرمها مع حكومة الفليبين، وتتمكن بموجبها من فتح مكاتب لها، والتمتع بالحصانات والامتيازات الدبلوماسية، ومباشرة أعمالها، وتحقيق أهدافها المشار إليها، مسترشدة باتفاقياتها مع الدول الأخرى.

عاشراً: يجري إنفاذ كل ما ذكر في البنود السابقة بإشراف سفارة جلالته في الفليبين، وبهذه المناسبة فإن الوفد يقدر ما وجده من اهتمام وعناية من سعادة الأخ السفير/ فوزي شبكشي بشؤون المسلمين، وبالروابط الثقافية التي تربط المسلمين في الفليبين بالمملكة العربية السعودية،

ويعرب عن امتنانه لما قام به سعادته حول تسهيل مهمة الوفد بصفة خاصة. ونسأل الله التوفيق للجميع.

والوفد إذ يضع هذه التوصيات، يسأل الله العلي القدير أن يجزي حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وحكومة جلالته خير الجزاء على تعضيدها القوي للإخوة المسلمين ومساعدتهم أينما كانوا في أنحاء العالم، إنه سميع مجيب.

لم يكن حلماً:

ليس من المألوف أن يوقظ وزير في الحكومة مسؤول رئيس وفد أجنبي زائر بعد منتصف الليل ويكلمه بشيء يتعلق بالمهمة الرسمية التي جاء من أجلها الوفد، ويقول: إن الوفد سيقابل رئيس البلاد غداً في العاشرة ثم لا يسمع الوفد بعد ذلك أي شيء عن تلك المكالمة ولا عن مقابلة الرئيس لا بطريق النفي ولا الإثبات، ولا حتى بطريق الاعتذار؛ مما جعلني أقول لأصحابي الذين هم السفير وأعضاء الوفد على سبيل المداعبة: إنه ربما كان ما قلته لهم عما سمعته من الوزير حلماً من الأحلام التي يراها المرء في المنام، عن شيء لديه به اهتمام، ولا سيما أنني كنت نائماً بل مستغرقاً في النوم قبل المكالمة.

ولكن مجاملتهم لزميلهم منعتهم من أن يقولوا: إن ذلك ربما كان حلماً، وأنني ربما كنت متوهماً، فاكتفوا بالسكوت.

إلى أن اتصل بنا موظف من موظفي المراسم المقيمين معنا في الفندق وقال: إنكم ستقابلون رئيس الجمهورية غداً في الساعة العاشرة.

ثم اتصل وزير شؤون المسلمين وأخبرنا بموعد المقابلة وقال: إن ذلك سيكون لمقابلته للتوقيع على تسلم الأرض، وأضاف: إنه أسف لكونه أيقظني من نومي في الليلة الماضية وأخبرني بموعد مقابلة للرئيس، والتوقيع على تسلم الأرض، ولم يتم شيءٌ من ذلك بسبب امتناع صاحب الأرض عن بيعها للحكومة بالثمن الذي عرضت شراءها به.

وقال عندئذٍ أحد إخواني ممازحاً: إنه ليس حلماً.

يوم الثلاثاء:

أجمع رأينا على أن نعرف ماذا سيكون التوقيع عليه قبل الذهاب لقصر الرئاسة؛ لأنه ليس من المقبول أن نوقع على أوراق يقدمونها أمام رئيس البلاد، ومن العادة المسلم بها أن يكون التوقيع على نصوص قد عرفت بل درست وأعدت من قبل وتم الاتفاق عليها بين الطرفين، وهذا ما لم يحدث بالنسبة إلينا.

فكلمنا وزير الشؤون الإسلامية وأبلغناه ذلك فقال: ليس المراد التوقيع، وإنما المراد أن يراكم الرئيس ماركوس ثانية قبل السفر.

مقابلة الرئيس الثانية:



أثناء المحادثات مع رئيس جمهورية الفلبين في مكتبه

على يمينه (الجانب السعودي): المؤلف، فالسفير فوزي شبكشي، فالسيد علي مختار، فالأستاذ محمد بن عبد الرحمن البسام، وعلى يساره الجانب الفلبيني

ذهبنا إلى قصر الرئاسة في الساعة العاشرة والنصف بصحبة السفير السعودي ووزير شؤون المسلمين، فانتظرنا مع غيرنا نحو الساعة في قاعة الانتظار الواسعة، ثم جاء الآذن، فلما دخلنا غرفة مكتبه ترك المكتب كالعادة وأقبل إلينا عند باب الغرفة وبعد المصافحة والجلوس.

قال: أرجو المعذرة عن تأخير المقابلة، فأنا كنت في جهة أخرى من البلاد.

ثم قال: أرجو أن تكون هذه الزيارة مقدمة لزيارة أخرى واتصالات في المستقبل فيما يتعلق بالتعاون الثقافي بين بلدينا.

فشكرناه على هذه المقابلة الثانية.

ثم قال بعد فترة صمت قصيرة: أما بخصوص الأرض التي كنا وعدناكم بأن نسلمها لكم لتكون مقراً للنشاط الثقافي السعودي ومكتب رابطة العالم الإسلامي، فإنه لا يزال فيها صعوبات ومشكلات مع مالك الأرض، وستستمر الاتصالات بشأنها مع سعادة صديقنا السفير، يريد السفير السعودي (فوزي الشبكشي).

زيارة فاشلة:

وهكذا ودعناه ونحن نشعر بأنها زيارة فاشلة لم نحصل فيها من الحكومة الفليبينية حتى على الشيء الذي سبق أن وعدت به، وجاء الوفد بناء على الوعد بذلك، وهو تسليم الأرض التي سيبني عليها مركز النشاط الثقافي السعودي التي كنا نعتبرها إذا تمت بمثابة الإذن بممارسة هذا النشاط الثقافي الإسلامي، وذلك في نطاق الأعراف السياسية وما تسمح به حكومة الفليبين في هذا المجال بطبيعة الحال.

وهكذا أسرعنا بحزم الأمتعة وإعداد الحقائب للسفر الذي حدد موعده في الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر حسب الحجز الذي أخبرتنا

إدارة المراسم أنها قد أعدته من قبل.

وكان زميلاي سيسافران عائدين إلى المملكة، أما أنا فإنني سأسافر إلى سنغافورة حيث سأستأنف السفر بعد ذلك منها إلى إندونيسيا وأستراليا وجزر جنوب المحيط الهادئ في رحلة عمل طويلة سيكون رفيقي فيها صديقي الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود مدير إدارة الدعوة في الخارج في رئاسة الإفتاء والدعوة في المملكة، وقد تواعدنا على الاجتماع في سنغافورة غداً الأربعاء حيث كنا قد حجزنا خط السير من سنغافورة إلى مدينة دارون في شمال أستراليا.



في مكتب رئيس جمهورية الفلبين الرئيس فرديناند ماركوس

على يمين مكتبه: المؤلف، فالسفير السعودي الأستاذ فوزي شبكشي، فالسيد علي مختار، فالأستاذ محمد البسام. وعلى يساره مسؤولون من كبار الفلبنين

والحديث عن الرحلة التي ستأتي محله كتاب ((رحلات في القارة

الأسترالية)) وكتب أخرى.

مغادرة الفليبين:

في الساعة الثالثة إلا ربعاً كان ضباط الحرس ورجال المباحث المرافقون وموظفو المراسم يودعون الوفد في المطار.

وكانت مغادرتي على طائرة الخطوط الفليبينية من مانيللا إلى سنغافورة.

أشق زيارة:

وكنت أقوِّم في نفسي هذه الزيارة الرسمية الفليبينية وأنا أتنفس الصعداء عندما فارقت الطائرة أرض مطار مانيللا، وشعرت بما يشعر به الطليق من حبس وثيق.

فالواقع أن ما كنا فيه خلال الزيارة كان بالحبس أشبه منه بالتكريم؛ لأنه لم يكن يسمح لنا بأن نذهب إلى أي مكان حتى إلى الحمام خارج الغرفة إلا بوجود مرافقين، وكان رئيس الحراس معه الهاتف اللاسلكي بيده يلاحقني أينما ذهبت من ليل أو نهار، ويقول: إن هذه هي أوامر الرئيس من أجل المحافظة عليكم.

حتى إن الواحد منا إذا ذهب إلى غرفة زميله في الوفد بادره أحد الحراس الموجودين خارج الغرفة بصفة مستمرة فدخل معه الغرفة حتى إذا اطمأن إلى أن الغرفة ليس فيها أجنبي خرج منها.

وقد شغلوا عدة غرف في الفندق من الغرف المجاورة لنا، فلدي مثلاً قوم منهم في الغرفة الملاصقة لغرفتي، كما أن الغرفة المقابلة لها فيها رئيسهم ومقر قيادتهم، وزميلاي في جانب غرفة كل واحد منهما غرفة لهؤلاء الحراس.

وأذكر أننا ما ذهبنا إلى السفارة السعودية مرتين كانوا في كلتا الحالتين يدخلون إلى مكتب السفير لا يتوقفون عن ذلك حتى يطمأنوا على أن الغرفة ليس فيها أحد غيرنا، ثم يرابطون على باب الغرفة من الخارج.

وقد قال لي رئيسهم مرة عندما قلت له: إني ربما احتاج إلى أن أذهب للسوق لأشتري شيئاً من الهدايا: إنه لا مانع في ذلك سوف نذهب معك، فقلت له مجاملة: إنني لا أريد أن أشق عليك بذلك، فقال: لا، لقد أمرني الرئيس ألا أفارقك.

وهذه الاحتياطات أو التشديدات مضافة إلى تشديدات واحتياطات موجودة عند باب الفندق، وذلك أن بابيه قد جعلوهما مثلما يجعل باب خروج المغادرين إلى الطائرة، على كل باب منهما فرقة من الجنود والمدنيين ومعهم آلات التفتيش الكهربائية، فما يدخل الفندق أحد إلا بعد أن يفتش جسمه بالآلة الكهربائية وما تحمله يده حتى لو كان كيساً فيه فاكهة تفتيشاً يدوياً دقيقاً وهذا على مدار الساعة.

إلا ما كان من شأن الضيوف أمثالنا، فإن الحراس وضباط المباحث يتقدموننا فنسلم من التفتيش، وهذا أمر عجيب ربما كان مرده إلى أن هذا الفندق ينزل فيه في العادة الضيوف المقربون من الحكومة أو الذين تحرص الحكومة على سلامتهم لأغراضها السياسية.

وبالإضافة إلى هذا الحبس (التكريمي) فإنني كنت أعاني من تأنيب الضمير الذي خيِّل إلي أن ما نقوم به من زيارة رسمية استغلتها حكومة الفليبين، إنما هو في الواقع ضرر ألحقناه بالمسلمين، أو على الأقل يكون ضرراً ألحقناه بقضيتهم في بلادنا وعند بني قومنا، أو أقل الاحتمالات هو الضرر الذي ألحقناه ببعض الإخوة الفلبينيين عن طريق جعل بعضهم يحسنون الظن بالحكومة فيقرون بما قالته عنا، وبما فعلناه هنا، فتكون النتيجة فرقة بينهم وبين إخوانهم من المجاهدين ومناصريهم.

والله أعلم بما تكنه المقادير. إنه مولانا ونعم النصير.

قضية المسلمين
في جنوب الفلبين



قضية المسلمين في الفلبين قضية معروفة للمهتمين بأمر المسلمين من السياسيين والعاملين في ميدان الدعوة الإسلامية ولدى الجهات والهيئات المسلمة التي لها علاقات بالمسلمين في العالم.

وقد عايشناها نحن وتابعناها حتى اجتمع لدينا من الكتب والتقارير عنها ما لو جمعنا ما فيه وأفرغناه في هذا الكتاب لصار حجمه مثل حجمه، أو زاد على ذلك، وكان من أصعب ما مر علينا في هذا المجال ذلك الخلاف الشديد الذي حدث بين قائدين من قواد المسلمين هناك، هما (نور مسواري)، و(سلامات هاشم)، وقد اشتد بينهما الخلاف بعد أن كانا يعملان معاً إلى درجة أن كلاً منهما استقل بمنظمة وحده، فنور مسواري صار رئيس (الجبهة الوطنية لتحرير مورو)، وسلامات هاشم أصبح رئيس (جبهة تحرير مورو الإسلامية).

وكانت رابطة العالم الإسلامي قد جمعت تبرعات للإخوة المسلمين المجاهدين في جنوب الفلبين، ولكن الانشقاق الذي حصل بين قادتها جعلتها توقف إرسالها إليهم، لأنها لا ترى أن تعطي فريقاً، وتحرم فريقاً آخر إضافة إلى كونها تأمل أن يحفز ذلك الفريقين على الصلح والعودة إلى العمل معاً للجهاد في سبيل الله ولكنهما لم يفعلا، وبقيت تلك المساعدات في الرابطة تنتظر كيفية صرفها.

وقد أردت أن لا أخلي هذا الكتاب من إلمامة؛ بل إيماءة سريعة حول هذه القضية، ليكون لدى القارئ شيء من الاطلاع عليها.

قضية المسلمين في جنوب الفليبين :

أثبتت الدراسات التاريخية أن الدولة التي تسمى في الوقت الحاضر بالفليبين كانت يحكمها المسلمون عدة قرون قبل مجيء الإسبان في منتصف القرن (١٦) الميلادي، فقد كانت ثمة إمارات أو ممالك إسلامية وصلت مناطق حكمها ونفوذها إلى العاصمة الفليبينية الحالية (مانيللا).

لقي الصليبيون الإسبان مقاومة شديدة من قبل المسلمين امتدت إلى قرون استولوا في بدايتها على جزر لوزدن وفيسايس (الجزر الشمالية والوسطى الفليبينية)، وسموها (الفلبنين) نسبة إلى الأمير فيليب الذي أصبح ملكاً لإسبانيا، وأجبروا سكان تلك الجزر على اعتناق النصرانية بكل الوسائل.

أراد الإسبان المستعمرون توسعة سيطرتهم ونفوذهم إلى بلاد المورو الواقعة جنوب البلاد: (جزر مندناو، وصولو، وبلاوان)، فشنوا هجماتهم الوحشية، فأعلن المسلمون الجهاد ضدهم، ونشبت الحرب فيما بينهم نحو ثلاثة قرون، وعرفت هذه الحرب في التاريخ بحروب المورو.

وبناء على اتفاقية باريس المبرمة بين إسبانيا وأمريكا عام ١٨٩٨م حيث تنازلت إسبانيا بموجبها لأمريكا عن حكم الفليبين، وحل الأمريكيون محل الإسبان.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية تعرضت الفلبين للهجمات اليابانية التي نتجت عن سقوطها تحت الحكم الياباني فترة قبل استعادة الأمريكيين والحلفاء سيطرتهم عليها، ومن ثم إعلان استقلال الفليبين عام ١٩٤٦م شاملة مناطق المورو، رغم معارضة المسلمين الشديدة.

كانت مقاليد الحكم بعد الاستقلال في أيدي النصارى والذين يناصبون المسلمين العداء، فقاموا بعمليات اغتصاب لأراضي المسلمين بإنشاء مستوطنات نصرانية في بلادهم، وبتهجير أعداد كبيرة من النصارى

المتعصبين إليها، ودبرت مخططات ومؤامرات للاستيلاء على ثروات البلاد واحتكارها، وحرمان المسلمين منها، وبلغت هذه المخططات ذروتها بتكوين منظمة إرهابية سموها (إيلاجا) قامت منذ عام ١٩٧٠م بشن هجماتها الوحشية على المسلمين الأبرياء فأحرقت بيوتهم ومساجدهم ومدارسهم ونهبت أموالهم بدعم كامل من قبل الحكومة وبعض العناصر المنتمية إلى الحركة الصهيونية العالمية.

وبعد تفشي هذا الظلم والاستبداد لم يجد المسلمون خياراً آخر سوى إعلان الجهاد وحمل السلاح، فكونوا منظمة تحريرية باسم (جبهة تحرير مورو الوطنية) وذلك عام ١٩٧٢م. استطاعت هذه الجبهة تجنيد المسلمين لمقاومة الجيش الحكومي الغازي، فاستطاعوا عرقلة تقدمه، وأصبح لهم شبه سيطرة على معظم محافظات منداناو وباسيلان وجنوب البالوان وبخاصة المناطق الريفية منها.

أمام صمود المجاهدين ونتيجة لمساعي الدول الإسلامية وضغطها على الحكومة الفليبينية بواسطة منظمة المؤتمر الإسلامي أو منفردة تم توقيع اتفاقية طرابلس عام ١٩٧٦م بين ممثلي الحكومة الفليبينية (في عهد فرديناند ماركوس) وممثلي جبهة تحرير مورو الوطنية (بقيادة نور مسواري ومشاركة سلامات هاشم عندما كانا متحدين في جبهة واحدة) تحت إشراف الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي واللجنة الرباعية المنبثقة عنها والمكونة من المملكة العربية السعودية وليبيا والسنغال وماليزيا.

وبموجب هذه الاتفاقية فإن الحكومة الفليبينية ستمنح (١٣) محافظة بجنوب الفليبين الحكم الذاتي وتدبير شؤونها الداخلية بما فيها إقامة المحاكم الشرعية، ولكن الحكومة الفليبينية قامت ببعض الإجراءات التحايلية من أجل التخلص من هذه الاتفاقية وتنفيذ ما يحقق مصلحتها فقط، وذلك على رغم المطالب المتكررة التي أصدرتها مؤتمرات وزراء الخارجية

الإسلامية آخرها المؤتمر الذي عقد في عمان في شهر شعبان ١٤٠٨هـ.

وفعلاً فإن القضية مازالت معلقة، وتدل الدلائل كلها على أن الحكومة تنتهج نهجاً في تمييع القضية وتعليقها وتجنب المصادمات المباشرة مع قوات المجاهدين، وزرع بذور الشقاق فيما بين قياداتهم كسباً للوقت للتفرغ لمواجهة مشكلات حكومتها الداخلية والثورة المسلحة الشيوعية التي أخذت تتسع لتشمل بعض المناطق الإسلامية.

الاختلافات بين قيادات المجاهدين المسلمين :

كان المجاهدون المسلمون منضمين في جبهة واحدة منذ تأسيسها عام ١٩٧٢م حتى عام ١٩٧٩م حيث عقد الاجتماع الثاني للجنة المركزية للجبهة في طرابلس، وتجلي خلاله مدى عمق الخلافات بين بعض أعضائها ورئيس الجبهة نورمسواري، والتي تدور حول أمور منها :

(١)- اتهام نور مسواري بالانفراد في تحديد سياسة الجبهة.

(٢)- عدم مراعاة العدل في توزيع المساعدات.

(٣)- الخلافات القبلية بين نور مسوارى وسلامات هاشم.

(٤)- اتهام نور مسوارى وجماعته بالخروج عن الخط الجهادي الإسلامي والتأثر بالنهج الاشتراكي والعلماني.

(٥)- الصراع على المناصب في الجبهة وفي الحكم الذاتي المرتقب.

(٦)- تحديد الموقف تجاه المستسلمين للحكومة الفليبينية من المجاهدين.

ومن أهم تنظيمات المجاهدين:

(١)- جبهة تحرير مورو الوطنية :

وهي الجبهة التي يرأسها نور مسوارى ووقعت على اتفاقية طرابلس

عندما كانت موحدة، وهي التي تحظى باعتراف الدول الإسلامية وبالعضوية في منظمة المؤتمر الإسلامي كمراقب، وقد أعلنت عقب فشل مفاوضاتها مع ممثلي الحكومة الفليبينية الحالية تحت إشراف الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي أنها تطالب بالاستقلال التام بدلاً عن الحكم الذاتي، وأنها تطالب بالعضوية الكاملة في منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكن هذين المطلبين لم توافق عليهما المنظمة، ونفوذ هذه الجبهة يتركز في سولو وبالاوان وباسيلان وزامبانجا وبعض أجزاء من كوتا باتو.

اتفق نور مسوارى مع الحكومة الفلبينية على إجراء المفاوضات التي بدأت في جدة ثم استمرت في مانيللا ثم زاميونجا، ولكن المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود في الوقت الذي استمرت الحكومة في تنفيذ خططها للتصديق على الدستور، واتخاذ الإجراءات اللازمة للتطبيق فيما يتعلق بمناطق المسلمين.

(٢)- جبهة تحرير مورو الإسلامية

ويرأسها الشيخ سلامات هاشم الذي كان مسؤول العلاقات العامة ثم نائباً لرئيس جبهة تحرير مورو الوطنية، وهذه الجبهة تحظى بدعم من العلماء والدعاة، ولها نهج إسلامي واضح ومخيمات ومعسكرات ومدارس وحلقات دراسية تبذل لتطبيق الشريعة الإسلامية فيها ومواصلة الدعوة الإسلامية بين المسلمين وغيرهم، وهذه الجبهة لم تشترك في أي نشاط أو مؤتمر تنظمه منظمة المؤتمر الإسلامي، والمفاوضات التي عقدت تحت إشرافها، وإنما ثمة اتصالات مع بعض رجالات الحكومة العسكرية والمدنية، وحضر بعضهم الاجتماع الكبير الذي نظمته في أحد معسكراتها، كما عقد اجتماع بمقر مكتب الرابطة بجدة بين رئيسها الشيخ سلامات هاشم ووكيل وزارة الخارجية السعودية بحضور السفير الفليبيني، ولكن دون أية نتيجة، وقد رجع الشيخ سلامات هاشم إلى الفليبين مؤخراً بعد غيبة دامت عدة سنوات

خارج البلاد.

(٣)- جبهة تحرير مورو الوطنية الإصلاحية :

هذه الجبهة يرأسها ديماس بنداتو بعد الخلافات التي حصلت بينه وبين نور مسوارى، وقد أعلن قيامها في ولاية صباح الماليزية ١٩٨٠م حيث يتواجد مئات الألوف من اللاجئين الفلبينيين هناك، ولكن لم يستمر ديماس على خط الجهاد، فقد استسلم للحكومة واستسلم الكثير من اتباعه، وانضم بعضهم إلى جبهة نورمسوارى، وقد عين مؤخراً مسؤولاً / وكيل وزارة لشؤون المسلمين، ويبدو أن نفوذه بين أوساط المجاهدين قد تقلص إلا من قرروا ترك الجهاد والعودة إلى الحياة السلمية.

(٤)- منظمة تحرير بنجسامورو :

هذه المنظمة كانت يتزعمها السلطان هارون رشيد والجنرال المتقاعد سليبادا بنداتون (رحمهما الله)، وكان نفوذها محدوداً وبخاصة بعد وفاتهما، وتسلم الشباب قيادتها، وقد انبثق عنها قيام منظمة تحرير منسوفالا منداناو وصولو وفالان والتي يرأسها الدكتور يوسف لقمان الذي عاد إلى الفليبين مؤخراً وهو في حالة مرضية شديدة وتحت العلاج.

وقد بذلت رابطة العالم الإسلامي من خلال مجلسها التأسيسي وأمانتها العامة واللجنة المشتركة مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي جهوداً كبيرة، بل مضنية للتوفيق بين مختلف جبهات تحرير مورو، ولكن هذه المساعي لم تحظ بالتوفيق والنجاح بعد.

ويمكن تلخيص الأوضاع السائدة في الفليبين والمشكلات التي يعاني منها المسلمون فيها كالآتي:

أولاً : الوضع السياسي :

(١) تم التصديق على دستور البلاد من قبل مجلس الشيوخ الفليبيني الذي استولى على ٩٥٪ من عضويته النصارى، وقد ورد في بعض فقرات الدستور منح الحكم المحلي للمسلمين في المناطق التي يمثلون فيها الأغلبية، وذلك عن طريق الاستفتاء، وقد عارضت جبتها تحرير مورو الوطنية والإسلامية هذا الدستور، واتخذت منظمة المؤتمر الإسلامي الموقف نفسه مطالبة بالتطبيق الكامل لاتفاقية طرابلس (قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في عمان/ الأردن).

(٢) المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود، والضغوط الإسلامية على الحكومة الفليبينية قلت عما سبق، والسياسيون المسلمون في داخل السلطة الحاكمة التنفيذية والتشريعية والقضائية منها لم يبرهنوا إلى الآن على مدى فعاليتهم في الدفاع عن قضية المسلمين بالفليبين على الشكل المطلوب، إضافة إلى أن عددهم قليل جداً أمام الأغلبية النصرانية.

(٣) سياسة الحكومة الحالية لا تختلف كثيراً عن سياسة سابقتها، بل تتسم بالضعف والتردد والخضوع تحت نفوذ كبار العساكر ذوي المصالح الشخصية في مناطق المسلمين، وكذلك القساوسة الكاثوليك برئاسة الكاردينال س الذي لعب دوراً بارزاً في إسقاط ماركوس وتسيير دفة الحكم بشكل مباشر أو غير مباشر.

ثانياً : الوضع العسكري :

(١) خلال الاجتماعات التظاهرية التي عقدها نور مسواري مع أنصار جبهته في مختلف المحافظات تحت حماية القوات الحكومية عقب عودتها إلى البلاد لا يمكن تحديد مدى ما يتمتع به من تأييد شعبي وما يملكه من قوات وحملة السلاح واحتياطات مدربة، لأن الذين حضروا هذه

الاجتماعات خليط بين أنصاره الحقيقيين، والذين استسلموا للحكومة، وأنصار جماعات أخرى من باب التضامن، وأناس مغلوبين على أمرهم، يهمهم إظهار سرورهم ببشائر الفرجة لمصائبهم، ومع ذلك فإن لجبهة تحرير مورو الوطنية قوات مسلحة في مناطق نفوذها، وأنصاراً على استعداد لحمل السلاح عند الحاجة.

(٢) أما جبهة تحرير مورو الإسلامية فلديها مخيمات وتتحدث نشراتها عن وجود تدريبات عسكرية مكثفة ومحاولة لصناعة الأسلحة الخفيفة، وقد وقعت بعض معارك مع القوات الحكومية في مختلف المناطق.

(٣) أما بقية الجبهات فلا معلومات دقيقة معروفة عنها في المجال العسكري سيما بعد انضمام زعيم الجبهة الإصلاحية إلى الحكومة وعودة الدكتور يوسف لقمان إلى الفليبين ومرضه الشديد.

(٤) المجاهدون بصفة عامة في حاجة ماسة إلى الدعم المادي والمعنوي للمحافظة على مستوى استعداداتهم العسكرية، لأنهم في حالة معيشية صعبة جداً نتيجة توقف وقلة الإمدادات المرسلة لهم.

(٥) أما من ناحية الحكومة الفليبينية فإنها مستمرة في إرسال المزيد من قواتها إلى الجنوب سيما بعد هدوء الأحوال في المناطق الخاضعة للنفوذ الشيوعي نوعاً ما، كما أن ميزانية القوات المسلحة رغم تدهور اقتصاد البلاد وتراكم ديونها مازالت هذه الميزانية تمثل جزءاً كبيراً من ميزانية الدولة، علاوة على الدعم المستمر الذي لقيته من القوات الأمريكية المتواجدة هناك.

(٦) منظمة (إيلاجا) الصليبية الإرهابية المتعطشة للدماء مازالت تواصل نشاطها ضد المسلمين وقتل قياداتهم بشكل سرى لكنه وحشي.

ثالثاً : الوضع الاقتصادي :

(١) شهدت البلاد أزمة اقتصادية لا مثيل لها ، وتراكمت ديونها الأمر الذي ينعكس سلبياً في المستوى المتدني من المعيشة وتفشي البطالة وما نتج عن ذلك كله من انتشار الجرائم عامة والاغتيالات والسرقات بصفة خاصة ، والاقتصاد بأيدي بعض الصينيين واليابانيين والأمريكيين والإقطاعيين من الفليبين ، في الوقت الذي تعاني أغلبية الشعب الفقر المدقع.

(٢) المناطق الإسلامية زاخرة بالثروات الطبيعية العظيمة ، ولكن سكانها يعيشون في حالة يرثى لها ، وهذه المناطق كانت مهملة طيلة حكم ماركوس وما قبله ، في الوقت الذي شهدت العاصمة وسيبودي من مدن المنطقتين الشمالية والوسطى من الفليبين نهضة عمرانية مشهودة قبل إعلان الحكم العرفي بالذات.

هذا الوضع الاقتصادي بجانب الحرب الضروس الناشبة بين القوات الحكومية وقوات المجاهدين والهجمات الشرسة ضد القرى الإسلامية قد دفع مئات الألوف منهم إلى الهجرة إلى ولاية صباح الماليزية ، وإلى المنطقتين الوسطى والشمالية ، والعيش في مناطقهم الجديدة كلاجئين أو مزارعين أو تجار يزاولون بعض التجارات الصغيرة.

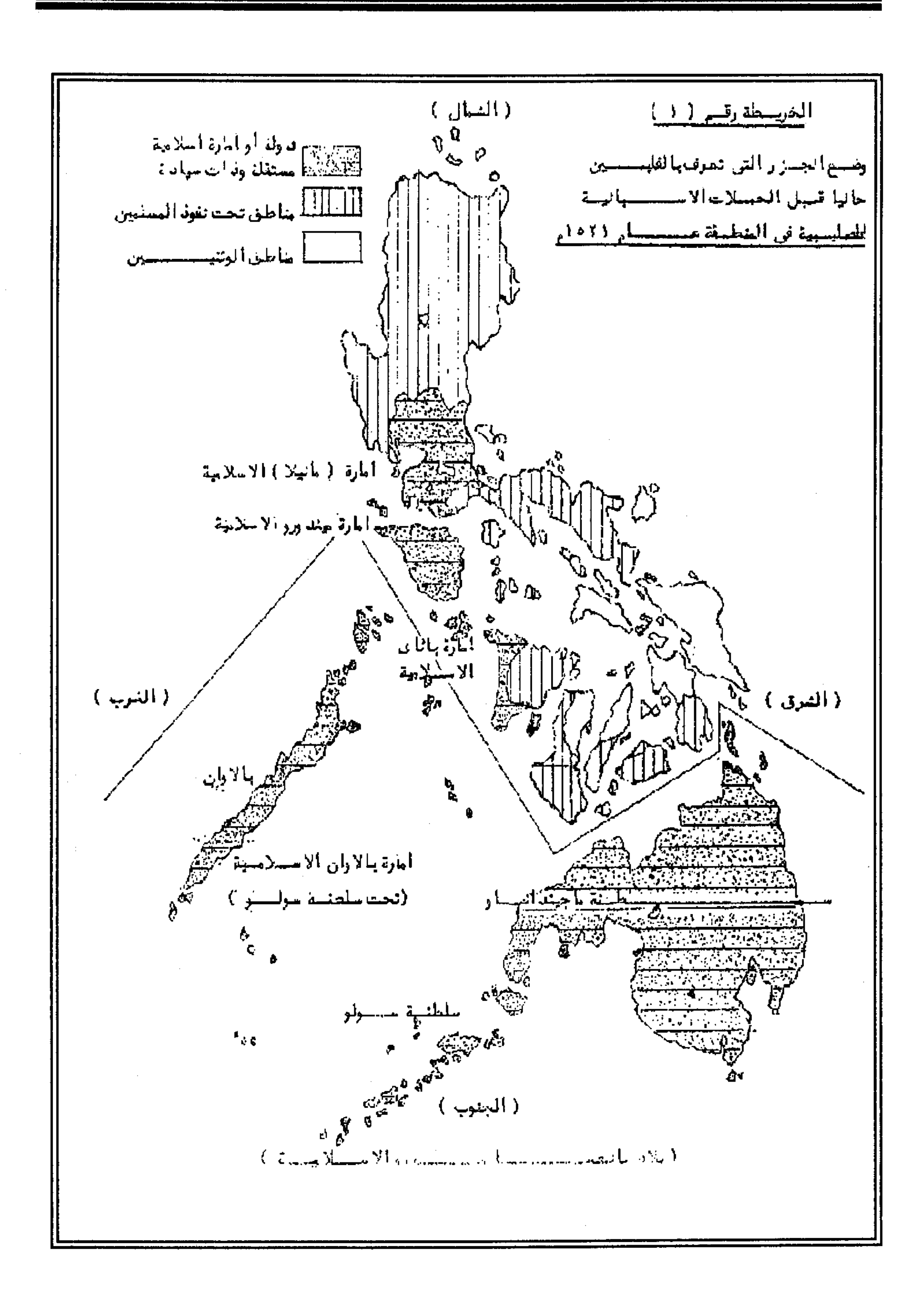
(٣) طول فترة الاستعمار وموقف المسلمين المقاطع للمستعمرين وللنصارى وعدم إقبالهم على إدخال أبنائهم في الجامعات والمدارس الحكومية نتج عن ذلك كله قلة الأيدي العاملة الفنية المسلمة ، ففي الوقت الذي اشترطت فيه السفارة السعودية لمنح تأشيرات الدخول للعمال الفليبينيين أن لا تقل نسبة المسلمين منهم عن ٢٠٪ لم تجد مكاتب الاستقدام ما يسد هذه الشروط ، والعمال الفليبينيون المسلمون العاملون في المملكة لا يمثلون إلا نسبة قليلة جداً بالمقارنة مع غيرهم.

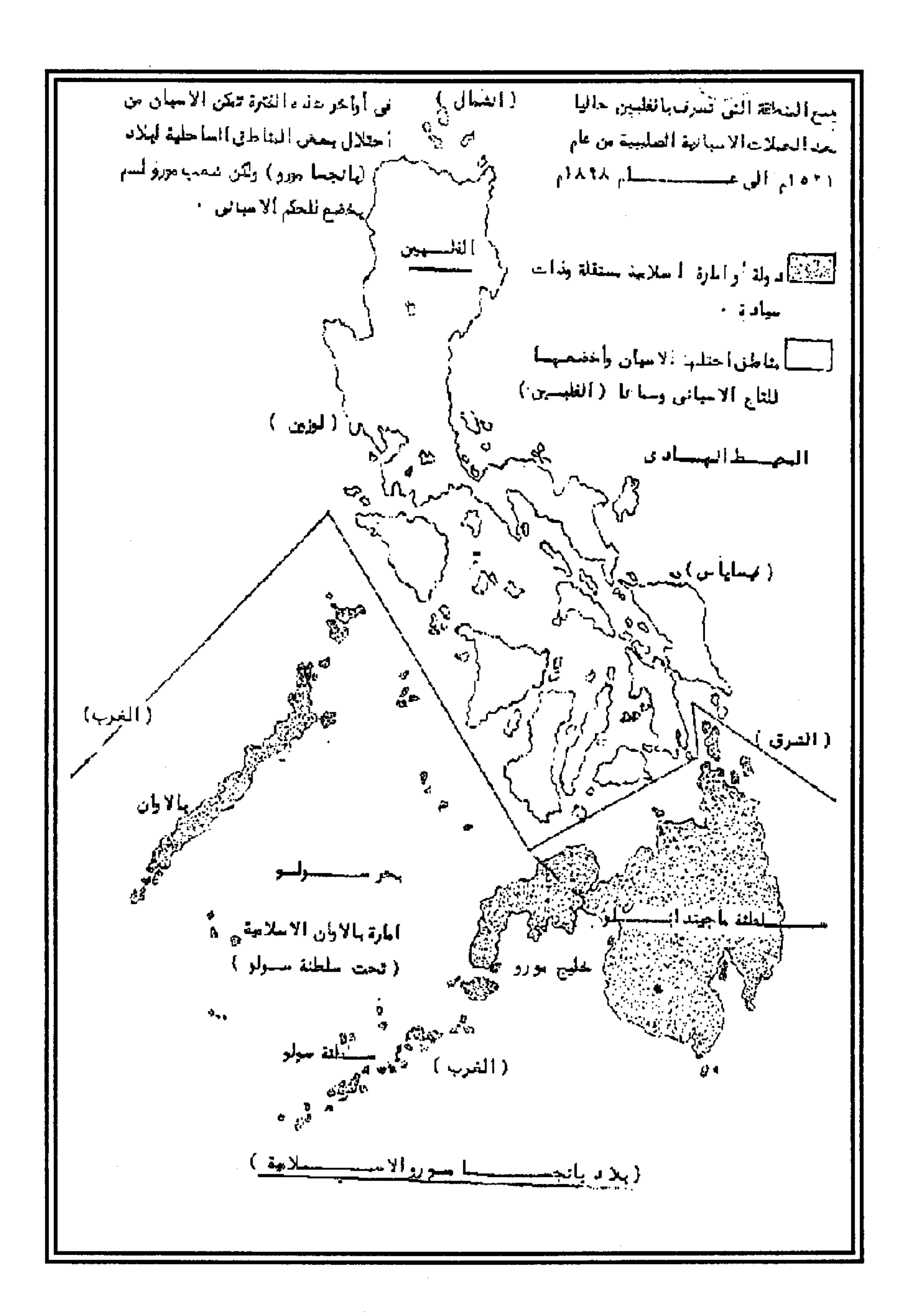
رابعاً : الوضع الاجتماعي والثقافي والتربوي والديني :

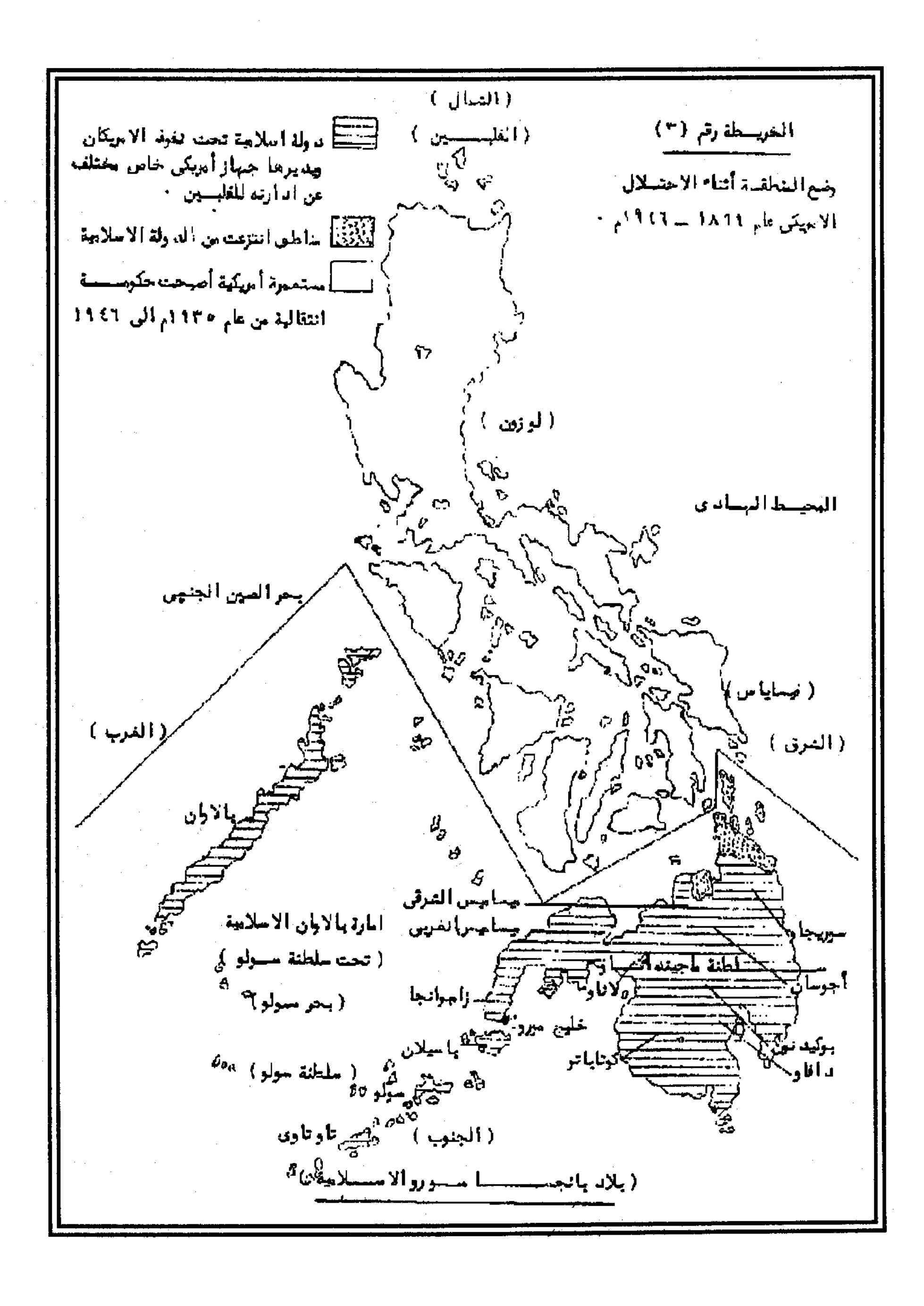
(١) المسلمون - كما سبق - ليس لهم من النشاطات الاجتماعية والثقافية ومن الإمكانات اللازمة لذلك ما يمكنهم من الوصول إلى مستوى غيرهم في هذه المجالات.

(٢) اهتمامات المسلمين وقادتهم ومفكريهم تتركز على افتتاح المدارس والمعاهد لتخريج الدعاة والأئمة ومدرسي الدين والقضاة في بعض المحاكم الشرعية التي أنشئت في عهد ماركوس، ويبدو أن ثمة وعياً دينياً طيباً بين أوساط المسلمين، وتمسكاً بتعاليمه وبخاصة في مناطق تجمعاتهم بالجنوب وغيره، ولكن ينقصهم التعليم المهني وتعليم العلوم العصرية علاوة على التعليم الديني.

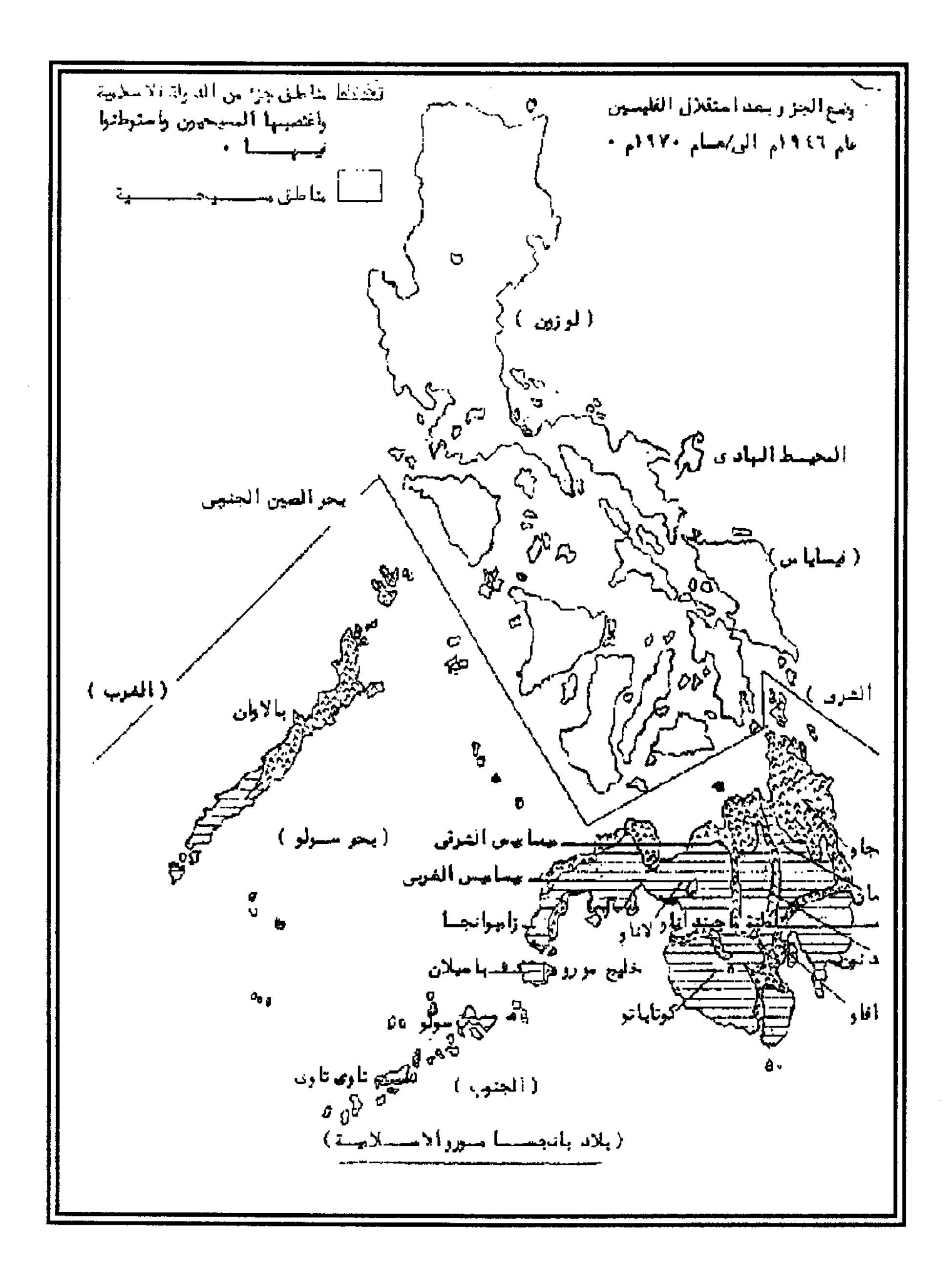
(٣) تعرض أبناء المسلمين لحملات شرسة من قبل الحركات والمنظمات التنصيرية امتداداً لمخططاتها لتنصيرهم قهراً في عهد الاستعمار.

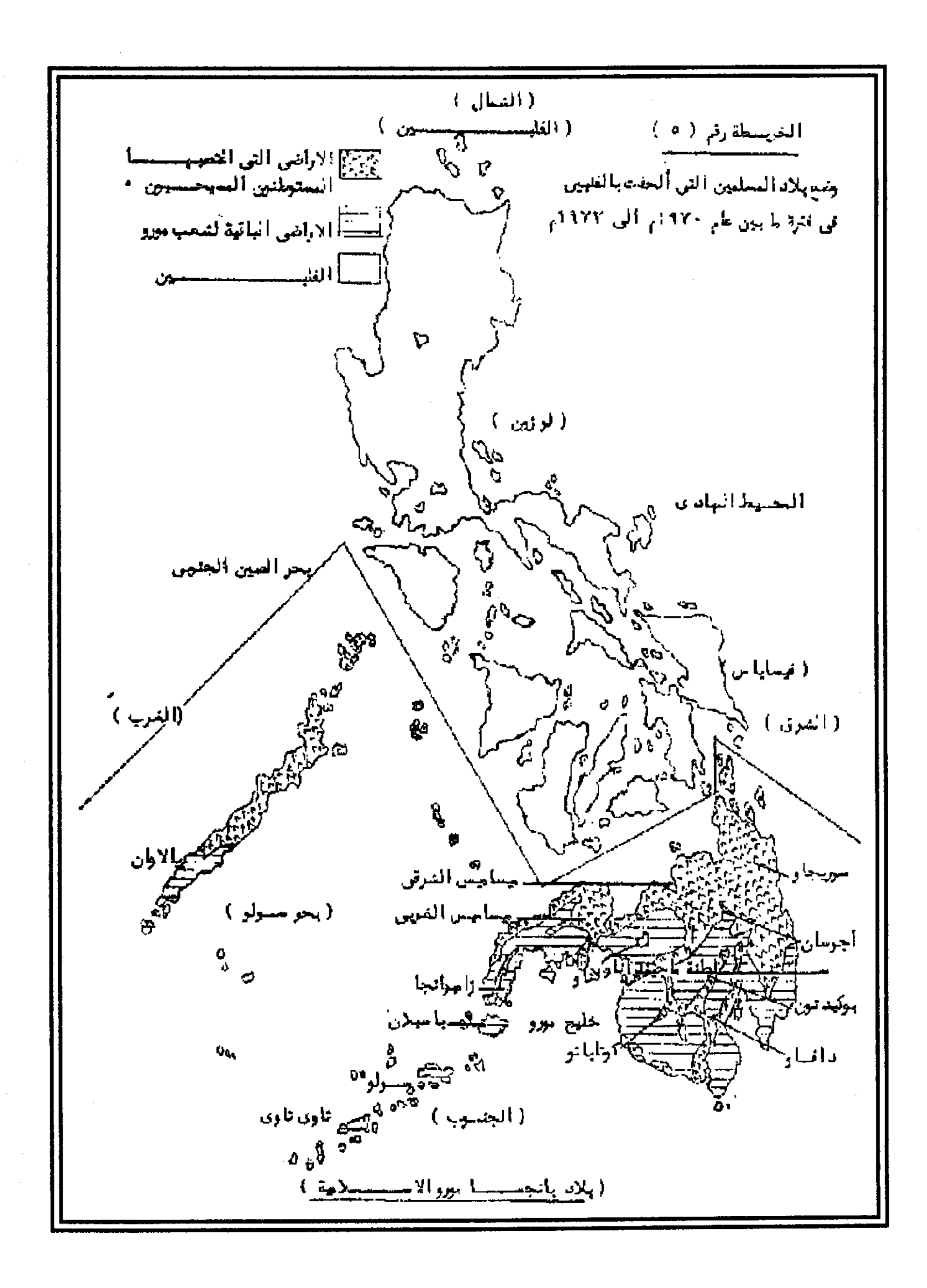

الخريطة رقم (١)
وضع الجزر التى تعرف بالفلبين
حاليا قبل الحملات الاسبانية
الصليبية فى المنطقة عام ١٥٢١م
(الشمال)
دولة او امارة اسلامية
مستقلة وذات سيادة
مناطق تحت نفوذ المسلمين
مناطق الوثنيين
امارة (مانيلا) الاسلامية
امارة مندورو الاسلامية
امارة باناى
الاسلامية
(الغرب)
(الشرق)
بالاوان
امارة بالاوان الاسلامية
(تحت سلطنة سولو)
سلطنة ماجنداناو
سلطنة سولو
(الجنوب)
(بلاد ماليزيا الاسلامية)

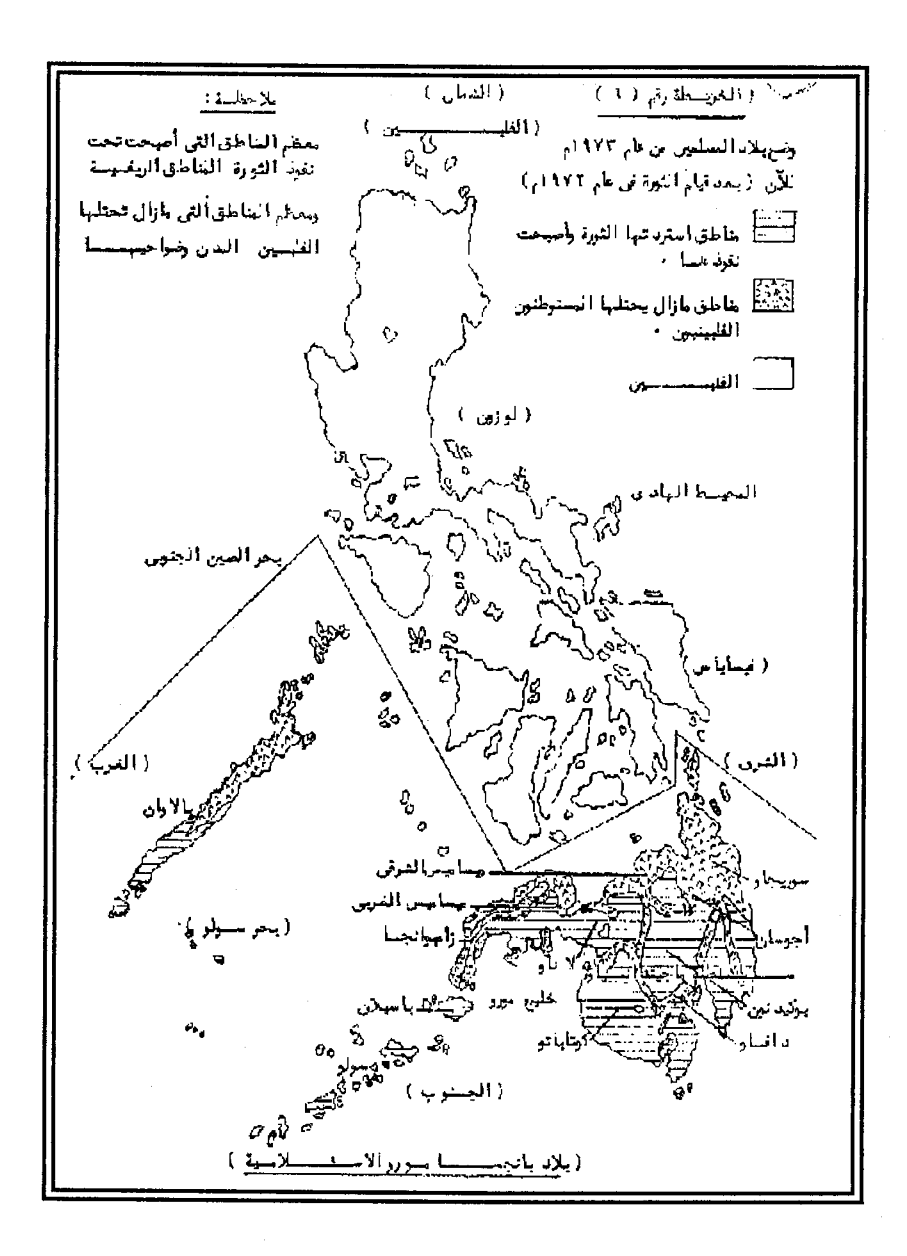

جميع المنطقة التي تعرف بالفلبين حاليا
بعد الحملات الاسبانية الصليبية من عام
١٥٢١م الى عـــــــام ١٨٩٨م
(الشمال)
في أواخر هذه الفترة تمكن الاسبان من
احتلال بعض المناطق الساحلية لبلاد
(بانجسا مورو) ولكن شعب مورو لم
يخضع للحكم الاسباني .
الفلـــبين
دولة أو امارة اسلامية مستقلة وذات
سيادة .
مناطق احتلها الاسبان واخضعها
للتاج الاسباني وسابقا (الفلبين)
(لوزون)
المحيط الهادى
(بسايان)
(الغرب)
(الشرق)
بالاوان
بحر ســـولو
سلطنة ماجنداناو
امارة بالاوان الاسلامية
(تحت سلطنة سولو)
خليج مورو
سلطنة سولو
(الغرب)
(بلاد بانجســـا مورو الاســـلامية)



الخريطة رقم (٣)
وضع المنطقة أثناء الاحتلال الامريكي عام ١٨٩٩ ـ ١٩٤٦م .
(الشمال)
(الفلبين)
دولة اسلامية تحت نفوذ الامريكان يديرها جهاز أمريكي خاص مختلف عن ادارته للفلبين .
مناطق انتزعت من الدولة الاسلامية
مستعمرة أمريكية أصبحت حكومة انتقالية من عام ١٩٣٥م الى ١٩٤٦
(لوزون)
المحيط الهادى
بحر الصين الجنوبي
(بسایاس)
(الغرب)
(الشرق)
بالاوان
ميسايس الشرقي
ميسايس الغربي
امارة بالاوان الاسلامية
(تحت سلطنة سولو)
زامبوانجا
(بحر سولو)
خليج مورو
باسيلان
(سلطنة سولو)
سولو
(الجنوب)
تاوتاوى
(بلاد بانجسامورو الاسلامية)
سوريجاو
أجوسان
لاناو
بوكيد نون
كوتاباتو
داقاو


وضع الجزر بعد استقلال الفلبين
عام ١٩٤٦م الى عام ١٩٧٠م .
مناطق مسيحية
(لوزون)
المحيط الهادى
بحر الصين الجنوبى
(فيسايا س)
(الغرب)
(الشرق)
بالاوان
(بحر سولو)
ميسامس الشرقى
ميسامس الغربى
زامبوانجا
خليج مورو
كوتاباتو
سولو
تاوى تاوى
(الجنوب)
(بلاد بانجسا مورو الاسلامية)


(الشمال)
(الفليبـــــــــــين)
الخريطة رقم (٥)
وضع بلاد المسلمين التى ألحقت بالفلبين
فى الفترة ما بين عام ١٩٢٠م الى ١٩٧٢م
الاراضى التى اغتصبهـــا المستوطنين المسيحيين
الاراضى الباقية لشعب مورو
الفليبـــــين
(لوزون)
المحيط الهادى
بحر الصين الجنوبى
(فيسايـاس)
(الغرب)
(الشرق)
بالاوان
(بحر سولو)
ميساميس الشرقى
ميساميس الغربى
سوريجاو
أجوسان
بوكيدنون
زامبوانجا
خليج مورو
باسيلان
كوتاباتو
دافاو
سولو
تاوى تاوى
(الجنوب)
(بلاد بانجسا مورو الاسلامية)


(الخريطة رقم (٦)
(الشمال)
ملاحظة :
(الفليبين)
وضع بلاد المسلمين من عام ١٩٧٣م
للآن (بعد قيام الثورة فى عام ١٩٧٢م)
معظم المناطق التى أصبحت تحت نفوذ الثورة المناطق الريفية
ومعظم المناطق التى مازال تحتلها الفلبين المدن وضواحيها
مناطق استردتها الثورة وأصبحت نفوذ لها .
مناطق مازال يحتلها المستوطنون الفلبينيون .
الفليبين
(لوزون)
المحيط الهادى
بحر الصين الجنوبى
(فيسايا س)
(الغرب)
(الشرق)
بالاوان
سوريجاو
(بحر سولو)
أجوسان
بوكيدنون
داقاو
كوتاباتو
سولو
(الجنوب)
(بلاد بانجسا مورو الاسلامية)

الفهرس

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض